في بلاد ما وراء النهر:

عَوْدٌ إلى أوزبكستان

بعد عشر سنين

تأليف
محمد بن ناصر العبودي

دار الثلوثية للنشر والتوزيع
١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م

عَوْدٌ إلى اوزبكستان

في بلاد ما وراء النهر:

عَوْدٌ إلى اوزبكستان

بعد عشر سنين

بقلم

محمد بن ناصر العبودي

المستودع الدعوي الرقمي
Osoul Center For Studies
https://dawa.center

ح محمد بن ناصر العبودي ، ١٤٣٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العبودي ، محمد بن ناصر عبدالرحمن

عود إلى أوزباكستان بعد عشر سنين/ محمد بن ناصر عبدالرحمن العبودي الرياض ، ١٤٣٤هـ

٢١٥ ص ، ١٧×٢٤سم .

ردمك : ٥-٣٥٠٣-٠١ - ٦٠٣-٩٧٨

١- أوزباكستان – تاريخ ٢- الإسلام - أسيا الوسطى ٣- المسلمون في اسيا الوسطى أ- العنوان

ديوي : ٩٥٨.٧

١٤٣٤/١٠٣٧٠

رقم الإيداع : ١٤٣٤/١٠٣٧٠

ردمك : ٥-٣٥٠٣- ٠١ - ٦٠٣-٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م

دار الثلوثية للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية – الرياض

تليفون : ٤٥٠٧٨٣٢

فاكس : ٤٦٤٥٩٩٩

email :tholothia@gmail.com

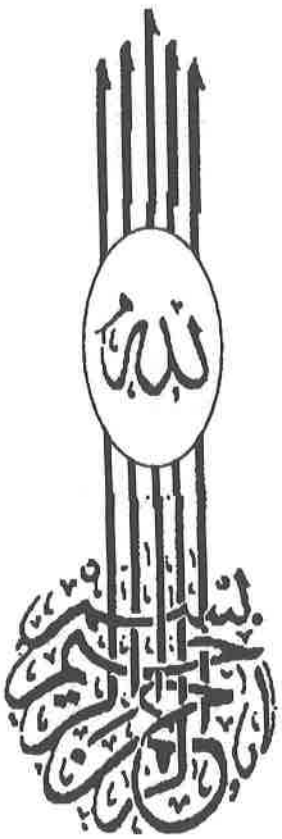
بسم الله الرحمن الرحيم

كتب مطبوعة في الرحلات للمؤلف

(١) في إفريقية الخضراء: مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين- طبع بيروت، دار الثقافة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

(٢) رحلة إلى جزر مالديف إحدى عجائب الدنيا- الرياض، دار العلوم، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٣) مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين- الرياض، النادي الأدبي، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٤) جولة في جزائر البحر الزنجي أو حديث عن الإسلام والمسلمين في جزر المحيط الهندي- الرياض، المطابع الأهلية للأوفست، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

(٥) رحلة إلى سيلان- الرياض، جمعية الثقافة والفنون، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م.

(٦) صلة الحديث عن إفريقية مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين- نشرته دار العلوم في الرياض، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٧) مشاهدات في بلاد العنصريين، رحلة إلى جنوب إفريقية وحديث في شؤون المسلمين- نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٨) إطلالة على نهاية العالم الجنوبي- مكة المكرمة، نادي مكة الثقافي، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٩) زيارة لسلطنة بروناي الإسلامية- طبع بمطابع الرياض الأهلية للأوفست، عام ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١٠) شهر في غرب إفريقية مشاهدات وأحاديث عن المسلمين- الرياض، المطابع الأهلية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١١) في نيبال بلاد الجبال- رحلة وحديث في شؤون المسلمين- الرياض، مطابع الفرزدق، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٢) رحلات في أمريكا الوسطى- المطابع الأهلية للأوفست في الرياض، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٣) إلى أقصى الجنوب الأمريكي رحلة في الأرجنتين وتشيلي- الرياض، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(١٤) على ضفاف الأمازون، رحلة في المنطقة الاستوائية من البرازيل- نشره النادي الأدبي في أبها، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٥) على قمم جبال الأنديز- الرياض، مطابع الفرزدق التجارية، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٦) في غرب البرازيل- الرياض، مطابع الفرزدق التجارية ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٧) في بلاد المسلمين المنسيين: بخارى وما وراء النهر- طبع في مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٨) بقية الحديث عن إفريقية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٩) جولة في جزائر البحر الكاريبي- مطابع الرياض الأهلية للأوفست، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٢٠) جولة في جزائر جنوب المحيط الهادئ، مطابع الفرزدق، الرياض، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(٢١) داخل أسوار الصين (مجلدان)- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض،١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٢) بلاد الداغستان- طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ.

(٢٣) الرحلة الروسية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٢٤) مع المسلمين البولنديين- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٥) جمهورية أذربيجان- طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٦) في أعماق الصين الشعبية- نشرته مجلة المنهل.

(٢٧) بين الأرغواي والبارغواي- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٨) بورما الخبر والعيان- طبع ببيروت عام ١٤١٢هـ.

(٢٩) مقال عن بلاد البنغال- طبع بالرياض عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٠) ذكريات من يوغسلافيا- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣١) كنت في بلغاريا- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٢) في جنوب الصين- طبعته رابطة العالم الإسلامي بمطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤١٤هـ.

(٣٣) كنت في ألمانيا- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٣٤) ذكرياتي في إفريقية- محاضرة طبعتها رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

(٣٥) أيام في النيجر- طبع ببيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٦) على أرض القهوة البرازيلية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٥هـ.

(٣٧) نظرة في شرق أوربا وحالة المسلمين بعد الشيوعية- طبع ببيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٨) بين غينيا بيساو وغينيا كوناكري- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٣٩) من أنقولا إلى الرأس الأخضر- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٤٠) سياحة في كشمير- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٤١) يوميات آسيا الوسطى- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٤٢) نظرة في وسط إفريقية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

(٤٣) بلاد القريم- نشرته دار القبلة في جدة.

(٤٤) قصة سفر في نيجريا (مجلدان)- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض.

(٤٥) حديث قازاقستان- نشرته دار القبلة في جدة (تحت الطبع).

(٤٦) المسلمون في لاوس وكمبوديا: رحلة ومشاهدات ميدانية- نشرته رابطة العالم الإسلامي في سلسلة دعوة الحق، وطبعته في مطبعتها عام ١٤١٦هـ.

(٤٧) في جنوب الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٧هـ.

(٤٨) رحلات في أمريكا الجنوبية: غينيا وسورينام، مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٤٩) إطلالة على أستراليا- طبع في مطابع التقنية للأوفست- الرياض عام ١٤١٧هـ.

(٥٠) أيام في فيتنام- نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥١) في غرب الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، عام ١٤١٧هـ.

(٥٢) إطلالة على موريتانيا – نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥٣) حديث قيرغيزستان، دراسة في ماضيها ومشاهدات ميدانية- نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(٥٤) زيارة رسمية لتايوان، نشر دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(٥٥) سطور من المنظور والمأثور عن بلاد التكرور- مطابع النرجس التجارية، الرياض، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(٥٦) راجستان: بلاد الملوك (من سلسلة الرحلات الهندية) مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

(٥٧) في شرق الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) طبع في مطابع التقنية للأوفست في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٥٨) العودة إلى الصين (من سلسلة الرحلات الصينية) طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ.

(٥٩) في شرق البرازيل، من سلسلة الرحلات البرازيلية- طبع في مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٦٠) هندوراس ونيكاراقوا وكوستاريكا (من سلسلة الرحلات في جمهوريات الموز) مطابع التقنية، الرياض، ١٤١٩هـ.

(٦١) من بلاد القرتشاي إلى بلاد القبرداي (من سلسلة الرحلات القوقازية) طبع في مطابع التقنية للأوفست، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(٦٢) بلاد التتار والبلغار (من سلسلة رحلات الشمال) نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته بمطبعتها في مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٣) بلاد الشركس: الإديغي- طبع مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٤) مواطن إسلامية ضائعة- مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٥) تائه في تاهيتي- طبعته مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠ هـ.

(٦٦) نظرة إلى الفلبين بين زيارتين: رسمية وخاصة، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(٦٧) ذكريات من الاتحاد السوفيتي، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(٦٨) نظرة إلى الوجه الآخر من الأرض أو رحلة إلى أبعد مكان: جولات في أقصى جزر المحيط الهادئ الجنوبي، طبع في مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٩) إقليما سمارا وأستراخان (من سلسلة الرحلات في جنوب روسيا)، نشرته دار خضر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(٧٠) في إندونيسيا أكبر بلاد المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٧١) قرينادا وسانتالوسيا ودومنيكا (من سلسلة الرحلات الكاريبية) مطبعة العلا، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٢) مشاهدات في تايلند، مطابع النرجس في الرياض، عام ١٤٢١هـ.

(٧٣) مع العمل الإسلامي في القارة الأسترالية، جولة وحديث في شؤون الإسلام، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢١هـ.

(٧٤) فطاني أو جنوب تايلند، مطابع المسموعة، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٥) المستفاد من السفر إلى شاد، مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٦) في جنوب البرازيل (من سلسلة الرحلات البرازيلية) مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٧) شمال شرق الهند، رحلة في ولايتي بيهار وإترابراديش وحديث عن المسلمين، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٧٨) بلغاريا ومقدونيا (من سلسلة الرحلات في بلاد البلقان) طبع في مطابع العلا، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٧٩) بلاد البلطيق، طبع في مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(٨٠) بيليز والسلفادور (من سلسلة الرحلات في جمهوريات الموز) طبع في مطابع العلا، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٨١) (العودة إلى ما وراء النهر) جولة في آسيا الوسطى، وحديث عن شؤون المسلمين، طبع في مطابع المسموعة، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(٨٢) (على سقف العالم) رحلة في التبت، وحديث في شؤون المسلمين، نشره نادي القصيم الأدبي، بريدة، ١٤٢٢هـ.

(٨٣) الإسلام والمسلمون في غرب إفريقية، أو بقية البقية من حديث إفريقية، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٨٤) بـ د العربية الضائعة (جورجيا) طبع في مطابع العلا، الرياض،١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٥) الاعتبار في السفر إلى ماليبار (من سلسلة الرحلات الهندية)، نشره النادي الأدبي الثقافي في مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٦) ذكريات من خلف الستار العقيدي، رحلة في شرق أوروبا وأحاديث في أحوال المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض،١٤٢٢هـ.

(٨٧) بالي، جزيرة الأحلام، طبع في مطابع النرجس، الرياض،١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٨) غايتي من السفر إلى هايتي، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٩) إلى جنوب الشمال: بلاد السويد، طبع في مطبعة العلا، الرياض، ١٤٢٣هـ.

(٩٠) وراء المشرقين رحلة حول العالم وحديث في أحوال المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٩١) إلمامة بجنوب الفلبين لحضور الاحتفال بافتتاح المباحثات السلمية بين الحكومة الفلبينية وجبهة تحرير مورو الإسلامية، ومشاهدات أخرى، مطابع النرجس عام ١٤٢٤هـ /٢٠٠٣م.

(٩٢) رحلة هونغ كونغ وما كاو، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٩٣) إلى أقصى الجنوب الإفريقي، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٩٤) شمال سيبريا (من سلسلة الرحلات السيبرية) مطابع النرجس، الرياض، عام ١٤٢٤هـ.

(٩٥) فوق سقف الصين: رحلة في الشمال الغربي من الصين، وحديث عن المسلمين، طبعته مطبعة العلا في الرياض، عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٩٦) إقليم أورنبورغ (من سلسلة الرحلات في جنوب روسيا) طبع في مطابع العلا في الرياض، عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٩٧) إلى إريتريا بعد ٣٦ سنة، طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٤هـ.

(٩٨) الشرق الشمالي من البرازيل: رحلة في ولايات: برنانبوكو وريوقراندي دي نورتي وبارابيبا (من سلسلة الرحلات البرازيلية) طبع في مطابع العلا في الرياض.

(٩٩) من غينيا الاستوائية إلى ساو تومي: رحلات في القارة الإفريقية، مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(١٠٠) من روسيا البيضاء إلى روسيا الحمراء (من سلسلة الرحلات في القارة الأوروبية) مطابع العلا في الرياض، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

(١٠١) إلى شمال الشمال: بلاد النرويج وفنلندا (من سلسلة الرحلات في القارة الأوروبية)، مطابع العلا في الرياض، ١٤٢٤هـ.

(١٠٢) في غرب أستراليا (من سلسلة الرحلات الأسترالية) (تحت الطبع).

(١٠٣) (نظرات في شمال الهند) مجلدان، طبع في مطابع النرجس في الرياض، عام ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

(١٠٤) جولات فنزويلية وحديث عن المسلمين في أحد أركان القارة (من سلسلة رحلات في أمريكا الجنوبية)، مطابع النرجس في الرياض، عام ١٤٢٧هـ.

(١٠٥) الحل والرحيل في بلاد البرازيل (ثلاثة مجلدات من سلسلة الرحلات البرازيلية)، نشرته مكتبة الرشد في الرياض، عام ١٤٢٩هـ.

(١٠٦) في وسط الهند، طبعته مطبعة النرجس عام ١٤٢٦هـ.

(١٠٧) قوادي لوب وانتيقوا وسان مارتن (من سلسلة الرحلات في البحر الكاريبي) طبع مطابع النرجس عام ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

(١٠٨) في شمال شرق آسيا، رحلة في سيبريا ومنغوليا، طبع مطابع العلا في الرياض، عام ١٤٢٨هـ.

(١٠٩) القلم وما أوتي، في جيبوتي، مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٥هـ.

(١١٠) خلال أوكرانيا بحثاً عن المسلمين، (من سلسلة الرحلات في بلاد الشمال)، (تحت الطبع).

(١١١) مقال في زيارة منطقة الأورال، (من سلسلة الرحلات في وسط روسيا)، نشرته دار الطرفين للنشر والتوزيع في الطائف، عام ١٤٢٩هـ.

(١١٢) بورتوريكو وجمهورية الدومنيكان، (من سلسلة الرحلات الكاريبية)، نشرته دار الثلوثية في الرياض، عام ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

(١١٣) جمهوريات القبائل الروسية (رحلات في جنوب روسيا)، نشرته مكتبة الرشد في الرياض عام ١٤٢٩هـ.

(١١٤) في غرب سيبيريا، مشاهدات وأحاديث في شئون المسلمين (الرحلات السيبيرية)، نشرته مكتبة الرشد في الرياض عام ١٤٢٩هـ.

(١١٥) شمال أستراليا، رحلة وحديث في أحوال المسلمين (الرحلات الأسترالية)- (تحت الطبع).

(١١٦) إلمام بالمحيط الهادي من أستراليا إلى جزيرة قوام، (تحت الطبع).

(١١٧) إلى الشرق الأقصى الروسي (الرحلات الروسية) تحت الطبع.

(١١٨) حصاد الرحلات، نشرته مكتبة الرشد في الرياض، عام ١٤٢٩هـ.

(١١٩) رحلات ونظرات حول المسلمين في العالم، نشرته دار الطرفين للنشر والتوزيع في الطائف، عام ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

(١٢٠) قول أوفى في كوسوفا، نشرته دار الثلوثية في الرياض، عام ١٤٣١هـ.

(١٢١) السفر والآوبة، من كُوبَة، تحت الطبع.

(١٢٢) العودة إلى غرب إفريقية، طبع في مطبعة النرجس عام ١٤٣١هـ.

(١٢٣) عودة إلى أوزبكستان بعد عشر سنين، (في بلاد ما وراء النهر)، وهو هذا الكتاب.

مؤلفاته المطبوعات في غير فن الرحلات

(١٢٤) معجم بلاد القصيم (في ستة مجلدات)-نشرته دار اليمامة بالمطابع الأهلية للأوفست، الرياض، ١٣٩٩هـ، ثم طبع مرة أخرى في عام ١٤١٠هـ.

(١٢٥) أخبار أبي العيناء اليمامي- طبع في الرياض وبيروت عام ١٣٩٨هـ.

(١٢٦) الأمثال العامية في نجد (خمسة مجلدات) ساعدت دارة الملك عبدالعزيز في الرياض على طبعه، ونشرته دار اليمامة للطبع والنشر عام ١٣٩٨هـ.

(١٢٧) كتاب الثقلاء- نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(١٢٨) نفحات من السكينة القرآنية- طبع أكثر من مرة آخرها طبعة لوزارة المعارف لتوزيعها على مكتبات المدارس- نشرته دار العلوم، الرياض، ١٤٠٣هـ.

(١٢٩) مأثورات شعبية- نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(١٣٠) سوانح أدبية- طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤٠٥هـ.

(١٣١) صور ثقيلة- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤٠٥هـ.

(١٣٢) العالم الإسلامي والرابطة- نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبع في مطبعتها في مكة المكرمة، ١٤١٤هـ.

(١٣٣) نظرة إلى العلاقات العربية مع أهالي جنوب الصحراء، مطابع التقنية، الرياض، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(١٣٤) المقامات الصحراوية- مطابع التقنية، الرياض، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(١٣٥) مساعدات المملكة العربية السعودية للمسلمين، وبخاصة الأقليات المسلمة- بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية- نشرته لجنة الاحتفال بمرور مائة عام على التأسيس، وطبعته في مطابع الناشر العربي، الرياض، ١٤١٩هـ.

(١٣٦) كلمات عربية لم تسجلها المعاجم، أحد بحوث المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين، نشرته جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ.

(١٣٧) المملكة العربية السعودية بين الماضي والحاضر (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة)- نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطابعها في مكة المكرمة، ١٤١٩هـ.

(١٣٨) وجهة نظر، نشرته مكتبة الرشد في الرياض عام ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

(١٣٩) مدلولات كلمات قضى عليها حكم الملك عبدالعزيز، نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية).

(١٤٠) رابطة العالم الإسلامي إحدى القنوات السعودية لمساعدة المسلمين- نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها بمكة المكرمة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(١٤١) الدعاة إلى الله: شرف مهمتهم، وطرق دعمهم، نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ.

(١٤٢) واجب المسلم في بلاد الأقليات، نشرته رابطة العالم الإسلامي، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(١٤٣) (العالم الإسلامي: واقع وتوقعات) نشرته مجلة (العربية) التي تصدر في الرياض مصاحباً لعدد ذي الحجة ١٤٢٠هـ منها.

(١٤٤) الدعوة الإسلامية وإعداد الدعاة، طبعته مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(١٤٥) (حِكَمُ العوام)، طبعت في مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(١٤٦) في لغتنا الدارجة: كلمات قضت، (كتاب لغوي) طبعته بنفقتها ونشرته ضمن منشوراتها دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، في أربعة مجلدات.

(١٤٧) حكايات تحكى (قصص)، نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة، عام ١٤٢١هـ.

(١٤٨) أثر الأقليات المسلمة في الدعوة الإسلامية، نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(١٤٩) الكناية والمجاز في اللغة العامية، نشرته مجلة الدرعية التي تصدر في الرياض، ١٤٢٣هـ.

(١٥٠) أماكن قديمة العمارة في القصيم، نشرته مكتبة العبودي في بريدة لصاحبها صالح بن عبدالله العبودي.

(١٥١) معجم الألفاظ الدخيلة في لغتنا الدارجة، نشرته مكتبة الملك عبدالعزيز العامة في الرياض في مجلدين- عام ١٤٢٥هـ.

(١٥٢) المقامات البلدانية، نشره النادي الأدبي في الرياض، عام ١٤٢٦هـ.

(١٥٣) الأصول الفصيحة للألفاظ الدارجة، أو ما فعلته القرون بالعربية في مهدها (ثلاثة عشر مجلداً) نشرته مكتبة الملك عبدالعزيز العامة في الرياض، عام ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

(١٥٤) الحوار في الإسلام، نشرته دار الطرفين للنشر والتوزيع في الطائف، عام ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

(١٥٥) دور الأقليات الإسلامية في الدعوة إلى الله، نشرته دار الطرفين للنشر والتوزيع في الطائف، عام ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

(١٥٦) الأقليات المسلمة: الواقع والمأمول، نشرته دار الطرفين للنشر والتوزيع في الطائف، عام ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

(١٥٧) العالم الإسلامي: الواقع والمعاناة، نشرته دار الطرفين للنشر والتوزيع في الطائف، عام ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

(١٥٨) رحلة من بريدة إلى المدينة المنورة قبل ستين سنة، نشرته دار الثلوثية في الرياض، عام ١٤٣١هـ.

(١٥٩) معجم أسر بريدة في ثلاثة وعشرين مجلداً، نشرته دار الثلوثية للطبع والنشر في الرياض، طبعته دار الحاج في بيروت، عام ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.

(١٦٠) أخبار حمد الصقعبي، نشرته دار الثلوثية في الرياض، عام ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.

(١٦١) معجم الحيوان عند العامة (مجلدان) طبعته مكتبة الملك فعد الوطنية في الرياض، عام ١٤٣٢هـ.

(١٦٢) معجم النخلة في المأثورات الشعبية، نشرته دار الثلوثة في الرياض عام ١٤٣١هـ.

(١٦٣) معجم الصيد والقنص، نشرته دار الثلوثية في الرياض في عام ١٤٣٢هـ.

(١٦٤) معجم ألفاظ المطر والسحاب عند العامة، نشرته دار الثلوثية في الرياض، في عام ١٤٣٢هـ، وهو هذا.

(١٦٥) معجم الديانة والتدين، نشرته دار الثلوثية في الرياض في عام ١٤٣٢هـ.

(١٦٦) معجم الأنواء والفصول، نشرته دار الثلوثية في الرياض في عام ١٤٣٢هـ.

(١٦٧) الأصدقاء الثلاثة (رؤاية) طبعت في مبطعة النرجس عام ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.

(١٦٨) المستدين (قصة) طبعت في مطبعة النرجس عام ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.

مقدمة الناشر:

يمثل التدوين والتأليف أحد الأركان المهمة للحركة العلمية عند العرب منذ قرون طويلة، إذْ إنه يُعَد المحضن الأول والأكبر للتراث العلمي والفكري عند العلماء.

ولقد عني الشيخ العلامة محمد بن ناصر العبودي منذ ما يقارب من خمسين عاماً بأحد أبواب التأليف الجادة المميزة؛ بل الشاقة أيضاً، وهو ما يتعلق بالرحلات، إضافة إلى اهتماماته العلمية الأخرى في اللغة والأدب والتاريخ والجغرافيا والأنساب والقصة وغيرها، حتى عُدّ في الرحلات منذ سنوات إمامها المعاصر، وأُطلِقت عليه ألقاب عديدة جميعها تمثل ريادته في هذا الفن في العصر الحديث نظراً للعدد الكبير المطبوع من الرحلات إضافة إلى المخطوط، وكذلك التنوع في الكتابة عن الأماكن والبلدان التي زارها.

وصارت بلا شك منهلاً عذباً للمهتمين بمأرب الرحلات عموماً وبتراث شيخنا العلامة خصوصاً.

ويأتي إصدار هذه العناوين الجديدة من الرحلات استشعاراً من دار الثلوثية للقيمة العلمية والأدبية والتاريخية لها وما تتضمنه من سياقات وإبداعات متعددة تستحق النشر، مما يندرج تحت مظلة المشاريع العلمية الكبرى لشيخنا حفظه الله، وهو ما حدا بعديد من الجامعات ومراكز البحث العلمي اليوم لدراستها وإرشاد الدارسين والطلاب إليها.

وقد سعت دار الثلوثية منذ أن نذرت نفسها لذلك واستهدفت التراث العلمي للعلامة محمد العبودي محققاً في هذا الجانب ابتداء ريادة عربية غير مسبوقة في عدد الكتب المطبوعة عن الرحلات وتنوع مادتها وغزارة المعلومة فيها، مما يغري الباحثين لاستكشافها والغوص في مضامينها مذكراً القارئ في ذات

الوقت بأن هذه الباقة الجديدة من الإصدارات لهذا العام تأتي بعد أن تجاوز شيخنا حفظه الله بكتبه المطبوعة مائتي كتاب.

حظيت وشرفت دار الثلوثية بالنصيب الأكبر منها.

وختاماً أرجوا أن نكون وفقنا بالقيام ببعض الواجب نحو العناية بكتب هذا العلامة الكبير شيخنا محمد بن ناصر العبودي.

ونبتهل إلى الله تعالى أن يمد في عمره ليكمل ويواصل بقية مشاريعه العلمية والرائدة.

كتبه

محمد بن عبدالله المشوح

المقدمة:

رحلتنا هذه عودة إلى منطقة كنا زرناها من قبل ثم انقطعنا عن زيارتها عشر سنين تغيرت الأمور فيها أثناءها إلى غير ما كنا نرجو ونأمل، تلك هي منطقة (ما وراء النهر) التي صارت تعرف الآن بآسيا الوسطى.

وكانت آخر زيارة لي إليها في أعقاب انهيار الشيوعية الذي صحبه استقلال الجمهوريات التي كانت تؤلف جزءاً من الاتحاد السوفيتي فاستقلت وصارت دولاً ذات سيادة.

والمقصود تلك الدول التي يؤلف المسلمون الأغلبية من سكانها وهي التي تقع على أرض مسلمة عريقة.

ولقد كانت فرحتنا وفرحة المسلمين غامرة باستقلال تلك الدول بعد تخلصها من الشيوعية، وهي فرحة لا يفوقها إلاَّ فرحة المسلمين أنفسهم فيها، فقد رأيناهم يسارعون إلى بناء المساجد التي كانوا يتمنون بناءها ويحرصون على أن يتعلموا أشياء من أحكام الدين الذي كان الشيوعيون قد فرضوا عليهم الجهل به.

وقد اقتضى ذلك منا أن نحرص على تشجيعهم على ذلك، والمساعدة عليه حتى أنشئت مئات المساجد ومئات الفصول الدراسية للأطفال لتعليم مبادئ الدين الإسلامي الحنيف.

وتبين بذلك كذب الشيوعيين، ومن لف لفهم من أعداء الدين الإسلامي أن الدين قد قضي عليه هناك، وأنه انتزع انتزاعاً من نفوس المسلمين.

غير أن حكام تلك الدول الذين كانوا في الأصل هم الحكام الشيوعيين كانوا بدلوا جلودهم، وخافوا أن يقتلعهم الشعب من كراسي الحكم لكي يستبدل بهم قوماً غيرهم من المسلمين، لذلك أجمعوا فيما بينهم وتضامنوا في جهودهم للوقوف في

وجه الإسلام والمسلمين في بلادهم وإجهاض العمل الإسلامي، بل والقضاء عليه، فسجنوا بعض قادة المسلمين وعلمائهم وقضوا على دعاتهم بالسجن وعلى جمعياتهم الإسلامية التي تؤسس المساجد وتقوم فيها بالدعوة بالمحاربة والعزل.

وقد امتد ذلك العداء للدعوة الإسلامية حتى وصل إلى منع قدوم أي شخص له علاقة بالدعوة الإسلامية من غير أهل البلاد ما عدا بعض القادمين من تركيا التي يرى بعضهم في منهجها الذي اختطه لها مصطفى كمال من السير على العلمانية والبعد عن الإسلام ما يصلح أن يسيروا بلادهم عليه، وأن ينتهجوا نهجه.

ومن المفزع أن البلاد صارت في الوقت الذي أغلقت فيه عن الدعوة الإسلامية مفتوحة للدعوات التنصيرية لحاجة في نفس حكامها وحجة يحتجون بها من كون الدعوة النصرانية لا تهدد مناصبهم، ولا تمس أنظمتهم، بل إنها تؤيد تلك الأنظمة من واقع السعي المشترك للطرفين بعزل الإسلام والمسلمين عن الحكم وإبعاد التأثير القرآني عن حياة الناس.

والمقصود الأعظم من زيارتنا هذه إلى تلك البلاد هو الإطلاع إطلاعاً مباشراً على الأوضاع المتعلقة بالدعوة وبالثقافة الإسلامية فيها، وتجديد الصلة برجالاتها العاملين في تلك المجالات، ومعرفة ما يمكن أن تقدمه رابطة العالم الإسلامي التي نعمل فيها إلى المشروعات الثقافية الإسلامية فيها.

وقد رسمنا خطتنا بأن تشمل زيارتنا ثلاث دول منها أي من دول ما وراء النهر التي صارت تسمى الآن بآسيا الوسطى هي أوزبكستان وتاجيكستان وقازاقستان وهذا ما يتعلق بأوزبكستان، والله المستعان.

المؤلف

محمد بن ناصر العبودي

منطقة ما وراء النهر

يوم الخميس: ١٤٢٢/٣/٨هـ - ٢٠٠١/٥/٣١م:

من الرياض إلى اسطنبول:

غادرت الرياض مع طائرة الخطوط التركية من طراز بوينغ ٧٣٧ ولم تكن فيها درجة أولى، فركبت في درجة رجال الأعمال التي تسمى عالمياً (بزنس كلاس) وتعرف عندنا بدرجة الأفق، ولكنها في هذه الطائرة التركية سيئة ضيقة بحيث لا يجد الراكب فيها متسعاً لكي يمد رجليه مداً كاملاً، خصوصاً أن موظفي الترحيل لهذه الشركة في مطار الرياض، وكلهم من الهنود فليسوا سعوديين ولا أتراكاً قد جعلوا مقعدي في الصف الأول من الطائرة من باب إظهار الإكرام لي، وكنت طلبت منهم ألا يكون مكاني في الصف الأول، وإنما يكون في الثاني أو الثالث، وكان معي في المطار ابناي المهندس ناصر والاقتصادي خالد، وهو خبير اقتصادي يسمعان ذلك، ولم أنظر في رقم المقعد اعتماداً على ما ذكرته لهم.

لقد ذكرني الركوب في الصف الأول في هذه الطائرة التي لا تكاد درجة رجال الأعمال تفترق فيها عن الدرجة السياحية في طائراتنا بل هي في طائراتنا أفسح، بالركوب في الطائرات الروسية داخل روسيا زمن الشيوعية، حيث لا توجد فيها درجة أولى إلا أنهم يخصصون الصف الأول في الطائرة لمن يجلونهم ويحترمونهم، ومن كانت تذاكرهم مقطوعة من الخارج على الدرجة الأولى، ولكنهم جعلوا في الحائط الذي أمام الراكب مكاناً داخلاً في الجدار يستطيع أن يمد فيه رجليه، كما كانوا جعلوا ما تشبه مائدة الطعام أمامه.

أما هذه الطائرة التركية فإنه ليس فيها شيء من ذلك، لذلك عندما استقرت الطائرة في الجو انتقلت إلى مقعد في الصف الثالث لأن مقاعد درجة رجال الأعمال ليس فيها مشغولاً إلا أقل من نصفها.

وكان ما ضايقني أيضاً أن الإعلان كان بالتركية ثم بالإنكليزية، ثم جاءوا بكلمات معدودة بالعربية مسجلة تنهي عن استعمال الهاتف الجوال داخل الطائرة، ثم كانت بقية الإعلانات بالتركية والإنكليزية دون العربية.

هذا رغم كونها مغادرة من بلد عربي وكونها بلا شك سوف تذهب في بعض برنامجها إلى بلاد عربية، ولكن هذا جزء من تصرف الأتراك وتعصبهم ضد اللغة العربية بل جمودهم على ذلك التعصب.

وهو عجيب لأنه لا يعمل به الأوربيون الذين قلدهم الأتراك في العلمانية، فالخطوط الأوروبية ومنها أو لنقل على رأسها الخطوط البريطانية التي تغادر مدن المملكة أو تقدم إليها يكون فيها الإعلان بالعربية مسجلاً ويكون فيها مضيف أو مضيفة لعامة الركاب تتكلم العربية.

ولكن هذا ليس بغريب على تعصب بعض المسئولين الأتراك ضد الدين الإسلامي تعصباً لم يصل إليه الأوربيون في العصر الحاضر حتى صار بعضهم يصدق عليه قول الشاعر:

وكنت امرءاً من جند إبليس فارتقى بي الحال حتى صار إبليس من جندي

والشواهد على ذلك كثيرة، ومن ذلك ما وقع لي مرة كنت فيها مسافراً من جدة إلى اسطنبول مع الخطوط التركية ولم أكن صليت العصر وإنما كنت توضأت والوقت ضيق لأن الشمس سوف تغرب قبل الوصول إلى مطار مدينة (أضنة) التي ستنزل فيها الطائرة قبل اسطنبول فقلت للمضيفة من باب المجاملة وأنا أريد بذلك أن أخبرها حتى لا تمر أمامي: إنني سوف أصلي العصر في نهاية الممر مما يلي غرفة القيادة، فبان الارتباك على المضيفة وقالت: سوف أسأل القائد.

ثم عادت إليَّ تقول: إنه ممنوع أن يصلي الراكب في الطائرة.

ففرشت سجادة صغيرة كانت معي وصليت رغماً عنهم، لأن المنع ليس في عقد الإركاب، و(لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) ولا ضيق على أحد ولا ضرر له من صلاتي في الطائرة، وقد قارنت ذلك في ذهني بحالات مماثلة مع خطوط أوروبية حيث كانت المضيفات يبتسمن ويفرشن بطانية إذا لم يكن مع الراكب سجادة، ثم يلاحظن عدم المرور بين يدي المصلي حتى يتم صلاته.

هذا وقد أقلعت هذه الطائرة من مطار الرياض في الساعة الثالثة والدقيقة الثانية عشرة من قبل الفجر، متأخرة عن الموعد المحدد لإقلاعها في الأصل سبع دقائق وهذا لا يعد تأخيراً.

إن السفر في مثل هذا الوقت لا يناسبني كما أن السفر مع الخطوط التركية بالذات لا يناسبني أيضاً، ولكنني فعلت ذلك مضطراً، إذْ كان رفيقي في السفر الأستاذ رحمة الله بن عناية الله قد سبقني أمس إلى اسطنبول، وسوف نسافر معاً مساء غد إلى طشقند ولكننا نحتاج إلى سمة دخول من السفارة المنغولية في اسطنبول، وكذلك من وكيل حكومة تاجيكستان في اسطنبول أيضاً، ولم أجد أية رحلة أخرى مناسبة.

وقد أعلنوا أن الطيران إلى اسطنبول من الرياض يستغرق ثلاث ساعات وخمساً وعشرين دقيقة.

من الطريف أن موعد هذه الرحلة التركية من الرياض لم يختلف منذ أكثر من عشر سنوات، إذْ كنت ركبت معها في ذلك الوقت، وقد ذكرت ذلك في كتاب: (نظرة إلى أوروبا الشرقية بعد سقوط الشيوعية) وهو كتاب مطبوع.

كان يخدم الدرجة التي نحن فيها مضيفتان لأنها كثيرة المقاعد وإن لم تشغل أكثر مقاعدها فأسرعتا بوجبة خفيفة لم يكن بعدها إلا النعاس، إلا أنني لست ممن يسرع إليهم النوم في الطائرة فقضيت أكثر الوقت مسهداً أحملق في الظلام الدامس خارج الطائرة، لأن مقعدي بجانب النافذة في الطائرة التي لم يكن فيها إلا منظر بعض الركاب الذين ناموا مفتوحة أفواههم، وكلهم من الأتراك فليس فيهم عربي واحد، وحتى ركاب الدرجة السياحية على كثرتهم ليس فيهم من العرب إلاّ عدد لا يذكر، أما سائرهم فإنهم من الأتراك الذين يعملون في الرياض.

وفي الساعة السادسة والنصف إلا خمس دقائق صباحاً كانت الطائرة تحوم فوق اسطنبول في جو شامس إذْ أشرقت الشمس عليها مبكرة، وليس في السماء أي شيء من الغيم.

وكان منظر اسطنبول من الجو جميلاً جداً إذْ يمتد مضيق البوسفور بين قسميها الأوروبي والآسيوي وتكثر في ضواحيها المباني الحديثة التي أكثرها ذات طوابق متعددة (عمارات)، وبعدها مما يلي الخلاء ربى تخضر بعضها تجللها أشجار الغابات.

ومن أجمل ما يراه المرء القادم بالطائرة إلى اسطنبول المآذن الرشيقة التي تزين كل منطقة، بل كل حي من أحيائها حتى الأحياء الجديدة بنوا فيها مساجد جديدة، رغم كثرة المساجد القديمة في اسطنبول، وكون الحكومة علمانية تعتبر بطبيعتها أن الاتجاه الديني ليس مذهبها.

هبطت في مطار اسطنبول في السادسة و٣٥ دقيقة صباحاً بتوقيت اسطنبول الصيفي الذي هو موافق لتوقيت المملكة.

ومن السخيف الطريف عندي في هذا المطار أنني كنت قلت لأم ناصر- زوجتي، أن تعد صندوقاً صغيراً من الورق المقوى (كرتوناً) تضع فيه تمراً في أكياس صغيرة من اللدائن هدية لإخواننا المشايخ في البلاد التي سنذهب إليها، لأن التمر فيها وبخاصة (السكريَّة) نفيس، فوضعت صندوقاً كبيراً فيه أكياس صغيرة ظناً منها أن الصغر يعود للأكياس وليس للصندوق، ولم أره مثل بقية أمتعتي إلاَّ في المطار لأنهم وضعوها في السيارة مباشرة إلى المطار.

وقد رأيت هذا الصندوق ثقيلاً جداً رجوت أن يكون في مطار اسطنبول حمالون يحملونه مع الأمتعة، ولكن لم يكن فيه أحد منهم، وإنما رأيت أحد القادمين معي من السفر يندفع إليَّ ويسلِّم ويقبل جبيني وإذا به تلميذي في الجامعة الإسلامية الشيخ أحمد صالح محايري وهو سوري يعمل الآن داعية إلى الله في البرازيل فأخبرته إنني سأحتاج إلى أن يعاونني على حمل الصندوق إلى العربة اليدوية، فأبى إلا حمله بنفسه وحده.

ولم يعترض أصحاب الجمرك عليَّ وقد لوحت لهم بجوازي الدبلوماسي، ولكنهم لم ينظروا إليه، ووجدت في استقبالي في المطار رفيقي في الرحلة الأستاذ رحمة الله بن عناية الله، وكنت أشفقت عليه من حمل صندوق التمر أيضاً، ولكن كان معه رجل شاب قوي حمل الأمتعة.

ذهبنا إلى فندق في اسطنبول كان الأخ رحمة الله حجز لي غرفة فيه، وهو (بيوك كيبات هوتيل) أي فندق كيبات الكبير، ولا أعرف كيبات هذا، وهو من ذوات النجوم الثلاث، كما كتبت مصلحة السياحة عليه واقع في منطقة بايزيد، فأسرعت إلى النوم في الغرفة بعد السهر.

مؤسسة وقف تركستان الشرقية:

رفيقي الأستاذ رحمة الله بن عناية الله تركستاني الأصل سعودي الجنسية، ورئيس مؤسسة وقف تركستان الشرقية اللواء المتقاعد محمد رضا بكن هو صديق لي أيضاً، وهو عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي لذلك عرف بقدومي ودعانا للغداء في هذا اليوم.

خرجنا إليه في الساعة الواحدة مشياً على الأقدام من فندقنا لأنه ليس بعيداً عنه، ووجدناه في استقبالنا في المقر المعهود للوقف الذي سبق أن زرته فتجولت فيه.

جلسنا في مكتبه قليلاً في غرفة قديمة المبنى، بل أثرية لأن سقفها كالطربوش من الآجر المعقود الذي يرتفع شيئاً فشيئاً فيما يشبه قباب المسجد الحرام في المبنى القديم.

تباحثنا في حال الإخوة التركستانيين الذين هم في الحقيقة أصل الأتراك وكيف أن الحكومة التركية والشعب التركي لا يعطونهم حقهم من العناية والتأييد، ولو لم يكن في ذلك إلا أنهم شعب مسلم كله، أو ١٠٠% كما يقال، وبخاصة في هذه الحكومة التركية الحاضرة التي شارك فيها الحزب القومي التركي.

وقد ذكر أن الأمر ليس بمفهوم إلا من ناحية كون الحكومة التركية حكومة علمانية لا تبالي- رسمياً- بمساعدة المسلمين حتى ولو كانوا بني عمومتها.

ثم تباحثنا في حالة الأتراك الدينية في الوقت الحاضر فأجمعت الآراء على أنها الآن أحسن مما كانت عليه قبل عشرين سنة، وكنا وجدنا معه اثنين أحدهما مدرس في كلية الإلهيات، ومتدين يتابع ذلك ويقومه، وقد ذكر هذا الأخ من الأمور الجديدة أن بعض حفلات الزواج صارت تخصص قاعة للرجال وأخرى للنساء، وهذا شيء لم يكن موجوداً من قبل.

كما ذكر أنه صار يوجد في ملحقات المدارس مكان لأداء الصلاة.

وذكر أن ابنه مدرس في مدرسة متوسطة، وأنه يأخذ تلامذته إلى أحد الجوامع الكبيرة يريهم إياها، ويعلمهم كيف يصلون فيها، و أنه لا أحد يعترض على ذلك، بخلاف ما كان عليه الأمر سابقاً.

بل ذكروا جميعاً أن الإقبال على أداء الصلوات جماعة قد زاد الآن زيادة كبيرة، وأن الزيادة شملت الرجال والنساء والشيوخ والشبان.

ثم انتقلنا إلى مائدة الـ عام في مقر الوقف فوجدناهم وضعوا المقدمة وهي السلطة والخبز والحساء التركستاني وهو الشربة الدسمة ثم جاءوا بالأرز معه لحم صغار ولحم مع خضرات، ثم أحضروا الشاي في أثناء الطعام فصاروا يشربونه وهم يأكلون.

تمشية في اسطنبول:

خرجنا مع الإخوة في تمشية على هذه المنطقة القديمة من اسطنبول مع أنه لم يبق في أسواقها ولا أبنيتها ما يشعر بالقدم إلاَّ المساجد والأبنية الدينية الأخرى كالمدارس الدينية القديمة.

ورأيت أكثر من محل واحد أظنها ثلاثة عليها كتابة بحروف عربية فظننتها دعاية بالعربية ولكن تبين أنها باللغة الفارسية وأنها مكاتب ترحيل المسافرين بين إيران وتركيا.

وعندما رأيت ذلك وأن الإيرانيين لم يغيروا حروف الكتابة العربية إلى اللاتينية كما فعل الأتراك وكذلك ذكرت الباكستانيين الذين يستعملون الحروف

العربية في لغتهـم الأردية تبادرت إلى ذهني المقارنة بين ما كسبه الأتراك أو ما يزعمون أنهم كسبوه من إلغاء الكتابة بالحروف العربية واتخاذهم الحروف اللاتينية لكتابتهم، وبين ما خسره الإيرانيون والباكستانيون، بالإبقاء عليها.

فوجدت أن الأتراك خسروا الامتداد لجذورهم التاريخية، فصاروا عاجزين عن قراءة الكتب والتراث التركي العريق المكتوب بالحروف العربية وهذه خسارة عظيمة فماذا كسبوا فيما يقولون مقابل هذه الخسارة الحقيقية.

إنه المحصول الثقافي العصري، ولن ندخل في تفاصيل ذلك لأنه يطول وإنما نذكر أن باكستان التي لم تغير الحروف العربية موجود في جامعات الغرب في أوروبا وأمريكا من الأساتذة والباحثين الباكستانيين أكثر مما يوجد فيها من الأتراك، وهذا أمر تحققت منه أثناء تجوالي في الولايات المتحدة الأمريكية.

ولم يمنعهم تمسكهم بالحروف العربية من الوصول إلى هذه المرتبة كما لم ينفع الأتراك تمسكهم بالحروف اللاتينية في الوصول إلى مثل هذه المنزلة.

وحتى بالنسبة للعلوم البحتية التجريبية فإن الباكستانيين قد تمكنوا من التفجير الذري بجهودهم الخاصة، وهم الآن يصنعون صواريخ لم تصل تركيا إلى صنع مثلها.

أما بالنسبة إلى إيران فالأمر ظاهر، وأنها في مستوى تركيا في هذه الأمور ولم يظهر للناس أن تركيا تتفوق عليها، والأمر يحتاج إلى بحث لا يسعنا أن ندعي هنا أننا اطلعنا على نتيجة لمثله.

العود ليس أحمد يا اسطنبول:

نعود الآن إلى اسطنبول بعد غياب نحو سنة ونصف، ولكن العود اليوم ليس أحمد لنا لأننا رأينا من أفعال المسئولين الحكوميين في تركيا ما أزعجنا بل أفزعنا حيث اتفقوا مع أعدائنا وأعداء الدين الإسلامي الحنيف اليهود لعنهم الله في أمور عسكرية كثيرة منها أمور تتصل بعداء اليهود لنا ومن ذلك أن تركيا وافقت أن تمنح اليهود أن يتدربوا في جوائها الواسعة على الطيران الحربي تمهيداً لاكتساب الخبرة المطلوبة في حرب الدول العربية ذات الجواء الواسعة إضافة إلى ما دفعوه من أموال لليهود لتحديث بعض الطائرات التركية الحربية، وبذلك أعطوا اليهود فرصة اقتصادية وحربية مهمة.

وبالنسبة للإخوة من الشعب التركي فإن العود ليس أحمد، لأن البلاد تتخبط الآن في الأزمة الاقتصادية الملحة حتى إن عملتها الوطنية فقدت ٤٠% من قيمتها في أيام معدودة، وقد ارتفعت أسعار الأطعمة الضرورية التي أهمها الخبز أضعافاً مضاعفة من دون أن تزيد الدخول بنسبة مقاربة لذلك.

ومن الطريف في هذا الأمر أنني دفعت لعامل الفندق الذي أوصل أمتعتي أكثر من مليون ليرة وهو دولار أمريكي واحد الذي يساوي ذلك.

وفنجال الشاي في مقهى راقٍ بمليون ليرة.

وبذلك يصح القول بأن الشعب التركي قد صار كله من الفقراء من (المليونيرات) وهم الذين يملكون الملايين ولكنها هنا ملايين النقود المنهارة[1].

---

(١) لقد حسن وضع البلاد التركية الآن- ١٤٣١هـ بالنسبة لما كان عليه من كل النواحي ولله الحمد.

البوسفور والبحر الأسود:

كرم الإخوة فأخذونا في جولة تشمل ضفاف البوسفور من جهة الغرب أو من جهة أوروبا حتى وصوله إلى البحر الأسود في الشمال.

غادرنا فندقنا (بيوك كيبات) فسلكنا شارعاً أفضى إلى عقود رومانية كنا عرفنا مثلها في تونس وأنحاء أخرى وهي عقود تركبها عقود بنيت من أجل أن نجري فوقها مياه من أماكن مرتفعة إلى أماكن مرتفعة أيضاً، ولكنها أقل منها ارتفاعاً.

ولدينا مثيل لها من عمل المسلمين وليس من عمل الرومان ولكنها تشبهها في الشكل وهي التي تنقل الماء من نهر النيل في مصر القديمة إلى قلعة صلاح الدين الأيوبي، وذلك أمر طبيعي عندما لم تكن هناك مضخات ترفع الماء.

عندما رأيت هذه العقود التي هي موجودة قبل دخول الأتراك إلى اسطنبول أو لنقل بلغة المؤرخين: قبل القسطنطينية ذكرت قوله تعالى: **(وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤها)**.

فهل وعي الأتراك المحدثون ذلك؟

لا شك أن كثيراً من الدلائل تدل على أن بعضهم لم يعوه، بل لم يلقوا إليه بالاً، وأكثر الأدلة على ذلك هو المظاهرة التي قام بها أحد الأحزاب أظنه (حزب الشعب الجمهوري) فسارت في شوارع اسطنبول تقول وتردد: لا للشريعة الإسلامية، لا للشريعة الإسلامية، مع أن الأتراك فتحوا اسطنبول باسم الشريعة الإسلامية، وحصلوا على الأمجاد العالمية بسبب تمسكهم بالشريعة الإسلامية، ولذلك عندما تركوها لم يبق لديهم ما يفاخرون به، إلاَّ التبعية للأوربيين، إن كان ذلك مما يفاخر به، وهو ليس كذلك.

ومما يأسف له المسلم أن اسطنبول التي كانت مركز الخلافة الإسلامية، وبالتالي نشر الإسلام بالحجة والسيف صارت في الوقت الحاضر مسرحاً لنفوذ اليهود، والمجاهرة بذلك.

خليج القرن الذهبي:

مررنا فوق جسر صغير اسمه (خليج القرن الذهبي) وهو موجود في القسم الأوروبي من اسطنبول، وعلى طرف شاطئ هذا الخليج للذاهب مثلنا إلى ميدان تقسيم مسجد مشرف ذو منارة رشيقة جميلة.

وهي واحدة من مئات المنارات والمآذن التي تزين منظر مدينة اسطنبول من كل اتجاه، ومن المدهش أن الأتراك لا يزالون يشيدون المزيد من المساجد، رغم كثرة المساجد الموجودة في مدينتهم.

إنهم يفعلون ذلك ويبنون المساجد في الأحياء الجديدة، وهذا أمر مفهوم ولكنهم يبنون أيضاً مساجد جديدة في الأحياء القديمة، إما لبعد المسجد من جزء من الحي، أو لكون المساجد التي فيه تمتلئ بالمصلين.

كان المرافقون معنا في الجولة اللواء المتقاعد محمد رضا بكن، وهو مثقف سياسيي عارف، وقائد السيارة، وهو مدرس في كلية، وشخص آخر إضافة إلى رفيقي في الرحلة الأستاذ رحمة الله بن عناية الله، ولذلك استفدت منهم في معرفة بعض الأمور الحاضرة التي تتعلق بالتاريخ القريب لتركيا.

أما التاريخ القديم لها فإنني قد قرأت عنه كثيراً.

اشترى السائق لسيارته وقوداً (بنزيناً) وذكر لنا ما عجبنا له وهو أن (اللتر) الواحد من البنزين يباع هنا بدولار أمريكي واحد.

وهذا غلاء فاحش ولذلك قالوا لنا: إن اقتناء سيارة في اسطنبول أمر مكلف جداً سواء من حيث نفقة الوقود اللازم لها أو من حيث قيمتها المرتفعة بسبب كثرة المكوس (الجمارك) عليها، وذكر المرافقون هنا أن تركيا تخسر

كثيراً من مقاطعة العراق التي كانت تستورد منها النفط وخسارتها مستمرة ولكنها لا تزال تواصل ذلك، لأن أمريكا تريد ذلك منها، وكان بإمكانها أن لا تطيع رأي أمريكا فيكون ذلك أعز لها وأشرف، وبذلك توفر على شعبها بلايين الدولارات التي خسرها بسبب مقاطعتها التجارة مع العراق.

ميدان تقسيم:

وصلنا إلى الميدان الشهير في اسطنبول وهو (ميدان تقسيم) وهو رمز الوجاهة والجدة في اسطنبول بحيث أن الغرفة في فندق جيد فيه وجميع فنادقه تعتبر جيدة تساوي أجرتها أكثر من ضعف أجرة مثيلتها في داخل المدينة.

وكنت نزلت فيه أكثر من مرة، وذكرت ذلك في كتابات سابقة غير أنني لم يعجبني فيه ضوضاؤه وكثرة الشركات والأعمال التجارية فيه.

وكنت أسأل عن السبب في تسميته (تقسيماً) مع أن اللفظ عربي ظاهر فلا أجد من يفيدني بذلك، وإنما ترك الجميع انطباعاً بأن ذلك راجع إلى تخطيطه وحسن تقسيمه، غير أن اللواء المتقاعد (محمد رضا بكن) أفادني الآن أن سببه أنه كان فيه خزان تقسيم مياه الشرب والاستعمال، بين الأحياء القريبة منه فسمي (تقسيم) بهذا الاعتبار، وذلك قبل أن يكون ميداناً رئيسياً جميلاً، قال: ولا يزال ذلك الخزان الذي سمي باسمه موجوداً ويقع في جهة الجنوب من الميدان، وقد اتخذ الميدان شكله هذا منذ عام ١٩٣٠م أو ما يقرب من ذلك.

البوسفور الشاهد:

انحدرنا من ميدان تقسيم إلى ضفة البوسفور الذي هو المضيق الذي يفصل بين قارتي آسيا وأوروبا ولكن ضفتيه كلتيهما تركية، وإن شئنا الدقة والصحة قلنا

إنهما عثمانيتان، لأن الخلفاء من آل عثمان هم الذين فتحوهما، وليس هؤلاء الأتراك السياسيون والعسكريون المعاصرون الذين تدل أقوالهم وأعمالهم في كثير من الأحيان على أنهم يبرؤون حتى من شرف تذكار الأمجاد الإسلامية التي قام بها الخلفاء فيجحدونها، ويعملون بخلاف ما تدل عليه مثلما قال لي أحد (الدبلوماسيين) العرب إنه كان في مجلس ضم طائفة من سفراء الدول الأجنبية في تركيا فأجمع رأيهم على أنهم لا يعرفون أمة تتنكر لأمجادها العظيمة وتحاول أن تتبرأ منها أو على الأقل تنساها ولا تذكرها مثل الأمة التركية.

وهذا المضيق الجميل المهم الذي افترض أهل القسطنطينية أو اسطنبول القدماء أنه يحميها شاهد على ما قدمه أسلاف الأتراك لأخلافهم من أمجاد إسلامية وقد شهد أيضاً ما جناه الأخلاف على الأسلاف حينما تبرؤا من أمجادهم بل صاروا يحاربون الأسباب التي أوصلتهم إليها.

ومضيق البوسفور هذا جميل حقاً وبخاصة إذا ما ارتفعت ضفتاه بمعنى أنه صار عليها جبل منقاد أو أكمات مرتفعة.

وصلنا إلى شاطئ البوسفور من تلقاء ميدان (تقسيم) على الشاطئ الأوروبي فصار أمامنا على الشاطئ الآسيوي (قاضي كوي) وهي محلة أو محلات في آسيا، وقاضي هي الكلمة العربية التي دخلت التركية مثلها مثل (تقسيم) وكوي يعنى قرية في الأصل باللغة التركية تعني محلة أو قسماً من المدينة.

منحنى أخضر قرب طريق البوسفور

ويطل على البوسفور من الجهة الأوروبية مسجد مهيب الطلعة ذو منارتين سامقتين يؤنس قلب المسلم، مثل مئات المساجد وألوف المآذن في اسطنبول.

وعلى ضفة البوسفور يقع قصر السلطان عبدالحميد وقد جعلوه الآن متحفاً.

ولا يمكن الخوض هنا في تاريخ السلاطين والخلفاء من آل عثمان، ومنهم السلطان عبدالحميد لأنه ملئ بالأمجاد وبالعبر من الأخطاء التي لا تعد شيئاً

بجانب الفتوحات العظيمة التي نشرت الإسلام وبخاصة في أوروبا الشرقيةإذْ بينما كان المسلمون ينهزمون في غرب أوروبا في الأندلس وتبع انهزامهم انحسار الدين الإسلامي عن تلك الرقعة من أوروبا التي كان استوطنها منذ أكثر من سبعمائة سنة آنذاك كان العثمانيون الأتراك ينشرون الإسلام في شرق القارة الأوروبية عن طريق الفتح وإدخال الناس في الدين الإسلامي عن طريق جعل البلاد بلاداً إسلامية من حيث المظهر الذي يتمثل في بناء المساجد والتكايا والمبرات الإسلامية وتعيين القضاة والمفتيين فيها حتى وصلوا في فتوحاتهم إلى أبواب مدينة فينا في النمسا وظلوا يحكمون المجر لمائة وسبعين سنة.

سرنا مع شارع الشاطئ الذي تسميه العامة بالكورنيش، وتحف بأكثره أشجار عالية مما يدل على أنها قديمة الغرس، ويزدحم بالسيارات إلى درجة أن المرء يحس فيه أكثر مما يحس في داخل اسطنبول بتلوث الهواء أو عدم نقائه لما تنفثه مداخن السيارات فيه.

وهذا الشاطئ الجميل جدير بالا يكون كذلك، بل أن يكون نقي الهواء بعيداً عن ضوضاء السيارات، وذلك يتمثل في إبعاد الشارع العام عن الشاطئ، لأن معظم السيارات التي تسير فيه تذهب بعيداً أو قريباً ولكنها لا تريد البسفور نفسه وإنما تريد المنازل والمحلات التي تطل عليه، فلو أبعد الشارع العام عنه مما يلي اليابسة لكان ذلك أصح موقعاً، وأنقى هواءً لمن يجلسون فيه، ويتنزهون عليه، ولكن ذلك يحتاج إلى جهود وأموال لا تملكها تركيا المريضة اقتصادياً في الوقت الحاضر.

ولفرط الزحام في هذا الشارع تعطل السير فيه أكثر من مرة، وبخاصة إذا وقفت السيارات صفوفاً طويلة أمام إشارات المرور.

ثم عطف الشارع بطريقة غير حادة إلى الداخل قليلاً، وضاق قليلاً وربما كان ذلك لأن السيارات التي تعبره تدخل في الأزقة والشوارع التي عليه.

جسر البوغاز:

هكذا أسموا أول جسر يصل ما بين الشاطئ الشرقي الجنوبي وهو الآسيوي والشاطئ الغربي الشمالي وهو الأوروبي بجسر البوغاز ولو بحثوا عن اسم من أسماء السلاطين العظام إن لم يريدوا علماً من أعلام الإسلام لاستطاعوا أن يجدوا عشرات يسمون هذا الجسر باسم أحدهم.

وكأنما تنبهوا لذلك في آخر الأمر حيث سموا الجسر الثاني باسم (جسر الفاتح)، و الجسر عجيب في هندسته فهو عالٍ علواً مفرطاً من أجل أن تمر السفن الكبيرة والصغيرة تحته، ولذلك رفعوا طرفيه على أعمدة من الحديد الصلب وأدخلوا شاطئ البوسفور تحته فكنا ونحن في شارع الشاطئ على اليابسة نمر من تحته ونراه من فوقنا عالياً علواً كبيراً.

ووجه العجب الأهم والأكبر فيه هو أنه ليس فيه عمود واحد بل يعتمد على أربطة فوقه من الحديد الصلب تتصل بالشاطئين فكأنه إذاً جسر معلق.

تجاوزنا هذا الجسر الذي كان مما استرعى انتباهي بل عجبي عندما زرت اسطنبول لأول مرة في عام ١٣٩٠هـ واستمر سيرنا في سير مرهق للأعصاب من شدة زحام السيارات وتلويثها الجو بأبخرتها إلاَّ أنه مع الزحام الشديد فإن آداب السير هي السائدة فلا يشاهد المرء تزاحماً وتدافعاً ومحاولة من بعض سائقي السيارات لتجاوز سيارة أخرى إلاَّ حيث يسمح النظام بذلك.

جسر الفاتح:

وصلنا إلى الجسر الثاني المقام على البوسفور وهو جسر الفاتح الذي يريدون به السلطان العظيم، بل الخليفة المجاهد (محمد...) الذي يسمى بالفاتح بعد فتحه القسطنطينية التي هي اسطنبول، وكان الصحابة في الصدر الأول وبالتحديد على زمن معاوية بن أبي سفيان ومن بعده من بني أمية حاولوا فتح القسطنطينية فأرسلوا الجيوش إليها حتى قيل إن الجيش الذي قاده مسلمة بن عبدالملك كان فيه الصحابي الجليل أبو أيوب الأنصاري، وإنه مات ودفن خارج أسوار القسطنطينية، حيث لم يستطع المسلمون فتحها آنذاك وادخر الله فتحها لهذه الأمة التركية بقيادة السلطان محمد الفاتح وقد توفي السلطان محمد الفاتح في ....

هذا وجسر الفاتح أقاموه حديثاً منذ خمس عشرة سنة، ولا يوجد على مضيق البوسفور هذا غير هذين الجسرين وهما يضيقان الآن بالسيارات التي تذهب أو تجيء من آسيا.

هذا وقد ساحل الطريق على ضيقه أي عاد إلى الشاطئ مباشرة، إلا أنه الآن أضيق مما كان عليه أول ما دخلناه.

والمنطقة معمورة بالبيوت والمحلات التجارية مما يلي أوروبا وحتى بالمشاة ومن بينهم نساء أكثرهن في زي غير محتشم، ولكن لا يعدم المرء أن يرى أختاً مسلمة محتشمة قد ارتدت لباساً طويلاً وغطاء للرأس مثلما عليه الحال داخل مدينة اسطنبول إلاَّ أن المرء يلاحظ أن غير المحتشمات أكثرهن يبالغن في إظهار أجسامهن، وكأنما هن يتحدين الاحتشام أو عامة الشعب التركي المسلم.

وقد استمر سيرنا جهة الشمال التي هي جهة الذهاب إلى البحر الأسود حتى

وصلنا إلى منطقة ريفية ضيقة رأيت كثيراً من الناس يصيدون السمك في البوسفور بالصنارات، وذكروا أن السمك هنا كثير لوجود أعشاب في قاع المضيق وفضلات مما يلقيه بعض الناس فيه مع أننا نراه على طول الشاطئ نظيفاً خالياً من الأوساخ والأقذار، ووصلنا إلى منطقة من أوروبا فيها جبال على الشاطئ عالية خضر تتناثر فيها منازل بيض وحمر السقوف مما جعلها ذات منظر أنيق.

وما زلنا سائرين حتى اتسع المضيق قليلاً واتسع شارع الشاطئ الذي نسير فيه وصار ذا اتجاهين بخلاف ما قبل ذلك حيث كان واحداً للسيارات الذاهبة والآيبة، مفصولاً بينهما بخط من الصباغ، إلا عندما دخلناه في محاذاة تقسيم فإنه كان ذا اتجاهين.

جلسة على الشاطئ:

اختار الإخوة جلسة في مقصف على شاطئ البوسفور داخل قليلاً في الخليج في مكان يسمى (ساريير) وهو من منطقة (ويلان) ويبعد ٥٠ كيلومتراً عن منطقة بايزيد التي فيها فندقنا وموقع المقصف من المضيق جيد، مع أن المطيق كله جيد المنظر والهواء ممتاز ليس فيه الحر الموجود في الغرفة في الفندق التي هي خالية من التكييف والمراوح.

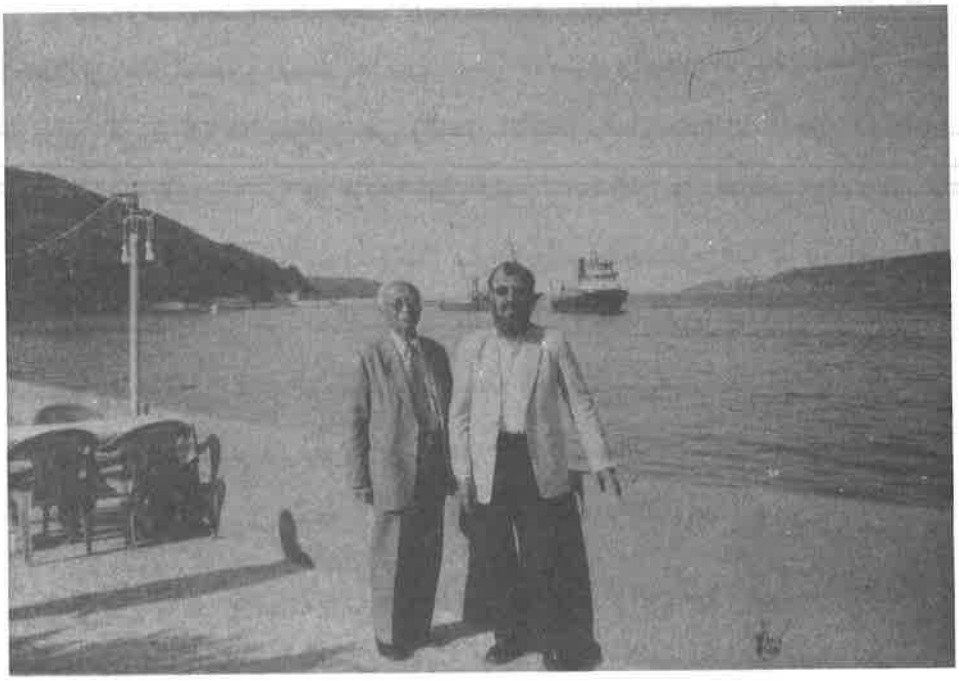

مع اللواء المتقاعد محمد رضا بكن على مضيق البوسفور

طلبنا شاياً أخضر فذكر أنه لا يوجد عنده إلا الشاي التركي الأحمر الذي يصنعونه على البخار فيبدو أحمر قاني الحمرة وكأنما كان يغلي ويأتون به في كاسات من الزجاج صغيرة ليس لها عرى ويحلونه بالسكر قبل أن يحضروه إلاَّ في المحلات الراقية حيث يأتون بالسكر وحده والعادة أن يشرب المرء كاساً واحدة ولكن بعضهم مثلنا اليوم شربنا أكثر من كأس للواحد.

وكان المقصف مليئاً بالرواد وفيهم نساء قد تخففن من اللباس ورأيت كثيراً منهم يشربون الشاي أو غيره من المشروبات ثم يذهبون بسرعة.

أما نحن فإننا كنا نتحدث أحاديث مفيدة مع رفقائنا وكلهم مثقف، وقال أحدنا: إن هذا المضيق يصل ما بين البحر الأسود والبحر الأبيض، هكذا اسم البحرين في تركيا فلا يقولون في (البحر الأبيض المتوسط) إلاَّ البحر الأبيض، وقال أحدنا والمضيق ما هو لونه؟ فقال آخر: ربما كان بين البياض والسواد، ما دام أنه يصل الأبيض بالأسود، وهذا مزاح وإنما الصحيح أننا نرى الماء في المضيق ونحن في هذا المقصف أخضر ليس ذلك لكون ماء البحر أخضر فحسب وإنما لكون قاع المحيط الذي تحت المقصف فيه طحالب خضر أو هي أعشاب بحرية خضر، وذكروا أن البحر الأبيض يبعد من هذا المكان الذي نحن فيه ٦٥ كيلومتراً، وأن البحر الأسود يبعد عنا خمسة كيلومترات.

ومعلوم أن البحر الأسود سمي بذلك لكون قاعه أسود في بعض جهاته فيما يظهر لمن ينظر إليه من سفينة أو نحوها، وكنت نظرت إليه مرة من طائرة قمنا معها من مدينة (سمبرفول) عاصمة إقليم القرم إلى مدينة سوشي على البحر وهي ميناء روسي مهم معروف، فرأيت قاع هذا البحر أسود من ارتفاع الطائرة ومن اقترابها من الأرض.

كما أنني شعرت بمثل ذلك وكنت راكباً في طائرة قامت من مدينة تفليس عاصمة جمهورية جورجيا قاصدة مدينة باطومي عاصمة جمهورية اجاريا وهي جمهورية مسلمة ذات استقلال ذاتي داخل جمهورية جورجيا، وقد ذكرت ذلك في كتاب: (جورجيا بلاد العربية الضائعة).

أما اسم البحر الأسود عند أسلافنا العرب فإنه ينطس أو بنطس أو نيطس على اختلاف بينهم في ذلك ورأيت الإمام البيروني أسماه بحر (طرابزنده) وهي المدينة التي صارت تعرف الآن باسم (طرابزون) وهي داخل جمهورية تركيا.

وأما اسم البحر الأبيض المتوسط فإنه عند أكثر أسلافنا من كتاب العربية القدماء: (بحر الروم) لأنهم أول ما عرفوه كان للروم أكثر شواطئه ولا سيما حول اسطنبول.

ويذكر أن اسمه بالتركية (قرا انس) بمعنى البحر الأسود لأن (قرا) أسود، وانس: بحر، وكذلك البحر الأبيض المتوسط اسمه (أق انس) لأن آق: أبيض بلغتهم، ولا يذكرون في اسمه لفظ (المتوسط).

التركية العثمانية:

اللغة التركية الأم أو الطورانية هي اللغة الأصيلة القديمة للأتراك كلهم وللأقوام التي (تتركت) على مر السنين، وقد تطورت منها لهجات أصبحت الآن لغات قائمة بأنفسها، وإن كانت تشترك في أشياء عديدة من الكلمات والتعبيرات، بل في كثير منها وهي كاللغة الأوزبكية والقازاقية، والقيرغيزية والتركمانية، لغة تركمانيا والآذرية: لغة جمهورية أذربيجان المستقلة حالياً واللغة التتارية واللغة البشكيرية ولغات قبائل وقوميات عديدة في جبال القوقاز كالقمق والبلكار.

ومن اللغات المتطورة من اللغة التركية اللغة العثمانية التي هي كانت لغة الناس في عهد السلاطين، وفيها كثير من الألفاظ والجمل والتعبيرات العربية وعندما تولى الحكم في تركيا مصطفى كمال الذي يسميه بعض الأتراك (أتاتورك) بمعنى أبي الترك لأن (أتا) والد ألف عصابة لغوية استبعدت كثيراً من تلك الكلمات والجمل العربية من اللغة العثمانية زعمت أنها بذلك تريد تنقيتها من الكلمات الأجنبية الدخيلة، وإن كانت لم تستطع أن تحذف إلاَّ مقادير محدودة من ذلك.

وبهذا بعدت اللغة التركية الحديثة التي يتكلم بها الأتراك في جمهورية تركيا الآن عن أخواتها أو لنقل بنات عمها اللغات الأخرى المنبثقة من اللغة التركية الأم التي ذكرناها.

عند البحر الأسود:

قال الإخوة: سوف نريك المضيق حين يتصل بالبحر الأسود واخترقنا مدينة أو لنقل قرية (دلايان) حاضرة المنطقة، ولم نقف فيها، ولكن الطريق انتهى إلى معسكر للجيش كتب عليه (ممنوع الدخول، منطقة عسكرية) وقد عرفت معنى ذلك قبل أن يخبرني القوم من كلمة (يصغ) بمعنى ممنوع وكانت تلك الكلمة موجودة مستعملة في لغتنا العامية، تلفظ فيها بلفظ (يصغ) ويصغة (يصك) وقد ذكرت ذلك في كتاب (كلمات قضت من لغتنا الدارجة) الذي طبعته دارة الملك عبدالعزيز في الرياض في مجلدين كبيرين، وقد استأذن لنا الأخ اللواء محمد رضا بكن من جندي كان واقفاً في المكان بالدخول فلم يأذن.

قرب نهاية البوسفور في جهة البحر الأسود

وبهذا لم نستطع أن نرى اقتران المضيق بالبحر الأسود بالضبط، وقد عوضنا الإخوة عن ذلك بالجلوس قليلاً في أقرب مقصف في أرض داخلة قليلاً في المضيق بحيث يرى المرء منها البحر الأسود.

وبدأنا العودة إلى اسطنبول في السادسة والربع مساءً مع الطريق نفسه وقد خف الزحام قليلاً، ولكن تلويث الهواء لا يزال موجوداً.

ولم نذهب إلى الفندق مباشرة وإنما ذهب الإخوة إلى مطعم كان في أحد قصور ثلاثة كان السلطان عبدالحميد يقضي فيها فصل الصيف، وتقع كلها وسط حديقة غناء فيها أشجار عالية ملتفة قديمة الغراس، ويشرف هذا المكان من شرفة مكشوفة واسعة،كانت فناء القصر المكشوف وقد نثروا فيها الموائد، ويرى من يكون فيها منظراً بديعاً هو منظر المضيق والضفة الآسيوية مرتفعة لأنها فوق هضبة وكانت الشمس لا تزال حية إلا أن ظلال بعض أشجار الحديقة قد بعثرت ضياءها، فغدا الجو في هذا المطعم حانياً لا حرَّ فيه ولا قر.

وما ذكره الإخوة مما يتعلق بهذا المطعم واثنين معه في القصرين الآخرين أنها كانت تابعة للبلدية فخسرت فأعطتها لشركة رأت أن منع الخمور فيها أكسب لها من أجل أن تأتي إليها الأسر التي لا تحب أن ترى الخمور تشرب، قالوا: فكانت النتيجة أن زاد إقبال الناس عليها وصارت تربح.

يوم الجمعة ١٤٢٢/٣/٩هـ- ٢٠٠١/٦/١م:

جمعة اسطنبول:

المراد بجمعة اسطنبول صلاة الجمعة فيها، كنت أريد أن أصلي في جامع مشهور عندنا هو جامع السليمانية، وقد زرته قديماً بغرض الصلاة لغير غرض الفرجة وهو الإطلاع على ما في مكتبة السليمانية من المخطوطات الثمينة النادرة بغية نقل نسخ لمكتبة الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، كان ذلك في عام ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٩م، وكنت أشغل آنذاك وظيفة الأمين العام للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وقد سافرت من المدينة ومعي الأخ عبدالرحمن السيف مدير مكتبة الجامعة من أجل زيادة تغذية المكتبة بكتب مخطوطة ومطبوعة واشترينا جملة صالحة من الكتب من بيروت ودمشق وحصلت بسبب علاقتي مع الشيخ فالح بن ناصر آل ثاني المقيم في لبنان آنذاك على مكتبة عظيمة كان جمعها وجلد كتبها فأهداها لمكتبة الجامعة الإسلامية جزاه الله خيراً.

ويقع فندقنا الذي نسكن فيه الآن في اسطنبول قريباً من جامع آخر فرأينا أن نصلي فيه بديلاً من جامع السليمانية الشهير الذي اقترح الرفقة أن نصلي فيه وبدلاً من جامع السلطان أحمد الذي يتميز بكونه ذا منارات أي مآذن ست بديلة من المآذن الأربع المعتادة.

ذهبنا إلى الجامع قبل الآذان ظناً منا أن الصلاة أوشكت على الإقامة ولكن تبين أنه لم يؤذن بعد، بل تبين أنه قد بقيت جملة صالحة من الوقت ورأينا الإمام جالساً في منبر ذي درج غير قصير بحيث يبلغ ارتفاعه عن الأرض نحو ثلاثة أمتار ولكنه في مكان غير المنبر الرسمي العالي ذاك إلى جانب المحراب وهذا في الجهة اليسرى من المسجد وهي الشرقية والإمام يعظ الناس باللغة التركية

وهذه عادة جيدة في بعض مساجد تركيا بل حتى في مساجد الأتراك في مهاجرهم رأيت ذلك في مساجدهم في أستراليا، ولم أكن أصلي في مساجد الأتراك إلاَّ مصادفة لأن صلاة الجمعة عندنا لا نتحرى أن نصليها في مسجد قوم دون قوم إلاّ إذا كان ذلك لحاجة أو لمعنى من المعاني.

ومساجد الأتراك في مهاجر المسلمين في أوروبا، وأمريكا يصلي فيها سائر الناس ولا يمنعون من أراد أن يصلي معهم، بل إنهم يرحبون به ويسلمون عليه كما هو معروف مشاهد، ولكن الأتراك لا يعرفون في الغالب غير لغتهم إلا ما كان من لغة التخاطب البسيط، بمعنى أنهم لا يفهمون الموعظة والدرس إلا إذا كانا باللغة التركية، لذلك تكون لهم مساجد خاصة، وهم على وجه العموم ذوو طبيعة انعزالية وحكومتهم تشجعهم على ذلك فترسل إليهم الأئمة من تركيا لكي يحافظوا على شخصيتهم المتميزة.

وهي تقول كما يقول أكثر الأتراك: إن وجود مساجد للأتراك معناه أن يتجنبوا الوقوع في المشكلات التي تحدث بين المسلمين، كما يمكنهم من عدم الخوض في المذاهب الأخرى.

وجدنا المسجد في غاية الفخامة وهو إلى ذلك في غاية الروعة لأن كل ما فيه يدل على السخاء في الإنفاق عليه، وكل ما فيه مستوحى من الفن التركي الأصيل سواء في النقوش أو المعلقات كالثريات الضخمة التي لا يصدق اتساعها حتى إن فيه واحدة يمكن أن تبلغ استدارتها ٨٠ متراً إلى جانب الفن المميز للأتراك في بناء المساجد وهو فن عربي مملوكي احتضنوه وطوروه.

لم يكن حضر من المصلين عندما دخلنا المسجد إلاَّ عشرات، وقد جلسنا مستندين إلى بعض الأعمدة الضخمة كما رأيتهم يفعلون وجلسنا بنية أن اللبث

في المسجد عبادة وإلا فإننا لا نفهم مما يقول الخطيب شيئاً، وأعني بذلك نفسي وأما رفيقي في الرحلة الأستاذ رحمة الله بن عناية الله فإنه يفهم التركية ولكنني لم أسأله عما إذا كان يفهم هذه الموعظة.

وسرعان ما صار الناس يفدون إلى المسجد في جماعات كثيرة.

وقد بقينا كذلك أكثر قليلاً من نصف ساعة.

الأذان والخطبة:

في الساعة الواحدة انتهى الخطيب من موعظته الخالصة للتركية ونزل من المنبر الصغير فتلا المؤذن بصوت عالٍ ومنغم (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما)، فقام المأمومون عند ذلك جميعاً وبنظام وصفوا صفوفاً متراصة حتى الذين كانوا يستندون إلى الأعمدة بادروا إلى القيام عنها والالتحام بالصفوف التي أصبحت كالذين في صلاة مفروضة لولا التفاوت بين المصلين في الركوع والسجود، وإن كان يجمع بين صلواتهم أنها صلاة سريعة فهم لا يطمئنون مثلنا في الصلاة يتبعون في ذلك مذهب الإمام أبي حنيفة الذي لا يشترط الطمأنينة في الصلاة، بمعنى أنه لا يقول: إنها شرط من شروط صحة الصلاة، بخلاف مذهب الحنابلة الذي نسير عليه فإن الطمأنينة من شروط الصلاة.

ولاحظ المرء أن الجميع قد اعتنوا بنظافة ثيابهم وما ظهر من أجسامهم وأكثرهم عليهم القلانس- أي الطواقي- ولكن فيهم نسبة من حاسري الرؤوس ونحن من أولئك الحاسرين.

وبعد أن انتهى الجميع من صلاة النافلة تسليمتين في أربع ركعات جهر المؤذن من مكبر الصوت بأذكار وصلوات على النبي صلى الله عليه وسلم قصيرة.

ثم صعد الإمام إلى المنبر الرئيسي بجانب المحراب وهو منبر عالٍ ضخم والإمام يسير متثاقلاً يصعد درجة درجة والمؤذن يتكلم من المكبر بما لا أفهمه ولكنه من باب التوشيح أو الصلوات على النبي صلى الله عليه وسلم حتى وصل إلى منتصف المنبر فجلس وابتدأ المؤذن بالأذان.

فخطب الإمام بعربية واضحة خطبة قصيرة ولكنها كافية مجزية لو كانت موجهة للعرب غير أنها موجهة للأتراك أخذاً بالسنة وإلا فإنه بعد أن أتمها جعل يخطب بالتركية، وكأنه بذلك يفسر ما ذكر في خطبته العربية ولكنه لم يطل، ثم جلس هنيهة نهض بعدها فخطب خطبة أخرى بالتركية قصيرة ثم أدى الصلاة خفيفة حتى القراءة فيها هي قصيرة.

وقد تقدمت عندما أقيمت الصلاة لقسم مرتفع في مقدمة المسجد ما بين المنبر إلى ما بعد المحراب، وذلك من أجل أن أنظر إلى الصفوف قبل أن يتفرق الناس فرأيت الناس قد امتلأ بهم المسجد على سعته.

والجديد في الأمر أن طائفة منهم وبخاصة من كانوا في الصفوف المتوسطة والأخيرة يخرجون من المسجد فور انتهاء الصلاة، وهذا أمر لم يكن يحدث من قبل، إذْ كانوا يتنفلون بعد الصلاة عدة ركعات تبلغ ثمانياً في الأغلب ولا يخلون بذلك حتى لا يستطيع من يريد الخروج من المسجد بعد الصلاة مباشرة أو بعد أن يصلي السنة ركعتين أن يخرج لتلاحم الصفوف.

ولكنني رأيت كثيراً من الناس يخرجون وبعضهم يصلي ركعتين ثم يخرج ماعدا من كانوا في الصفوف الأولى فإنهم أو أكثرهم بقوا يتنفلون على العادة القديمة.

لقد انتظرنا قليلاً حتى خف الناس فخرجنا ولا تزال في المسجد منهم بقية صالحة.

الغداء والفندق التركي:

من المقرر أن تقوم رحلتنا إلى طشقند في السابعة من هذا المساء فطلبنا من الفندق أن يمهلنا إلى الخامسة أو الرابعة في الغرف بالمعروف إن أمكن أو بدفع أجرة نصف يوم، عن الساعات الثلاث أو الأربع فامتنع من هذا أو ذاك، وقال: إذا بقيتم ساعة واحدة بعد الثانية عشرة حسبناها عليهم يوماً كاملاً، ونحن نحتاج إلى ساعتين أو ثلاث بعد الثانية عشرة للصلاة والغداء، لذلك صبرنا على حكم هذا الفندق التركي، وأنزلنا أمتعتنا من الغرف.

وكنا رأيناه يبث دعايات لنفسه، وكنا عزمنا على أن ننزل فيه في المرات القادمة لأنه رخيص وجيد، إذْ أجرة الغرفة فيه هي ٢٥ دولاراً أمريكية فقط، وكانت تساوي أكثر من ذلك بالدولار ولكن انخفاض قيمة عملتهم خفض الأجرة غير أن معاملته هذه جعلتنا نعيد النظر لأننا كنا عرفنا فنادق في أنحاء متعددة من العالم تسمح لنزلاتها بمزيد ساعتين أو ثلاث في الغرفة من باب تقوية الصلة بينهم وحسن السمعة، حدث لي ذلك في عدد من الفنادق في قارات العالم، وقد أنزلنا أمتعتنا إلى قاعة الاستقبال فيه وبقينا معها وقتاً.

أما عن الغداء فقد كان في مطعم غير بعيد من الفندق وهو كالمطاعم التركية والمطاعم الإندونيسية عندنا حيث يرى المرء أنواع الطعام فيختار منها ما يشاء ويدفع ثمنه ولكن الشيء المتميز فيه أن فيه لبناً مخيضاً طازجاً عليه رغوته يشربه المرء بارداً لذيذاً وقد وضعوه داخل ثلاجة ذات واجهة زجاجية فـ كاسات مفعمة باللبن الذي تعلوه رغوته، ولا أدري كيف يستطيعون إبقاء رغوته فوقه إلا إذا كانوا يهزون مكانه هزاً.

قبل الوصول إلى أوزبكستان

اعتدنا على أن نقدم بعض المعلومات العامة أو التاريخية عن البلد الذي قاربنا أن نصل إليه حتى يستطيع القارئ الكريم أن يعرف ذلك وأن يطالع ما نذكره عن واقعه من مشاهدات أو غيرها.

جمهورية أوزبكستان:

الموقع والجغرافيا:

تقع أوزبكستان في وسط آسيا الوسطى ما بين نهري سيحون وجيحون، وتضم معظم المناطق المهمة التي تقع شرق نهر جيحون بعد خروجه من طخرستان في أفغانستان.

ويشكل نهر جيحون في مجراه الأعلى قرب منبعه الحدود بين أفغانستان وتاجيكستان وأوزبكستان، وأراضيها عبارة عن منطقة جبلية في الجنوب الشرقي حيث الامتداد الغربي لجبال تنغري تاغ، ثم تميل تدريجياً نحو الغرب حتى صحراء قزيل قوم، حيث في طرفه الشمالي بحيرة آرال التي تكاد تجف بسبب الاستنزاف المفرط لمياه نهري سيحون وجيحون قبل وصولهما إليها، بينما تغطي وديان فرغانة وسير وزرافشان الجنوب، فإن وادي فرغانة يمتد إلى ركن الجنوب الشرقي لأوزبكستان ويبلغ طوله ٣٠٠ كيلومتر وعرضه ١٧٠ كيلومتر.

تبلغ مساحة أوزبكستان نحو ٤٤٧,٤٠٠ كيلومتر مربع وتتكون من ١٢ ولاية.

وجمهورية قره قلباقستان الذاتية الحكم جزء منها، وتشكل الأراضي الزراعية ٩%، وأراضي المحاصيل الدائمة ١%، والمراعي الدائمة ٤٦%، والغابات ٣%، وقدرت الأراضي المروية بنحو ٤٠,٠٠٠ كيلومتر مربع في عام ١٩٩٣م.

يوصف طقس أوزبكستان بالمناخ القاري المتطرف، حيث تتباين درجات

الحرارة بين الليل والنهار والصيف والشتاء بدرجة كبيرة، وتنخفض درجة الحرارة إلى أكثر من ٦ تحت الصفر في شهر يناير في الشتاء، بينما يصل ارتفاعها إلى أكثر من ٣٤ في شهر يوليو بالصيف، ويتساقط الثلج ما بين شهري ديسمبر وفبراير، ولكن ليس كثيفاً، وتعتبر صحراء (تزيل قوم) أكثر المناطق جفافاً في أوزبكستان.

الثروات الطبيعية والاقتصادية:

أوزبكستان بلاد جافة مغلقة تؤلف الزراعة ١٠% من أراضيها التي ترويها الأنهار، فقد كانت من أفقر جمهوريات الاتحاد السوفيتي سابقاً، وتعتبر حالياً ثالث دولة في تصدير القطن في العالم، ومع ذلك فالحكومة تتجه للاهتمام بزراعة القمح والأرز والشعير، كما تنتج الحرير الطبيعي.

ومن أهم معادنها الذهب والغاز الطبيعي، ويتوافر فيها أيضاً الزنك والنحاس والفضة والرصاص والليثيوم والفحم، كما اكتشف النفط في وادي فرغانة مؤخراً.

وتقوم الصناعة على صناعة الغزل والنسيج التي أخذت تتوسع في السنوات الأخيرة، وصناعة طائرات الركاب والنقل وبعض الصناعات الخفيفة والكيمائية والطاقة.

ورغم أن حكومة أوزبكستان اتخذت بعض الإصلاحات الاقتصادية، التي تتمثل في سياسة نقدية صارمة، والتوسع في التخصيص، وتشجيع الاستثمار الأجنبي، وتحديد تدخل الدولة في الاقتصاد، إلا أن ذلك لم ينجح، لأن سيطرة الدولة على الاقتصاد استمرت، حتى إنها لم تتمكن من الإيفاء بشروط صندوق النقد الدولي في توفير قرض لها بمبلغ ١٨٥ مليون دولار في عام ١٩٩٦م.

وبسبب الاقتصاد المغلق إلى حد كبير، لم تتأثر أوزبكستان بالاضطرابات المالية التي ضربت الأسواق في روسيا وآسيا.

وقد بلغ الإنتاج الوطني ٥٩,٣ بليون دولار، وكان الدخل الفردي هو ٢٥٠٠ دولار، والنمو السنوي ١% في عام ١٩٩٩م، وبلغت قيمة صادراتها ٢,٩ بليون دولار والواردات ٣,١ بليون دولار في عام ١٩٩٩م، والديون الخارجية ٣,٢ بليون دولار، في عام ١٩٩٨م، و يعتمد دخلها بشكل رئيسي على الزراعة بنسبة ٢٧% والصناعة ٢٧% والخدمات ٤٦%.

في نوفمبر عام ١٩٩٣م أصدرت أوزبكستان كوبونات نقدية لاستبدال الروبل الروسي، وفي يوليه عام ١٩٩٤م أصدرت (سوم) العملة الرسمية، وفي يونيه ٢٠٠١م كان الدولار الأمريكي يساوي ٨١٧ سوم.

حكومة أوزبكستان:

نظام جمهوري مع تمركز السلطة التنفيذية في رئاسة الجمهورية، ونظام الحكم هو نظام سوفياتي متطور حيث لا يزال النظام بمجمله غير مستقل في كثير من بنوده، ويتكون الجهاز الحكومي من الأجهزة الرئيسية الثلاثة:

١- الجهاز التنفيذي: ويرأسه إسلام كريموف الذي انتخبه مجلس السوفيت الأعلى حينذاك في ٢٤ مارس ١٩٩٠م، وتم إعادة انتخابه لمدة خمسة أعوام أخرى في ٩ يناير ٢٠٠٠، حيث حصل على نسبة ٩١,١%، بينما حصل منافسه عبد الحافظ جلالوف على ٤,٢% من الأصوات.

ومع أن الدستور ينص على فترتين رئاسيتين إلا أن الرئيس إسلام كريموف أجرى استفتاءاً عاماً على تمديد رئاسته حصل فيه على موافقة شعبية بنسبة ٩٩,٦% في ٢٦ مارس ١٩٩٥م كما أعلنته الحكومة.

ويرأس الحكومة حالياً أوتكور سلطانوف منذ ٢١ ديسمبر ١٩٩٥م، ويختار رئيس الجمهورية رئيس الحكومة ونوابه والوزراء ورؤساء اللجان والمؤسسات الحكومية و يصادق عليهم البرلمان المعروف باسم المجلس الأعلى.

٢- الجهاز التشريعي: يتمثل في المجلس الأعلى وهو البرلمان الذي يضم ٢٥٠ عضواً، يتم انتخابهم شعبياً لمدة خمسة أعوام، والمجلس الحالي تم انتخاب أعضائه في ٥ ديسمبر ١٩٩٩م، ويتكون من ٣٢ عضواً من الحزب الديمقراطي الشعبي، و١٩ من المتطوعين، و٩ من حزب الترقي الوطني، و٩ من حزب العدالة الاجتماعية الديمقراطية، و٦ من حزم النهضة الوطنية، و٩٨ من الحكومات المحلية، و١١ من المجموعات المستقلة، و٦٦ آخرين.

وبالإضافة إلى الأحزاب التي تشارك في البرلمان هناك أحزاب محظورة منها:

- حركة الوحدة: رئيسها عبدالرحيم بولات لاجئ في أمريكا.
- الحزب الديمقراطي الحر: رئيسه محمد صلاح لاجئ في تركيا.
- جمعية حقوق الإنسان: رئيسها عبدالمناف بولات لاجئ في أمريكا.
- جمعية حقوق الإنسان المستقلة: رئيسها مخائيل ارازينوف.

٣- الجهاز القضائي: المحكمة الدستورية والمحكمة العليا هما أعلى سلطتين قضائيتين، وتتبع المحكمة العليا محاكم محلية متنوعة.

ورغم أن المادة ١٠٦ من الدستور تؤكد أن الجهاز القضائي مستقل عن الجهازين التنفيذي والتشريعي، إلا أن رئيس الجمهورية هو الذي يعين القضاة، ولا يزال النظام القضائي لم يتغير كثيراً عما كان عليه في زمن الاتحاد السوفيتي.

السكان:

قدر عدد سكان أوزبكستان بنحو ٢٤,٧٥٥,٥١٩ نسمة بموجب تقديرات يوليه عام ٢٠٠٠م، ويعمل من القوى العاملة ٤٤% في الزراعة و٢٠% في الصناعة و٣٦% في الخدمات.

ونسبة النمو الطبيعي هي ١,٣% في السنة، ونسبة الكثافة السكانية ٥٥ في كل كيلومتر مربع واحد.

ويعيش ٤٢% من السكان في الحضر، وبلغت نسبة البطالة ١٥%.

والقوميات التي يتكون منها السكان هي: الأوزبك ٨٠%، والروس ٥,٥%، والتاجيك ٥%، و القازاق ٣%، وقرا قلباق ٢,٥%، والتتار ١,٥%، وآخرون ١,٥.

ومنذ استقلال أوزبكستان غادرها آلاف من تتار القرم والروس والألمان وأتراك المسخيت والشيشان والكوريين، الذين كان الدكتاتور جوزيف ستالين هجّرهم إليها في أعقاب الحرب العالمية الثانية.

وفي إحصاء عام ١٩٨٩م كان عدد الأوزبك الذين يعيشون في خارج جمهوريتهم في رابطة الدول المستقلة هو ٢,٥٤٣,٧٦٥نسمة، ويتمركزون في الجمهوريات الأربع الشقيقة كالآتي:

- قازاقستان ١,٨% من سكانها أوزبك.
- قيرغيزستان ١٢,١% من سكانها أوزبك.
- تاجيكستان ٢٢,٩% من سكانها أوزبك.
- تركمانستان ٨,٥% من سكانها أوزبك.

وفي أوزبكستان يعتنق ٨٨% من السكان الإسلام وغالبيتهم من السنة، ومنهم ٩% يتبعون الأرذوثوكسية وآخرون ٥%.

اللغة الرسمية هي الأوزبكية التي تكتب بالحروف السلافية مع منهج رسمي لاستعمال الأحرف اللاتينية تماماً بحلول عام ٢٠٠٥م، كما يستعمل السكان اللغتين الروسية والتاجيكية.

من هم الأوزبك؟

قبائل أورده وشيبان ومانغيت التي كانت تقطن سهوب (دشت قفجاق) التي تقع في ما بين نهر الفولغا الأدنى والمجرى الأسفل لنهر سرداريا في القرن الرابع عشر الميلادي.

لقد شكلت اتحاداً قبلياً باسم أوزبك نسبة إلى الملك محمد خان أوزبك ملك دولة التون أورده فيما بين ١٣٢٢- ١٣٤٢م، وقد تولى زعامة هذا الاتحاد القبلي أبو الخير خان رئيس قبيلة شيبان في ١٤١٢م.

غير أن مجموعة من القبائل التي كانت بقيادة جاني بك وكيراي ثارت على الملك أبو الخير خان، ثم استقلت أثر وفاته عام ١٤٦٨.

وبينما عرفت هذه القبائل المستقلة بالقازاق، أطلق اسم الأوزبك على القبائل التي خضعت للأمير محمد شيباني حفيد الملك أبو الخير خان، الذي استطاع أن يتغلب على حكم أحفاد تيمورلنك بالاستيلاء على سمرقند في عام ١٥٠٠م.

وكان اتحاد أوزبك القبلي يتكون من ٩٧ قبيلة، ولكن بعد استقرارهم في بلاد ما وراء النهر واختلاطهم بالحضر سكان المدن و الأرياف ظهرت ثلاث مجموعات هي:

١- السارت: وهم الحضر من سكان المدن، ويشكلون الأغلبية لسكان أوزبكستان حالياً.
٢- الأتراك: من أحفاد قبائل الأوغوز الذين يحتفظون بأصولهم القبلية، مثل قبائل القارلوق، وبارلاس.
٣- القبجاق الذين يحتفظون بعشائرهم وانتماءاتهم القبلية، مثل قونقورت، ومانغوت، وكوراما.

التاريخ:

تأسست دولة أوزبكستان بشكلها القومي والاسمي والسياسي الحالي بتاريخ ٢٧ أكتوبر ١٩٢٤م، على إثر قرار اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي في ١٩٢٤/١٠/١٨م، القاضي بإلغاء جمهورية تركستان السوفيتية وإنشاء جمهورية آسيا الوسطى السوفيتية ضمن الاتحاد الفيدرالي لجمهوريات السوفيت الاشتراكية، وعلى إثر انهيار النظام السوفيتي أعلنت أوزبكستان استقلالها في ٣١ أغسطس ١٩٩١م.

وإذاً كان هذا هو تاريخ ظهور هذه الدولة الفتية، إلا أن ماضي هذه البلاد عريق في القدم فقد غزاها الاسكندر المقدوني في عام ٣٠٠ ق.م، وبقيت في ملكه إلى حين موته عام ٣٢٨ق.م، ثم فتحها العرب المسلمون، حيث عبر عبيد الله بن زياد نهر جيحون، وفتح بيكند وحاصر بخارى، وصالحه أهلها عام ٥٤هـ.

ولكن الحكم الإسلامي لم يستتب إلا على يد قتيبة بن مسلم الباهلي، الذي بنى أول مسجد في بخارى عام ٩٤هـ.

وكانت بلاد ما وراء النهر التي تشكل الجزء الأكبر من أوزبكستان الحالية إقليماً إدارياً، يرتبط بوالي خراسان الذي كان يتبع والي المشرق في

عهد الخلافة الأموية، ثم انفصلت عن خراسان، وأصبح ارتباطها مباشرة بالخلافة العباسية في بغداد.

وقد ازدهرت منطقة ما وراء النهر خلال الحكم الإسلامي، وبخاصة في عهد السامانية، حتى غدت مدنها بخارى و سمرقند من أهم مراكز الثقافة الإسلامية والعلمية في العالم حينذاك، ثم تعرضت لغزو المغول وتدميرهم لها، ولكنها استعادت رونقها خلال حكم تيمورلنك وخلفائه، غير أن انهيار دولة التون أورده الإسلامية التي سيطرت على شمال آسيا، أدى إلى قيام دويلات عدة متناحرة عجلت في سقوطها أمام الغزو الروسي، الذي احتل طشقند عام ١٨٦٥م، ثم بخارى عام ١٨٦٦م، وخيوة عام ١٨٧٣م، وخوقند عام ١٨٧٦م.

وخلال الثورة الشيوعية التي عمت الإمبراطورية الروسية في عام ١٩١٧م، تمكّن المسلمون من تأسيس حكومات وطنية هي:

- جمهورية خوقند تركستان الوطنية في ١٩١٧/١٢/٩م.
- جمهورية بخارى الشعبية في ١٩١٨/٣/٢٥م.
- جمهورية خيوه (خوارزم) الوطنية في ١٩١٨/٩/٣م.

غير أن القيادة السوفيتية التي اعترفت بالحكم الذاتي لجمهورية بخارى الشعبية في ١٤ مارس ١٩٢١م، وجمهورية خيوة الوطنية في ١٣ ديسمبر ١٩٢١م، أمرت الجيش الأحمر بغزو خيوة في ١٩٢٤/٩/٢م، وبخارى في ١٩٢٤/٩/٢٠م، وكان قبل ذلك قد احتل خوقند.

وعلى أمل الاستقلال المبكر سعي التركستانيون إلى تحقيق وحدة بلادهم، وتأمين الحكم الذاتي لهم، كما جاء في اقتراحهم المقدم إلى لينين الذي تضمن إنشاء

جمهورية تركستان السوفيتية وجعل طشقند عاصمة لها، إلا أن لينين قدم الاقتراح إلى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي، لاتخاذ قرار بشأن إيجاد وحدة إدارية واحدة لعموم تركستان أو تقسيمها إلى وحدات إدارية صغيرة.

وفي ١٩٢٤/١٠/١٨م، صدر قرار اللجنة المركزية الذي يتضمن إلغاء جمهورية تركستان السوفيتية الاشتراكية الذاتية الحكم، وإنشاء جمهوريات سوفيتية اشتراكية لقبائل القازاق والأوزبك والقيرغيز والتركمان والتاجيك، وبهذا ظهرت وحدات سياسية لم تكن موجودة في السابق على مسرح التاريخ.

الإسلام والمسلمون:

مدن بلاد ما وراء النهر احتلت مكانة سامية بمدارسها الإسلامية وعلمائها الأعلام في العهد الإسلامي، وغدت مراكز حضارة وثقافة تهفو إليها نفوس طلاب العلم والأدب من كل حدب وصوب، ثم تعرضت لأبشع دمار و خراب، وتقتيل لأهل العلم وطلابه، ومنيت خزائنها المليئة بالكتب الإسلامية بالحرق والإتلاف، وعانى المسلمون صنوف الاضطهاد الديني، ونشر الكفر و الإلحاد بالقوة، والفتك والقتل الذي طال الأئمة والعلماء وطلاب العلم إبان الحكم الشيوعي السوفيتي.

إلا أن أوزبكستان ظهرت بمظهر دراسي بشكل محدود بسبب النظام الشيوعي المعادي للإسلام، المؤثر في كل بلدان الاتحاد السوفيتي، وبخاصة من خلال مدرسة مير عرب التي افتتحت في بخارى ١٩٤٨م، ومعهد الإمام البخاري الذي تأسس في طشقند عام ١٩٥٦م، وهما المؤسستان العلميتان اللتان كانتا تمدان المسلمين بالأئمة والدعاة في الاتحاد السوفيتي كله، وما كانت هاتان المدرستان إلا شكلاً ظاهرياً، يأخذ بالصفة الرسمية التي تلتزم بالقيود السوفيتية، لأن التعليم الإسلامي الحقيقي كان يتم في الخفاء كما ورثه الناس عن علمائهم السابقين.

ومما يوضح هذا الوضع الإسلامي المتميز في أوزبكستان أن التغيير حدث فيها قبل انهيار الاتحاد السوفيتي واستقلال جمهورياته، حيث ثار المسلمون ضد الدكتور شمس الدين باباخانوف رئيس الإدارة الدينية لآسيا الوسطى وقازاقستان في يوم الجمعة ١٤٠٩/٦/٢٧هـ، وتولت قيادة المسلمين شخصيات إسلامية أكثر تمسكاً بالإسلام وعملاً له.

وهكذا قبل انهيار النظام السوفيتي واستقلال أوزبكستان، كانت الإدارة الدينية الإسلامية الجديدة قد أعلنت تغييرها وانتهاجها أسلوباً أكثر تحرراً في خدمة الإسلام والمسلمين، وقد استفادت من الانفتاح الذي عقب الاستقلال في تكثيف نشاطها وأعمالها.

غير أن القوى المعادية التي كانت تتابع نشاط المسلمين، ومدى تمسكهم الديني في الاتحاد السوفيتي قبل سقوطه، أصابها الرعب والخوف من هذا الانبعاث الإسلامي، وخشيت من أثره في السياسة الإقليمية والدولية.

ويقول بحث نشره مكتب البحوث في وزارة الإعلام الأمريكية في واشنطن بتاريخ ٣٠ سبتمبر ١٩٩٢م: (يرى ثلاثة أخماس الأوزبك ومواطنو آسيا الوسطى أن التعاليم الإسلامية يجب أن يكون لها دور عظيم في حياة أوزبكستان والعُشر فقط من الروس وآخرين من غير آسيا الوسطى ويعيشون في أوزبكستان يفضلون أن لا يكون هناك دور أكبر للإسلام في المجتمع)، إن الهوية العرقية (يعني مواطني آسيا الوسطى الأصلاء) تعتقد في الإسلام وتتجه نحو دور أكبر له في المجتمع.

إن نتائج هذا البحث وأمثاله التي أجرتها هيئات غير إسلامية أثارت مخاوف القوى المعادية واتخذت من تزايد النفوذ الإسلامي في تاجيكستان وسيلة لإشعال حرب أهلية فيها، وذريعة لضرب الإسلاميين في أوزبكستان.

وفي الوقت الذي شنت حكومة تاجيكستان المجاورة هجوماً ضد الإسلاميين، قامت حكومة أوزبكستان بسلسلة واسعة من الاعتقالات ضد أئمة المسلمين وعلمائهم، وأعادت إلى الإدارة الدينية الإسلامية موظفيها السابقين في العهد السوفيتي الشيوعي، وهرب بعض زعماء المسلمين إلى خارج أوزبكستان، خوفاً من البطش والتنكيل، وبخاصة بعد الانفجار الذي حدث في طشقند بتاريخ ١٩٩٩/٢/١٦م.

وتفيد بعض المصادر الإسلامية أن عدد الأئمة وطلاب العلم المسجونين يصل إلى نحو خمسة الآف شخص، وعدد المساجد التي أغلقت نحو مائة من المساجد، حيث أجرى البرلمان (المجلس الأعلى) الأوزبكي تعديلاً في قانون عام ١٩٩١م الذي كان يجيز تكوين جمعية المسجد من عشرة أعضاء، فرفع العدد إلى مائة عضو في ١٩٩٨/٥/١م.

بالإضافة إلى ممارسة السلطات لمئات من الاغتيالات للأئمة والعلماء الذين يسعون لعودة الإسلام إلى حياة المسلمين ومجتمعهم، فإن استبداد/السلطات الأوزبكية وقسوتها دفع الجماعات الإسلامية والوطنية إلى تلمس وسائل مختلفة لرفع هذا الاضطهاد ومقاومة الظلم، والتجأت جماعة من الأوزبك مع المجاهدين الناجيك إلى أفغانستان، وأخذت العدة للمقاومة المسلحة.

وخلاصة الوضع الإسلامي في أوزبكستان كالآتي:

يسيطر على المجتمع الإسلامي الحديث المتحرر من السيطرة السوفيتية عدة جماعات إسلامية سياسية وفكرية من أهمها:

- حزب التحرير: وهو امتداد لحزب التحرير الذي أسسه الشيخ تقي الدين النبهاني الفلسطيني في عام ١٩٥٢م، وتقوم دعوة حزب التحرير على

وجوب إعادة الخلافة الإسلامية، معتمداً على الفكر أداة رئيسية في التغيير، ويدعون أن لهم في طشقند وحدها أكثر من ستين ألف عضو ويترأس هذا الحزب أحرار عبدالرحمن.

- الحركة الإسلامية: التي يتزعمها طاهر يولداش ظهرت باسم جيش العدالة في نمنكان وقادها حاكموف ساتيم جان وقاد أول مظاهرة ضد الرئيس إسلام كريموف عند زيارته نمنكان في ديسمبر ١٩٩١م، ثم هرب يولداش إلى تاجيكستان، حيث ألف جيش الإسلام، وحارب مع المجاهدين التاجيك، ثم التجأ إلى أفغانستان.

وتهدف هذه الحركة التي اتخذت مؤخراً اسم حزب تركستان الإسلامي، إلى إقامة الحكم الإسلامي في جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية.

وفي ١٥ سبتمبر ٢٠٠٠م، أصدرت الإدارة الأمريكية قراراً يعتبر هذه الحركة الإسلامية منظمة إرهابية.

حزب النهضة الإسلامية الذي تأسس برئاسة الدكتور أحمد قاضي في داغستان قبل انهيار الاتحاد السوفيتي، افتتح فرعاً له في طشقند برئاسة الشيخ عبدالله قاري اتاوا في يناير ١٩٩١م.

بالإضافة إلى ذلك هناك حرباً ايرك (الاستقلال) وبرليك (الوحدة) الوطنيان إلا أن هذه الأحزاب كانت محدودة الأعضاء، ومع ذلك فقد تميزت بالنشاط السياسي، والرغبة في التغيير والحكم، ولكن حركة الإصلاح والصحوة الإسلامية التي يقودها علماء سلفيون يرون أن التغيير لابد أن يكون من القاعدة، وهؤلاء يحاربون البدع والخرافات.

ويذكر أن أثر السلفية في أوزبكستان والمسلمين في روسيا القيصرية يعود إلى القرن التاسع عشر الميلادي عندما قامت حركة إصلاحية إسلامية باسم

التجديد تأثر روادها بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب والحركات الإصلاحية في العالم الإسلامي وقد عاد الأوزبك الدارسون مثلاً في الهند بأفكار سلفية حينذاك، واستمر طلاب العالم ملا محمد هندستاني من فرغانة يحملون أفكاره السلفية إلى اليوم، وهي معقل السلفية في آسيا الوسطى.

ولم يستعمل مصطلح الوهابية الذي يطلقه بعض المغرضين على المذهب السلفي على حركة الإصلاح المعروفة بالتجديد حينذاك، ولكنها كما يقول أ. مؤمنوف: إن المستشرق الروسي ميلوسلافسكي Miloslavski هو أول من استعملها في الاتحاد السوفيتي في عام ١٩٧٠م، ثم أشاعت استعمالها الاستخبارات الروسية KGB، وذلك للإشارة إلى القوى الإسلامية التي كانت تعارض الغزو السوفيتي لأفغانستان، وتقاومه وتسببت في مآسي شعوب الاتحاد السوفيتي السابق.

ولكن عندما انهار النظام السوفيتي وتزايد النشاط الإسلامي بسبب الدعم المادي والمعنوي من مؤسسات وهيئات إسلامية تنتهج خط الإصلاح والعودة إلى أصول الإسلام، وأكثرها من دول الخليج العربي وباكستان وتركيا، وعاد الطلاب الدارسون في تلك البلدان الإسلامية مؤهلين للإرشاد والتوعية، ووجد الدعاة والمصلحون دعماً أدبياً ومعونات مالية لنشاطهم، عملت القوى المعادية للإسلام على تخويف الشعوب المسلمة في آسيا الوسطى من تكرار ما حدث لها في أفغانستان بسبب ذلك الدعم الإسلامي للمجاهدين.

وصارت سلطات الرئيس إسلام كريموف بدون تمييز بين مبادئ الحركات الإسلامية تطلق مصطلح الوهابية على كل الشخصيات والجماعات الإسلامية التي تعمل على تحقيق الرغبات الروحية للمسلمين بدون استثناء، حتى المساجد أمرت بنزع مكبرات الصوت منها ومنع الأئمة من الخطب والموعظة إلا بتصريح رسمي من الأجهزة الأمنية.

ويقول ناصر زاكر أحد الناشطين في حقوق الإنسان في نمنكان: إن الحركات الديمقراطية العلمانية لا تشكل تهديداً كبيراً للإسلام، بل سلطات الرئيس كريموف هي العقبة للإسلام، فهي التي تقف في طريقه.

وقد ذكرت شبكة معلومات مجلس اتحاد حقوق الإنسان في آسيا الوسطى وجمعية حقوق الإنسان في أوزبكستان أن سلطات الرئيس كريموف حكمت على عدد من الأئمة وطلاب العلم، بالسجن بتهمة الوهابية، ومن ذلك ما صدر في ١١ يناير ١٩٩٩م بالسجن لمدة ١٢ عاماً على كل من:

- عالم جان يوسف المولود في ١٩٥٦م.
- عقيل خان ضياء خان المولود في ١٩٥٢م.
- حسن عبدالصمد المولود في ١٩٦٣م.
- مولان بك بيك خوجه المولود في ١٩٦٢م.

ولم تثبت عليهم إطلاقاً أي دعوة إلى العنف أو المقاومة، ولم يكن من نشاطهم نشر الكتب أو الأشرطة الدينية، كما لم تثبت علاقتهم بمن يسمون شيوخ الوهابية أمثال الشيخ عابد خان قاري أو الشيخ تلقين قاري.

إنتهى.

تسمية (أوزبكستان):

سميت هذه البلاد باوزبكستان التي تعني بلاد الأوزبك، والأزبك أقوام من المسلمين منسوبون إلى السلطان العظيم محمد أوزبك خان، سبق ذكر قبائلهم الأولى.

قال الشيخ محمود الرمزي في كتابه النفيس: (تلفيق الأخبار، عن بلاد البلغار والتتار):

الملك المظفر غياث الدين السلطان محمد أوزبك بن ظفر لجا بن الملك منكوتيمر لما توفي عمه الملك طقطاي مال الأمراء وأعيان المملكة وأركان الدولة إلى طرفه لما رأوا من رشده وشجاعته وصلاحيته للملك وقابليته وزيادة استعداده للسلطنة وشهامته فبايعوه بالسلطنة وأجلسوه على كرسي المملكة الصاينية وتحت سلطنة الجكزخانية في شهر رمضان من السنة المذكورة.

قال المفضل: وفي سنة ٧١٢ في أواخر شهر رمضان جلس على سرير الملك ببلاد صحراء القفجق وما والاها الملك أوزبك خان بن طغرلجا بن منكوتيمر، وكانت ولايته بعد عمه طقطاي بن منكوتيمر قيل إنه شاب حسن الصورة فائق الجمال حسن الإسلام شجاع مقدام قتل عدة من الأمراء والأعيان وقتل جماعة من البخشية والسحرة.

وقال الذهبي بعد ذكر وفاة الملك طقطاي: وقام في الملك السلطان أوزبك خان وهو بطل شجاع مليح الصورة مسلم فاباد طائفة من الأمراء والسحرة تسلطن في رمضان سنة ٧١٢هـ، وامتدت أيامه نحو ثلاثين سنة وصاهر السلطان الملك الناصر – ملك مصر والشام- على أخته، ومملكته شمالي شرق وهي من بحر قسطنطينية إلى نهر ارتش مسافة ثمانمائة فرسخ وعرضها من

باب الأبواب إلى مدينة بلغار وذلك نحو ستمائة فرسخ لكن أكثر ذلك مراعي وقرى ولها في أيدي التتار (يعني في عصر الذهبي) مائة سنة، وكانت قبله لملوك قفجق اهـ بحروفه.

وقال ابن كثير: وقام بعده أي الملك طقطاي ابن أخيه أوزبك خان وكان مسلماً فأظهر دين الإسلام ببلاده، وقتل خلقاً من أمراء الكفرة وعلت الشريعة المحمدية على سائر الملل هناك ولله الحمد والمنة.

وقال البرزالي: وكان للملك طقطاي ولد لم ير في الجمال أحسن منه، وكان على دين الإسلام يحب سماع تلاوة القرآن وإن لم يفهمه، وكان قد نوى أنه إن ملك البلاد لا يترك في مملكته غير الإسلام فمات في حياة والده وترك ولداً فعهد طقطاي إلى ابن ابنه المذكور فلم يتم له الأمر واستولى على الملك بعده ابن أخيه أوزبك خان وهو شاب حسن الصورة أيضاً فائق الجمال حسن الإسلام شجاع قتل عدة من الأمراء والأعيان وقتل جماعة كثيرة من الإيغورية وهم البخشية والسحرة وأظهر كلمة الإسلام، وجلس على سرير الملك في أواخر رمضان من هذه السنة ٧١٢هـ.

وهذه المملكة هي المشهورة ببملكة بركة ابن عم هولاكو.

وذكر الشيخ الفاضل علاء الدين نعمان الخوارزمي الحنفي لما قدم دمشق سنة ٧١٧: أن طول هذه المملكة مسيرة ثمانية أشهر وعرضها ستة أشهر والله أعلم.

وقال ابن خلدون: ولما هلك طقطاي بايع نائبه قطلقتيمر لاوزبيك ابن أخيه طغرلجا باشارة الخاتون بيالون زوجة أبيه طغرلجا وعاهده على الإسلام، فأسلم واتخذ مسجداً للصلاة وأنكر عليه بعض امرائه فقتلهم وتزوج الخاتون بيالون.

وولي قطلقتيمر نائب عمه على خوارزم واوركانج وعزل عنها اخا الخاتون بيالون وكانت المواصلة بين طقطاي وملوك مصر دائمة ومات طقطاي ورسله عند الملك الناصر محمد بن قلاوون فرجعوا إلى أوزبك مكرمين وجدد أوزبك الولاية معه.

وقال ابن دوقمق والعيني بعده: إن طقطاي لما مات لم يخلف ولداً ذكراً ولا أنثى، وكان طقلقتيمر يتولى تدبير المملكة في حياة طقطاي وترتيب أحوالها، وجباية أموالها وهذا الأمير له أخوان وهما سراي تيمر ومحمد خواجه فدبرا له الأمر واستعان هو بخاتون كبير من خواتينهم كانت زوجة طغرلجا بن منكو تيمر من باتوين جوجي بن جنكيزخان فأعانته وعضدته وقررت له الجلوس على الكرسي.

وكان قطلقتيمر قد عاهده أنه إذا جلس يسلم ويتمسك بالإسلام، فلما جلس دخل في دين الله راغباً، واتخذ له جامعاً يصلي فيه الصلوات الخمس في أوقاتها فتنكر له بعض أمراء التتار وأجمعوا على خلعه وهم طنغز وطازبن منجك ومن تبعهما في ذلك الأمر الشنيع، فلما جلس واستقر قتلهم.

وكان معهم جماعة أخرى من الأعيان متفقين معهم في ذلك ولما أحس هو وقطلقتيمر بمكيدتهم أشار إليه قطلقتيمر أن يدخل إلى الاردو[1] ويأمر أمراء الأجناد والزامهم وخوامهم بالتباعد منه في سيره ليكون دخوله إلى الاردو بمفرده ففعل ذلك ولما قرب من مخيمه وهؤلاء في قلة من العدد بحكم انفرادهم كما مر رأى أن الفرصة ممكنة منهم فبذل السيف فيهم فلم ينج منهم إلا القليل

---

(١) الاردو: المعسكر.

فاستوثق له عماد الدين ابن المسكيري الأمر وتزوج ببالون خاتون التي ساعدته على الجلوس، وذلك بعد أن افتاه من عنده فعلا من أهل العلم بأن أباه كان كافراً مجوسياً فكان عقده عليها فاسداً فاتخذها لنفسه امرأة وكان لها أخ يسمى باي تيمر يلي مدينة أوركانج[1] وإقليم خوارزم فعزله وولى بدله قطلقتيمر المذكور أوركانج وخوارزم فأنكرت عليه ذلك و عنفته بسببه وقالت: أنا التي حصلت لك الملك وبذلت المال لمن طلب مالاً والخيل لمن طلب خيلاً، والقماش لمن طلب قماشاً، وأنت تعزل أخي فاعتذر إليها وتراضيا.

قلت لابد في حلية[2] المرأة المذكورة له من كون أبيه لم يدخل بها بل عقد عليها على أصولهم ومات قبل الدخول بها فإن موطوءة الأب ولو حراماً يحرم نكاحها عندنا كما هو مقرر في محله من كتب الفقه.

ثم أن هذه المرأة هل هي بنت القيصر صاحب القسطنطينية أو غيرها فان السلطان أوزبك خان قد تزوج بنت القيصر صاحب القسطنطينية وهي أيضاً تـ مى بيالون كما ذكر ابن بطوطة عن مشاهدة ومشافهة في رحلته المسماة بتحفة النظار وذكر فيها سفره معاً من بلاد أوزبك خان إلى القسطنطينية فراجعها إن شئت الوقوف على ذلك و هي مطبوعة في أوروبا ومصر، وذكر فيها جملة من أوصاف أوزبك خان وخواتينه وأولاده.ونائبه قطلقتيمر وسائر أمرائه ووصف بلاده.

وقال بعد ذكر نزوله بمدينة ماجار ووصفها ووصف أهلها: وتجهزنا من مدينة الماجار نقصد معسكر السلطان، وكان على أربعة أيام من الماجر

---

(١) أوركانج: عاصمة خوارزم، زرتها أكثر من مرة وتكلت عليها.
(٢) الحلية، بتشديد اللام: الحل والجواز.

بموضع يقال له بش[1] داغ وبهذه الجبال الخمسة عين ماء حار يغتسل منها الأتراك ويزعمون أنه من اغتسل منها لم تصبه عاهة ومرض.

وقال: ذكر السلطان المعظم محمد أوزبك خان هذا السلطان عظيم المملكة شديد القوة كبير الشأن رفيع المكان قاهر لأعداء الله أهل القسطنطينية العظمى مجتهد في جهادهم وبلاده متسعة ومدنه عظيمة منها البكفا والقرم والماجار واوزاق وسوداق وخوارزم.

وحضرته السراي[2] وهو أحد الملوك السبعة الذين هم كبراء ملوك الدنيا وعظماؤهم، وهم أمير المؤمنين ظل الله في أرضه (يعني ملك المغرب) وسلطان مصر والشام وسلطان العراق يعني السلطان أبا سعيد من أحفاد هلاكو والسلطان أوزبك هذا وسلطان بلاد تركستان وما وراء النهر وسلطان الهند وسلطان الصين.

و يكون هذا السلطان إذا سافر في محلة على حدة معه مماليكه وأرباب دولته وله في قعوده وسفره وأموره ترتيب عجيب بديع ومن عادته أن يجلس يوم الجمعة بعد الصلاة في قبة تسمى (قبة الذهب) مزينة بديعة من قضبان خشب مكسوة بصفائح الذهب وفي وسطها سرير من خشب مكسوة بصفائح الفضة المذهبة وقوائمه فضة خالصة ورؤوسها مرصعة بالجواهر ويقعد السلطان على السرير ويأتي بعد ذلك كبار الأمراء فتنصب لهم كراسيهم عن اليمين والشمال وكل إنسان منهم إذا أتى مجلس السلطان يأتي معه غلام بكرسيه ويقف بين يدي السلطان أبناء الملوك من بني عمه وإخوته وأقاربه ويقف في مقابلتهم عند باب القبة أولاد الأمراء الكبار ويقف خلفهم وجوه العساكر عن

---

(١) واسمه أيضاً الآن عند الروسي يبته غوريا المفيد لهذا المعنى، منه عفى عنه.
(٢) أي عاصمة بلاده مدينة سراي.

يمين وشمال ثم يدخل الناس للسلام: الأمثل فالأمثل، ثلاثة ثلاثة فيسلمون وينصرفون فيجلسون على بعد.

ثم قال أذكر ترتيبهم في العيد، ولما كان صباح يوم العيد وقد صادف يوم الجمعة ركب السلطان في عساكره العظيمة وركبت كل خاتون[1]، عربتها وركبت بنت السلطان والتاج على رأسها إذْ هي الملكة على الحقيقة ورثت الملك من أمها وركب أولاد السلطان كل واحد في عسكره، وكان قد قدم لحضور العيد قاضي القضاة شهاب الدين السايلي ومعه جماعة من الفقهاء والمشايخ فركبوا وركب القاضي حمزة والإمام بدر الدين القوامي والشريف ابن عبدالحميد، وكان ركوب هؤلاء الفقهاء مع تن بك ولي عهد السلطان ومعهم الأطبال والأعلام.

فصلى بهم القاضي شهاب الدين وخطب أحسن خطبة، وركب السلطان وانتهى إلى برج خشب يسمى عندهم الكشك فجلس فيه ومعه خواتينه ونصب برج ثان دونه فجلس فيه ولي عهده وابنته صاحبة التاج ونصب برجان دونهما عن يمينه وشماله فيهما أبناء السلطان وأقاربه، ونصبت الكراسي للأمراء وأبناء الملوك وتسمى الصندليات عن يمين البرج وشماله فجلس كل واحد على كرسيه ثم نصبت طبلات للرمي لكل أمير تومان طبلة وأمير تومان عندهم هو الذي يركب له عشرة آلاف[2].

فكان الحاضرون من أمراء تومان سبعة عشر يقودون مائة وسبعين ألفاً وعسكره أكثر من ذلك ونصب لكل أمير شبه منبر فقعد عليه وأصحابه يلعبون بين يديه فكانوا على ذلك ساعة ثم أتى بالخلع فخلعت على كل أمير خلعة، وعند

---

(١) الخاتون: زوجة السلطان أو المقربة منه أو التي تكون من أقاربه أو نحوهم في المنزلة.

(٢) من الجنود بمعنى أنه قائد عشرة آلاف جندي.

ما يلبسها يأتي إلى أسفل برج السلطان فيخدم وخدمته أن يمس الأرض بركبته ويمد رجله تحتها والأخرى قائمة ثم يؤتى بفرس مسرج ملجم فيرفع حافره ويقبله الأمير ويقوده بنفسه إلى كرسيه وهنالك يركبه ويقف مع عسكره ويفعل هذا الفعل كل أمير منهم.

ثم ينزل السلطان عن البرج ويركب الفرس وعن يمينه ابنه ولي عهده وتليه بنته الملكة وعن يساره ابنه الثاني وبين يديه خواتينه الأربع في عربات مكسوة بأثواب الحرير المذهب والخيل التي تجرها مجللة بالحرير المذهب.

وينزل جميع الأمراء الكبار والصغار وأبناء الملوك والوزراء والحجاب وأرباب الدولة فيمشون بين يدي السلطان على أقدامهم إلى أن يصل إلى الوطاق، والوطاق بكسر الواو وهي أبراج (قلت المشهور في التركية أوطاق بالهمزة المضمومة وربما يبدلون القاف وأواً فيقولون أوطاق وهذا هو المشهور الآن في تلك الديار، ويقال له الآن باللغة العثمانية أوضه بالضاد والظاء والدال).

وقد نصبت هناك باركاه عظيمة والباركاه عندهم بيت كبير له أربعة أعمدة من الخشب مكسوة بصفائح الفضة والمذهبة بالذهب وفي أعلى كل عمود جامور من الفضة المذهب له بريق وشعاع وتظهر هذه الباركاه على البعد كأنها ثنية يوضع عن يمينها ويسارها سفائف من القطن والكتان ويفرش كل ذلك بفرش الحرير وينصب في وسط الباركاه السرير الأعظم وهم يسمونه التخت وهو من خشب مرصع وأعواده مكسوة بصفائح فضة مذهبة وقوائمه من الفضة الخالصة المموهة وفوقه فرش عظيم وفي وسط هذا السرير الأعظم مرتبة يجلس بها السلطان.

وكانت قد نصبت قبة كبيرة أيضاً إزاء المسجد للقاضي والخطيبَ والشريف وسائر الفقهاء والمشايخ وأنا معهم ورايت ذلك اليوم مد البصر عن اليمين والشمال من العربات عليها روايا القمز[1]، فأمر الناس السلطان بتفريقها على الناس فاتوا إلي بعربة منها فاعطيتها لجيراني من الأتراك.

ثم اتينا المسجد ننتظر صلاة الجمعة فأبطأ السلطان فمن قائل إنه لا يأتي لأن السكر قد غلب عليه يعني من القمز ومن قائل أنه لا يترك الجمعة فلما كان بعد تمكن الوقت أتى وهو يتمايل فسلم على السيد الشريف وتبسم له وكان يخاطبه باتا وهو الأب بلسان الترك.

ثم صلينا الجمعة وانصرف الناس إلى منازلهم وانصرف السلطان إلى الباركاه فبقي على حاله إلى صلاة العصر ثم انصرف الناس أجمعون وبقي مع الملك تلك الليلة خواتينه وبنته.

ثم كان رحيلنا مع السلطان والمحلة لما انقضى العيد فوصلنا إلى مدينة الحاج ترخان ومعنى ترخان عندهم الموضع المحرر من المغارم، والذي نسب إليه هذه المدينة حاج من الصالحين تركي نزل بموضعها وحرر له السلطان ذلك الموضع فصار قرية ثم عظمت وتمدنت وهي من أحسن المدن عظيمة الأسواق مبنية على نهر اتل[2]، وهو من أنهار الدنيا الكبار وهناك يقيم السلطان حتى يشتد البرد ويجمد هذا النهر وتجمد المياه المتصلة به ويسافرون بالعربات فوق هذا النهر والمياه المتصلة به ثلاث مراحل وربما جازت القوافل فوقه في آخر فصل الشتاء فيغرقون ويهلكون.

---

(١) القمز: لبن الخيل، ولا يزال يسمى هناك بهذا الاسم رأيته وشربته في تلك البلاد.

(٢) نهر ايتل: هو اذي يسمى الآن (نهر الفولقا)، ومدينة ترافان تسمى الآن (استراخان).

ولما وصلنا مدينة الحاج ترخان رغبت الخاتون بيلون ابنة ملك الروم من السلطان أن يأذن لها في زيارة أبيها لتضع حملها عنده فتعود إليه فأذن لها ورغبت منه أن يأذن لي في التوجه صحبتها لمشاهدة القسطنطينية العظمى فمنعني[1] خوفاً عليَّ فلاطفته وقلت له إنما أدخلها في حرمتك وجوارك، فلا أخاف من أحد فأذن لي وودعناه ووصلني[2]، بألف وخمسمائة دينار وخلعة[3]، وأفراس كثيرة وأعطتني كل خاتون منهن سبائك الفضة وهم يسمونها الصوم وأعطت بنته أكثر منهن وكستني وأركبتني وأجتمعت لي من الخيل والثياب وفروات السنجاب والسنور جملة.

ثم ذكر ابن بطوطة سفره إلى القسطنطينية وعوده منها إلى سراي ثانياً ثم ذكر سفره منها إلى خوارزم وقال في وصف خوارزم:

وهي أكبر مدن الأتراك وأعظمها وأجملها وأضخمها لها الأسواق المليحة والشوارع الفسيحة والعمارة الكثيرة والمحاسن الأثيرة وهي ترتج بسكانها لكثرتهم وتموج موج البحر.

وهذه المدينة في طاعة السلطان أوزبك وله فيها أمير كبير يسمى قطلو تيمر وهو الذي عمر المدرسة بها وما معها من المواضع المضافة إليها، وأما المسجد الجامع فعمرته زوجته الصالحة ترابك ولم أر في الدنيا أحسن أخلاقاً من أهل خوارزم، ولا أكرم نفوساً ولا أحب للغرباء وهم أهل مكارم وفضائل والغالب على مذهبهم الاعتزال لكنهم لا يظهرونه لأن السلطان أوزبك وأميره

---

(١) يعني لكونه مسلماً والروم لا يتركون المسلم في بلدهم في ذلك الوقت، منه عفى عنه.
(٢) وصله: أعطاه صلة، بمعنى منحه ذلك المبلغ.
(٣) الخلعة: الملابس الجيدة.

على هذه المدينة قطلوتيمر من أهل السنة وهذا الأمير ابن خالة السلطان المعظم محمد أوزبك، وأكبر أمرائه وهو واليه على خراسان وولده هارون بك متزوج ابنة السلطان المذكور التي أمها الملكة طيطغلى المتقدم ذكرها، وأمرأته الخاتون ترابك صاحبة المكارم الشهيرة.

إنتهى ما تعلق غرضنا به في هذا المحل منتخباً ومن أراد التفصيل فليراجعها.

قال القاضي محيى الدين بن فضل الله العمري في المسالك وحدثني الصدر زين الدين عمر بن مسافر أن هذا السلطان (أوزبك) غير ملتفت من أمور مملكته إلا إلى جمليات الأمور دون تفصيل الأحوال يقنع بما يحمل إليه ولا يفحص عن وجوهه في القبض والصرف ويلبس بدلة قماش كاملة وتخلع التي كانت عليه على من يتفق ممن حوله وقماشه ليس بفائق الجنس ولا غالي الثمن وهم مسلم حسن الإسلام متظاهر بالديانة والتمسك بالشريعة محافظ على إقامة الصلاة ومداومة الصيام مع قربه من الرعايا والقاصدين له، وليست يده مبسوطة بالعطاء ولو أراد ذلك لما وفي له به دخل بلاده.

وفي سلطان مملكته طوائف الجركس والروس والأص وهم أهل مدن عامرة أهلة وجبال مثمرة ينبت عندهم الزرع ويدر الضرع وتجري الأنهار وتجنى الثمار ولا طاقة لهم بسلطان هذه البلاد يعني بلاد بركة وهو أوزبك وهم معه وإن كانت لهم ملوك كالرعايا، فإذا أرادوه بذل الطاعة والتحف والظرف كف عنهم وإلا شن عليهم الغارات وضايقهم بالحصار وأنواع المضايقات، وكم مرة قتل رجالهم وسبى نساءهم وذراريهم وجلب رقيقهم إلى أقطار الأرض فكل من يجاورونه من الملوك يدارونه لعظمة سلطانه عليهم وأخذه بخناقهم لقربهم منه.

قال: والقسطنطينية مجاورة لأطراف ممالك القفجق وهم مع ملك الروم

في طلب دائم واقتراحات متعددة في كل وقت وملك الروم مع توقد جمرته وكثرة حماته وأنصاره يخاف سطوته وبطشته ويتقرب إليه بالمداراة ويدافع مع الأيام من وقت إلى وقت وما زالت تلك حالهم مع ملوك هذه البلاد من أبناء جنكزخان منذ استولوا على تلك الناحية ودبروا أمورها ولا تخلو بينهم مدة من تجديد عهود ومسالمة إلى مدة تؤجل بينهم على أشياء تحمل من جهة الروم إلى الخان بمملكة القفجق.

وقال في موضع عند بيان قياصرة الروم.

وأما الآن فقد أذل الله لملوك خوارزم وقفجق رقابهم وسهل صعابهم ومذ ملك هذا السلطان أوزبك خان سامهم الهوان وقرر عليهم القطيعة حتى صار أحد سلاحهم الهرب وبذل الطاعة واعطاء السلب.

وبالجملة إن هذا السلطان عظيم الشأن كان من أكابر ملوك التتار في تلك الديار ونال من الاشتهار في جميع الأقطار اشتهار الشمس في نصف النهار ولهذا **قيل لتلك البلاد بلاد أوزبك مملكة أوزبك** بعدما انتسبت برهة من الدهر إلى التفجق وجوجي خان وبركة خان وغلبت هذه النسبة على غيرها حتى قيل لرعاياه أيضاً **أوزبك** وصار هذا الاسم علماً لها لهذا الجيل بسبب غلبة استعماله وكثرة أسفار هذا السلطان إلى طرف بلاد أذربيجان وخراسان وحروبه ووقائعه الكثيرة الشهيرة مع بني هلاكو وكثرة قولهم **جاء الأوزبك، هجم الأوزبك**، وبقي هذا الاسم علماً لسكان تلك الديار قاطبة عند الأجانب ثم لما هجم الملوك الشيبانيون من ذلك الفخذ إلى ما وراء النهر واستخلصوا تلك الديار من أيدي أولاد الأميرتيمر واستقروا هناك غلب عليهم هذا الاسم ونسى عمن سواهم لما أن الشهرة والأمور العظام متلازمان ثم أطلق هذا الاسم بمرور الزمان على كافة

من بما وراء النهر وفرغانة من الأتراك واختص بهم والاستعمال إلى الآن هذا.

قال أبو الغازي خان الخوارزمي الجنكزي في تاريخه المسمى شجرة الترك ما معربه: إن السلطان أوزبك خان كان ينعم على كل شخص ويكرمه ويحترمه على حسب مرتبته ومنزلته، وقد أدخل جميع قومه في دين الإسلام وتشرف جميع قومه بسبب صاحب الدولة هذا بشرف الإسلام، ثم قيل لمملكة جوجي مملكة أوزبك وكذلك يقال ذلك إلى يوم القيامة، وكان ذا عدل وانصاف.

وقال في النجوم الزاهرة: ولم يلبس أوزبك خان بعد أن أسلم السراقوجات وصار يلبس حياصة من فولاذ ويقول لبس الذهب حرام على الرجال.

ذكر المواصلة والمراسلة بين السلطان أوزبك محمد خان وملوك مصر وقد تقدم أن الملك الناصر لما استبطأ رسله أرسل رسولين بعدهما وهما علاء الدين الأيدوغدي البابغلي وعلاء الدين طنبغا الكرموني وأنهما صادفا الرسولين المتقدمين الخاص تكري والخازندار بقرم[1]، وإن الخاص تركي ورفيقه وصلا إلى الأبواب الشريفة السلطانية في السنة المذكورة وإن المرسولين المذكورين أعنى الأيدوغدي ورفيقه تقدما إلى كرنا موضع وفاة الملك طقطاي.

قال البدر العيني وغيره وتقدم البابغلي والكرماني إلى كرنا وهو الموضع الذي مات فيه طقطاي، واجتمعا باوزبك خان الذي جلس موضع طقطاي وبنائبه قطلقتيمر وجهز معهما من جهته رسولاً اسمه منغوش كان قد ورد إلى الأبواب الشريفة من جهة طقطاي دفعة أولى وأرسل قطلقتيمر معه رسالة يعرض فيها على السلطان الصلة بينهم والخطبة له على بنت برلك أخي الملك طقطاي ثم قال:

---

(١) يعني: بلاد القرم الملحقة الآن بجمهورية أوكرانيا.

وفيها يعني في سنة ٧١٤ وصل إلى الأبواب الشريفة الرسل الذين كانوا ببلاد التتار بالشمالية وهما رسولا الباب العزيز المتقدم بفرجيات بطرز ذهب وودعوا وخرجوا وسافروا في مستهل رمضان عائدين إلى بلادهم.

وقال: وفي عشية يوم السبت الخامس عشر من ربيع الأول من السنة المذكورة توفيت الست الجليلة دلنبيه قريبة الملك أوزبك ملك بلاد القفجق ودفنت يوم الأحد السادس عشر منه بحوش لأولاد الأمير أرغون نائب السلطنة بالقرافة، وكانت هذه المذكورة لما حضرت من بلادها وتزوج بها الملك الناصر سنة ٧٢٠ على ما تقدم أقامت في عصمته مقدار ثماني سنين ثم طلقها، فتزوجها منكلي بغا فتوفي عنها، فتزوجها صوصون أخو قوصون فتوفي عنها فتزوجها الأمير عمر بن الأمير آرغون نائب السلطنة فتوفيت في عصمته كما تقدم اهـ، ما قاله الحافظ المغلطاي ومثله تاريخ ابن شهبة، وفي موضع آخر من تاريخ المغلطاي كانت وفاتها في سنة ٧٤٣ و الله سبحانه أعلم.

ذكر وفاة الملك المعظم محمد أوزبك خان رحمه الله تعالى قال ابن دوقمق والعيني وابن شهبة وغيرهم من المؤرخين الكبار: وفي شوال سنة ٧٤٢ توفي القان الكبير أوزبك خان ابن ظغر لجا بن منكو تيمر بن طغان بن باتو بن دوشي خان بن جنكز خان ملك التتار صاحب المملكة الشمالية بعد أن حكم في تلك البلاد مدة ثمانية وعشرين سنة، وكان ذا بأس وإقدام وديانة وعبادة يؤثر الفقهاء والفقراء ويحب العلماء ويسمع منهم ويرجع إليهم ويعطف عليهم ويتودد إلى المشايخ ويحسن إليهم.

قلت: قد تقدم بعض مناقبه في أوائل ترجمته وقد صنف العلامة علي بن أبي بكر بن علي النسفي البيكندي شرح القسم الثالث من مفتاح العلوم للسكاكي

وأتمه في سنة ٧١٩ بخوارزم وأهداه إلى الملك أوزبك، وذكر اسمه في ديباجته كما في كشف الظنون لكنه لم يذكر ذكر اسمه في الديباجة.

وما فالرا من أنه حكم مدة سنة ٢٨ إنما يصح إذا لم يحسب سنة وفاته وقلنا مدة حكومته وسلطنته ثلاثين سنة كاملة كما قاله كثير من المؤرخين.

وفي زمن سلطنته استولى السلطان الغازي عثمان على بروسه وانتقل إلى رحمة الله تعالى في سنة ٧٢٧ وتسلطن بعده خلفه الصدق السلطان الغازي أورخان، وقد ذكر ابن بطوطة ملاقاته إياه في رحلته قبل قدومه إلى بلاد الملك أوزبك رحمهم الله تعالى رحمة واسعة.

انتهى كلام الشيخ محمد الرمزي في كتابه: (تلفيق الأخبار) وقد أطلت النقل عنه لأوضح سبب تسمية أهل أوزبكستان بالأوزبك وأن ذلك لكونهم منسوبين إلى السلطان محمد أوزبك خان.

إضافة إلى كون هذه المعلومات غامضة يصعب الوصول إليها إلاَّ على المختصين بتاريخ تلك المناطق، والله أعلم.

العودة إلى اليوميات

من اسطنبول إلى طشقند:

غادرنا قاعة الاستقبال وهي مكان الإدارة في فندقنا في اسطنبول في الخامسة عصراً وسلكنا شارعاً جديداً محسناً إلى المطار، زحام السيارات فيه أقل مما كنا عهدناه في شارع آخر كنا سرنا معه عدة مرات ن قبل.

وكان الأمر اللافت للنظر بقوة هو أن الركاب في المطار لم يكونوا مزدحمين في مدخله ولا عند مكاتب الترحيل خلاف ما كان عليه الوضع في السابق، وذلك بأن هذا المطار جديد وفسيح، وفيه الأشرطة الكهربائية المتحركة التي يسير فوقها الركاب فتساعد العاجزين عن المشي لأن أبنية المطار ممتدة.

وعند بوابة الخروج للطائرة كان ركاب طائرتنا قد تجمعوا وظهر فيهم الطابع التركي الأصيل لأن الأوزبكيين كما يسمون هم من ذي الأصول التركية القديمة.

أما أهالي جمهورية تركيا الحاضرة فإن الترك فيها قد اختلطوا بعناصر من البلاد التي فتحوها لذلك لا يظهر الطابع التركي الأصيل المتمثل بصغر العينين وبروز الوجنتين، وقصر الأنف إلى جانب خصائص أخرى معروفة.

دخلنا إلى طائرة الخطوط التركية وهي من طراز بوينغ ٧٣٧ مثل التي قدمنا عليها من الرياض أمس، وربما كانت هي هي، وليس فيها درجة أولى وإنما هي درجة رجال الأعمال التي عرفناها في الطائرات التركية ضيقة غير مريحة فيقاربون بين صفوف المقاعد حتى لا يكاد الرجل يستطيع أن يمد رجله.

ودرجة رجال الأعمال فيها خمسة صفوف من الكراسي ومع ذلك كانت خالية ليس فيها معنا إلا رجل واحد مسن يظهر عليه أنه من المتدينين الأتراك، ولذلك استرحت في المقعد لأنه لا جار لي فيه.

وقد أعلنوا أن الطيران إلى طشقند سوف يستغرق أربع ساعات.

وكان إعلانهم بالتركية تتلوها الإنكليزية ولم يعلنوا شيئاً بلغة أوزبكستان التي هم ذاهبون إليها ومعظم ركاب الطائرة منها.

وعلى ذكر الركاب أقول: إن فيهم عدداً من النساء اللاتي يظهر عليهن عدم الاحتشام، وقال المرافقون: إنهن من العاهرات، وهذا واضح في هيئاتهن.

وعلى ذكر العاهرات أخبرني أحد موظفي السفارة السعودية في طشقند أن أحد كبار المتدينين من أهل البلاد قال: نحن نحبكم- يا أهل مكة والمدينة- أو قال يا أهل السعودية لأنكم تخدمون الحجاج والمعتمرين، أما البلد الفلاني وذكر بلداً خليجياً مجاوراً فإنهم يخدمون العاهرات من بلادنا لأنهم يستقبلونهن، ويهيئون لهن العمل عندهم، وقد أخرج هذا بطبيعة الحال مخرج الهزل.

غادرت الطائرة مطار اسطنبول في السابعة والنصف مساءً متأخرة نصف ساعة عن الموعد المحدد لقيامها في الأصل وهو السابعة، وحالما نهضت كانت تطير فوق البحر الأسود، ثم اعتدل سيرها إلى جهة طشقند الواقعة منها في المشرق، ولكنها بعيدة عنها بوسائل السفر القديمة، إذْ تعادل أربع ساعات بهذه الطائرة النفاثة مسيرة ثلاثة أشهر ونصف لسير الإبل، بل إنها تعادل بسير القوافل المحملة أربعة أشهر لأن بين الرياض وجدة ألف كيلو متر كانت القوافل المحملة لا تقطعها إلاَّ في شهر.

ولو حسبنا المسافة بين اسطنبول وطشقند وما كان عنها شرقاً من بلاد الترك الأصيلة معتبرين ما قاموا به من الغزو والفتح منذ أن بدءوا التحرك من بلادهم تلك حتى وصلوا إلى اسطنبول لرأينا أن ذلك قد استغرق مئات من السنين، لأنهم لم يخرجوا من بلادهم قاصدين فتح اسطنبول وإنما أسسوا ممالك لهم، ثم استمروا يؤسعون ذلك إلى أن و صلوا إلى ما وصلوا إليه من فتح اسطنبول.

وكل فتوحاتهم وغزواتهم كانت باسم الإسلام، وكان من ذلك أن خضع المسلمون لهم، بل واتبعوهم لكونهم مسلمين يحكمون بالإسلام وليس لكونهم أتراكاً.

هذا وقد غابت عنا الشمس بسرعة وحل الظلام بسرعة كذلك، لكوننا ذاهبين إلى الشرق ومستقبلين ظلام الليل.

وقد قدمت مضيفة مخصصة لركاب درجتنا ونحن ثلاثة- كما قدمت- وجبة جيدة فيها وريقة كتبوا عليها بالتركية والإنكليزية: (هذا الطعام خالٍ من لحم الخنزير).

وبعد أربع ساعات إلاَّ ثلثاً من الطيران بدأت الطائرة التدني فوق أراض ليس فيها إلاَّ أضواء خافتة ثم بدت مدينة طشقند ذات أنوار غير زاهية وإن كانت شاملة ممتدة والوقت بالنسبة إليها الآن هو بعد الواحدة من صباح السبت بالتوقيت الذي صار شائعاً في الوقت الحاضر.

ولاحظت أن الشوارع ذات الأنوار الصفر فيها قليلة وقصيرة، وقارنت منظرها الآن بمنظر جدة أو الرياض في عين من يقدم إليهما في مثل هذه الساعة من الليل، فوجدت ألا وجه للمقارنة، وذلك في صالح مدينتينا وينبغي أن يلاحظ أن هذا كان في الليل، حيث لا يبصر المرء الحدائق والخضرة والأشجار المونقة.

وقد وصلت بعد ذلك بيومين إلى طشقند وشاهدتها من الطائرة في النهار فوجدتها جميلة المنظر متسعة النواحي ليس يخلو مكان فيها من الخضرة.

في مطار طشقند:

هبطت الطائرة في مطار طشقند في الحادية عشرة والنصف ليلاً بتوقيت اسطنبول وهي الواحدة والنصف بعد منتصف الليل بتوقيت طشقند فبينهما ساعتان في التوقيت توقيت طشقند يتقدم بساعتين على توقيت اسطنبول، وهذا أمر مفهوم لوقوعها شرقاً بعيداً عن اسطنبول، مع ملاحظة أن توقيت اسطنبول

في هذا الفصل مساوٍ لتوقيت بلادنا، وأما توقيتها الشتوي فإنه يتأخر عنا بساعة.

وجدنا في الاستقبال عند سلم الطائرة رجلاً معه اسمانا وسيارة صغيرة أركبنا فيها حتى وصلنا قاعة كبار الزوار التي منها مدخل (الدبلوماسيين) وكبار الزوار، وفيها مكتب للجوازات خاص نظر في جوازاتنا وختم عليها فوجدنا في القاعة طائفة من المستقبلين، على رأسهم نائب مفتي جمهورية أوزبكستان الشيخ عبدالرزاق يونس، وذلك لكون المفتي الشيخ عبدالستار درويش علي غائباً عن البلاد الآن.

والأستاذ سليم ملي قول والشيخ مدير العلاقات الخارجية بالإدارة الدينية وتبين لنا بعد ذلك أنه رجل مهم في الدولة، وأن عمله في الإدارة الدينية لا يمثل أهميته فيها والشيخ إسماعيل عبدالله مترجم إلى العربية، وأحد موظفي الإدارة الدينية ومعهما اثنان آخران، ومن السفارة السعودية القائم بالأعمال الأستاذ ظافر معطش العنزي وهو أكبر رجل في السفارة الآن، لأن السفير غير موجود ومعه عدد من موظفي السفارة.

جلسنا مع الجميع في القاعة وكانوا يرحبون ويكررون ذلك فشكرت لهم خروجهم في هذه الساعة المتأخرة من الليل لاستقبالنا ودعوت للجميع بالمثوبة على ذلك.

وكان الموظفون يسعون في تخليص الأمتعة وإحضارها ركبنا بعد ذلك مع الأخ ظافر العنزي في سيارة السفارة قاصدين المدينة حيث ذكر أن السفارة حجزت لنا غرفتين في فندق (انتركونتنتال) أفخر الفنادق فيها أو من أفخرها.

وكان الإخوة من الأوزبكيين يتبعوننا بسياراتهم ولم يتركونا جميعاً إلاَّ بعد أن اطمأننا في غرفنا، وكان ذلك قرب الثالثة قبل الفجر، بعد أن اتفقوا معنا على أن يبدأ البرنامج غداً في الساعة الحادية عشرة.

يوم السبت: ١٤٢٢/٣/١٠هـ- ٢٠٠١/٦/٣م:

إلى الإدارة الدينية.

طبقاً للموعد وجدنا الإخوة من الإدارة الدينية في أوزبكستان قد أحضروا معهم سيارتين ولكن الأخ الشهم الأستاذ ظافر العنزي كان قال لنا البارحة: إن القوم أخبروه بأنهم سيضعون تحت تصرفنا سيارتين وأنه قال لهم: إن السفارة سوف تعطينا سيارة جديدة مكيفة لأن سياراتهم ليست كذلك، وقد وجدنا السيارة بالفعل عند باب الفندق ومعها أخ كريم من أهل البلاد، بل شيخ متخرج في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، هو سائقها لأنه يعمل في السفارة، ورغب الأخ ظافر في أن يكون معنا من أجل معرفته التامة بالعربية واسمه (ناظم نجم الدين).

وجدنا الإدارة الدينية لم تتغير عما كانت عليه عندما رأيناها لأول مرة في عام ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م، ولزيارتنا في ذلك التاريخ حديث ربما يحسن ذكره إن جاء له مجال هنا لأنني كنت ذكرته في كتب سابقة، إذْ كان أول اتصال بين بلادنا وبين الاتحاد السوفيتي آنذاك، ولم تكن السفارة السعودية قد فتحت، بل لم تفتتح إلا بعد ذلك بسنوات.

جلسنا على قاعة اجتماع لم تتغير بجانب مكتب مدير الإدارة الدينية وهي القاعة القديمة لم تتغير وحتى طريقة الجلوس عليها لم تتغير، إذْ يكون رئيس الإدارة الدينية على رأس المائدة أقابله أنا وبجانبي مباشرة مرافقي وهو الآن الأستاذ رحمة الله بن عناية الله، وفي المرة السالفة كان معي ستة أشخاص كنت رئيسهم.

واليوم بدأ الأخ نائب المفتي الشيخ عبدالرزاق يونس بالترحيب منوهاً بأن زياراتي لهذه الإدارة الدينية قد كانت متعددة إلا أنها انقطعت منذ عشر سنوات، وإن الإدارة الدينية حريصة على الاتصال مع رابطة العالم الإسلامي والتعاون معها.

وقال: إنكم تعرفون بلادنا وتعرفون حاجتها للمساعدة على الأمور الإسلامية، لان جميع نفقات المؤسسات الدينية قائمة على التبرعات، ولدينا الآن مؤسسات إسلامية لم تكن موجودة، من ذلك إحدى عشرة مدرسة إسلامية، كما أن لدينا فكرة لتطوير معهد الإمام البخاري ليكون جامعة إسلامية تبدأ بكليتين، وهذه- كما قال- غير الجامعة الإسلامية الحكومية، التي وضعت زيارتها في برنامجكم اليوم، ونحن نرحب بكم لرؤية المؤسسات التي عندنا والإطلاع على بعض المدارس والمؤسسات الإسلامية، وبخصوص مشروعات الإدارة الدينية خاصة أن لدينا مشروعاً لبناء مكتبة الإدارة الدينية على جانب من أرض الإدارة الدينية وطبقاً لهذا الرسم ثم أرانا رسماً للمبنى يوضح بأنه سوف يقام بطريقة فنية، وعلى طراز معماري خاص يمكن تسميته بالطراز البخاري، وهو طراز البناء في آسيا الوسطى الذي يعرفه بعض المهندسين بأنه طراز العهد التيموري.

وفد رابطة العالم الإسلامي بالجبة الذهبية التي أهدتها الإدارة الدينية في طشقند

وذكر أن الإدارة الدينية تأمل من رابطة العالم الإسلامي المساعدة على بناء المكتبة كما تأمل منها المساعدة على المؤسسات الإسلامية في هذه البلاد.

وقد أجبته بالشكر لله تعالى الذي قدر الاجتماع بعد سنوات طويلة لم أترك فيها زيارة هذه البلاد قصداً، وإنما ذلك بسبب برنامج العمل في الرابطة الذي يبدأ غالباً بزيارة البلدان التي ترى الرابطة أن العمل الإسلامي فيها أكثر حاجة إلى التنشيط.

وبالنسبة إلى بلادكم فلا أظنني بحاجة إلى القول: إن التعاون مع رابطة العالم الإسلامي أمر مهم للجميع، فقد كنا زرنا بلادكم أيام الحكم السوفيتي الذي أعقب الحكم الاستعماري القيصري حتى إن كثيراً من الناس يعتبرونه بمثابة الامتداد للحكم الاستعماري واتفقنا على التعاون مع الإدارات الدينية- الإسلامية- الأربع فيه وعلى رأسها هذه الإدارة الدينية، ولم يمنعنا اختلاف النظام بين البلدين بلادنا وبلادكم من التعاون، فكيف به الآن بعد أن نالت بلادكم استقلالها، وأصبح أهلها هم الذين يحكمونها.

وقلت لهم: إن زيارة المسلم لأخيه المسلم أمر يحث عليه الدين فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم ما معناه: (إذا زار المسلم أخاه المسلم لم يخط خطوة إلاّ كتب الله له بها حسنة وحط بها عنه سيئة).

والزيارات المتبادلة لازمة للتعاون تحقيقاً لقوله تعالى **(وتعاونوا على البر والتقوى)** ولا يمكن التعاون بين الإخوة المسلمين إلا إذا حصل التعارف الذي يحصل بالزيارات والاتصالات.

وقلت لهم: أما بالنسبة إلى بلادكم (أوزبكستان) فإنها البلاد التي أخرجت طائفة كبيرة من أعلام الدين والثقافة الدينية الإسلامية على رأسهم الإمام البخاري والإمام الترمذي والإمام الدارمي في الحديث وفي اللغة يأتي الإمام اللغوي الفارابي الذي صنف

كتاب (ديوان الأدب) قبل أن يؤلف الجوهري كتابه الشهير (صحاح اللغة) أو في الوقت نفسه، والجوهري نفسه صاحب أول معجم لغوي متداول هو من بلادكم أيضاً، وأما الفلاسفة فمنهم ابن سيناء... والفارابي الآخر، وأما العلوم المنوعة أو لنقل إنها بالنسبة إلى من يسمون الموسوعيين التنوع في الثقافة، وهم الذين بحثوا في جميع العلوم المعروفة في القرون الأولى للثقافة العربية فعلى رأسهم الإمام محمد بن أحمد البيروني الذي خلف لنا آثاراً علمية خالدة في كثير من الفنون، ومن أهم ذلك على سبيل المثال فيما يتعلق بثقافات الآخرين كتاب (تاريخ ما للهند من مقولة، مقبولة في العقل أو مرذولة) وكان ألفه بعد أن تعلم اللغة الهندية القديمة التي عمادها اللغة السنسكريتية من أجل أن يعرف عن الهند ما يقوله أهل الهند في كتبهم وبلغتهم من غير واسطة.

وهذا جهد فريد لم يسبق إلى مثله في الكتب التي وصلت إلينا.

ونحن نأمل أن يعود لهذه البلاد مجدها العلمي الإسلامي والعناية التامة بذلك، وأول ما ينبغي السعي إليه في هذا الصدد هو التعليم الإسلامي الصحيح الذي يحافظ على العقيدة الإسلامية النقية ويقدم- في الوقت نفسه- الفكر الإسلامي النقي إلى غير المسلمين من أهل هذا العصر.

وقلت لهم فيما قلته: إنه يسر رابطة العالم الإسلامي بل يسعدها أن تتعاون معكم على سبيل الخير وأن تنظر إلى المساعدة على مبنى مكتبة الإدارة الدينية بالذات، أما المؤسسات الأخرى فإننا سوف نزورها ونرجو أن نتمكن من مساعدتها في المستقبل ولكنني أقول لكم: إن أي مسجد بدأ العمل ببنائه ثم وقف بسبب قصور النفقة فإن رابطة العالم الإسلامي سوف تساعد على إكمال بنائه أو على الأقل الإسهام في ذلك.

وفي الختام شكرتهم على كلامهم وعلى حسن الاستقبال الذي ووجهنا به في هذه البلاد العزيزة.

المؤلف بالجبة الذهبية التي أهدتها له الإدارة الدينية في طشقند مع موظفي الإدارة

وقد قدم نائب المفتي لي ولرفيقي جبة مذهبة بمعنى أنها مكسوة بزخارف من خيوط باللون الذهبي، و هي محلية الطراز بل مما تشتهر به هذه المنطقة الباردة، وصاروا يلبسوننا إياها ويلتقطون الصور لذلك.

مكتبة الإدارة:

ذهبنا معهم من الإدارة الدينية إلى مكتبة الإدارة الحالية، وتشغل مبنى صغيراً في فناء مسجد مجاور مقابل للإدارة الدينية وتابع لها، وقد ذهبنا من الإدارة سيراً على الأقدام، فكان أول ما استثار إعجابنا أن المبنى محلى بنقوش

وزخارف فنية بديعة مما هو متوارث في هذه البلاد ويكاد يكون من خصائصها، وفيها عدة غرف صغيرة، ولذلك عرضوا بعض المخطوطات، بل والمطبوعات ذات المظهر الخاص في رواق أيضاً من المبنى.

مصحف عثمان:

دخلنا أول الأمر إلى غرفة فيها مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي هو أحد المصاحف الأربعة التي كتبها بعد أن جمع الناس على قراءة واحدة، وأمر باتلاف ما كان كتب بقراءات أخرى محافظة على القراءة الصحيحة وتلك القراءات أكثرها متعلق باللهجات والألفاظ المترادفة، وليس ذلك في متن القرآن أو في كثير منه، وإنما هو في ألفاظ معينة ذكرها العلماء الذين كتبوا في هذا الشأن.

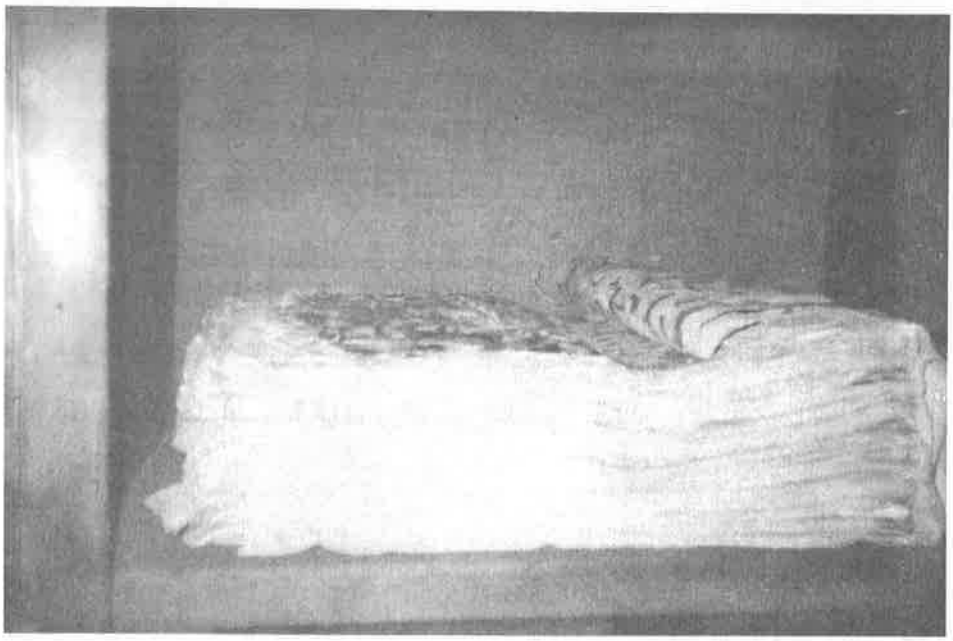

مصحف عثمان في مكتبة الإدارة الدينية في طشقند (النسخة المغلفة)

ويقول المؤرخون: إن عثمان رضي الله عنه كتب أربعة مصاحف من المصحف الذي عرف باسمه بعد ذلك، وهو المصحف العثماني إلى أربعة آفاق من المملكة الإسلامية آنذاك فكان هذا أحدها، هذا هو ما يجزم به أهل هذه المنطقة.

وقد وضعوا المصحف في خزانة لها واجهة زجاجية مغلقة جعلوا داخلها مواد تحافظ على ورق المصحف لأنه مكتوب على (رق الغزال) أي من جلد غزال مملس ومهذب.

وقد فتحوها لنا خاصة ولمست المصحف الشريف فرأيت أنه مكتوب بالفعل على جلد غزال أو الأصح على جلود غزلان لأنه يحتاج إلى رعية منها، إذْ حروفه كبيرة ومتباعدة، بحيث لا يكون في الصفحة الواحدة إلا آيات قليلة.

وليس فيه نقط ولا تشكيل فهو حروف مجردة من النقط لا يستطيع أن يحسن قراءتها من يكون ألف خطنا المعهود المنقوط، وذلك لكون الناس كانوا يتلقفون تلاوة القرآن الكريم من أفواه الرجال، المقرئين حتى مع وجود المصاحف.

وقد جزمت على حد خبرتي في مطالعة الكتب المخطوطة إبان أن شغلت وظيفة (قيم مكتبة جامع بريدة) قبل أكثر من نصف قرن ثم ما كان بعد ذلك أنه من مخطوطات القرن الأول الهجري، إلا أنني لا أستطيع الجزم بتاريخه أو سنة كتابته.

وقد أغلقوا عليه الباب الزجاجي بسرعة بعد أن أرونا إياه.

ثم وقفنا طويلاً عند صورة له طبق الأصل حتى بالنسبة للورق وإن لم يكن على جلد الغزال فإنه على ورق شبيهه على البعد، وذكروا أن أمره عجب وهو أن رسامين رسموه عن المصحف وليس صورة ضوئية (فوتغرافية) له.

ثم أرونا مصحفاً آخر مؤرخاً في عام ١٥٠ هجرية أي في القرن الثاني

الهجري، وهو لا يختلف كثيراً عن كتابة المصحف الأول، وإن كان المصحف نفسه يختلف عنه من حيث الورق وحجم الحروف فهو كذلك مكتوب بدون إعجام أي بدون نقط.

وتجولنا بعد ذلك بين معروضات المكتبة التي لم تكن كثيرة بالقدر المؤمل ولكنهم ذكروا أن لديهم أيضاً مخطوطات لا يتسع المجال لها، فذكرت لهم ما سمعته من أن الناس عندما حكم الشيوعيون كان يخبئون الكتب المخطوطة عن طريق دفنها في الأرض أو جعلها بين حائطين يبنيان متلاصقين حتى يبدو أنه حائط واحد، وذلك لكون الغوغاء من الشيوعيين كانوا يتلفون الكتب الدينية المخطوطة، بل كان وجودها عند شخص معناه إلحاق الأذى به الذي يصل إلى القتل في أكثر الأحيان.

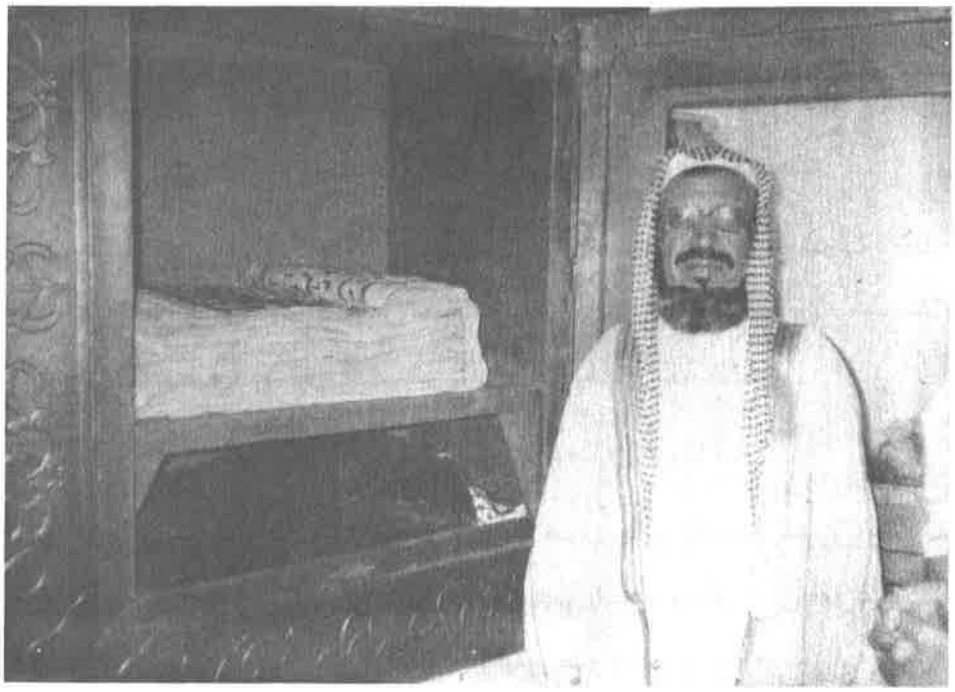

المؤلف بجانب مصحف عثمان بن عفان في صندوقه الزجاجي في طشقند

وعندما مضت سنوات على الفورة الشيوعية الملحدة وأمكن للناس أن يبحثوا عن الكتب التي دفنوها في الأرض وجدوا أن كثيراً منها قد تلف، ولكن الذي حفظ داخل الجدران قد تم إنقاذه.

مسجد زين الدين:

قلت للإخوة الذين وضعوا البرنامج: إنني زرت مسجد زين الدين من قبل، ولذلك لا داعي لزيارته الآن، فقالوا: إنه لم يبق منه مما رأيته إلاَّ الاسم، أما الباقي فقد تغير كلية، ولذلك أردناك أن تزوره.

وكان ما قالوه حقيقة، فقد رأيناه على البعد ذا قبة مهيبة، ومئذنة شامخة ترتفع عما حولها كثيراً، بحيث صار أعلا مبنى مشرف في هذا الحي وصار على شارع واسع مهم.

وأول ما يرى المرء منه عندما يقترب إليه بوابة عامة مهيبة على هيئة بوابات المساجد والمدارس الإسلامية التقليدية العريقة في هذه البلاد، وقد كتبت عليها بالعربية بحروف واضحة هذه الجملة: (هدية أهالي مكة المكرمة إلى أهالي أوزبكستان المستقلة) وذلك أنه قد هدم كله ووسع المصلى توسعة كبيرة كما وسعت أفنيته، وأقتضى ذلك أموالاً كثيرة جاءت من محسنين ومتبرعين من أهل مكة المكرمة.

وجدنا في استقبالنا في المسجد الشيخ رحمة الله عابد إمام المسجد الذي استقبلنا مرحباً وأدخلنا إلى مكتبه في ركن من مبنى حديث ملحق بالمسجد فوجدنا مكتبه فخماً نظيفاً يحاكي مكتباً في إدارة حكومية كبيرة عندنا أو في شركة من الشركات الرابحة.

ووجدنا في ركن من مكتبه مائدة (بخارية) والنسبة هنا إلى منطقة بخارى التي تعني في عرفنا منطقة ما وراء النهر، أو ما أسماه الروس بآسيا الوسطى، وتلك المائدة تكون معدة من قبل حافلة بالفاكهة والمكسرات من اللوز وهي الجوز والفستق مع أن فستقهم لا يداني فستق تركيا أو بلاد الشام، ومع ذلك كله خبزهم السميك الناضج ذو اللون الأصفر الذي يكاد لونه أن يكون لون الذهب، وفي المائدة المشروبات الغازية التي منها الماء المشبع بالغاز، وتلك المائدة رأينا مثيلاتها في كافة أنحاء هذه المنطقة من قبل.

جلسنا قليلاً في المكتب وتحدث الجميع عن هذا المسجد بأنه مهم في حي (كوكجه) المأهول بالسكان حتى إنه يصلي الجمعة فيه عدد لا يقل عن عشرة آلاف مصلٍ.

هكذا قال إمامه الشيخ رحمة الله عابد، والحاضرون الذين هم من الإدارة الدينية التي تعنى بمثل هذه الأمور، وذكروا أن من أسباب كثرة المصلين فيه صلاة الجمعة أن بعضهم يقصدون الوصول إليه من بعيد.

وبهذه المناسبة ذكروا أن عدد الجوامع في طشقند وهي المساجد التي تصلى فيها الجمعة مائة وعشرة جوامع، وهذا عدد عظيم يعجب منه من يكون مثلنا جاء إلى طشقند في زمن الحكم الشيوعي ولم يكن فيها من المساجد إلا ثلاثة تقام كلها فيها الجمعة.

كان وقت الصلاة قد حان فذهبنا لأداء صلاة الظهر مع المصلين فوجدنا في المسجد صفوفاً عديدة عريضة قدرت الموجودين فيها بسبعمائة مصلٍ، قال أحدهم: إن سبب هذه الكثرة ربما يرجع إلى كون اليوم هو السبت وهو يوم عطلة مع يوم الأحد.

أدينا أولاً تحية المسجد فأذن المؤذن لصلاة الظهر، وكانت الصفوف قد انتظمت قبل الأذان، وهذا أمر عجيب لم نألف مثله في المساجد المعتادة في بلادنا خارج الحرمين الشريفين، فلم نعتد على رؤية صفوف بل ولا صف واحد قد انتظم قبل الآذان في بعض المساجد، وربما قد يأتي عدد قليل من قبل الآذان.

وربما كان مرجع ذلك إلى كونهم يقيمون الصلاة بعد الآذان مباشرة، وبعد ركعتي تنفل قصيرتين.

كان الآذان شرعياً مثلما هو عندنا لم تسبقه توشيحات، أو دعوات كالذي رأيناه في المسجد الذي صلينا فيه في اسطنبول، وكما يكون في بعض مساجد الشام، وليس بعده هنا شيء من الصلاة على النبي أو الأذكار التي تقال في غير محلها، لأن الآذان عمل شرعي مداره على ما ورد عن المصطفى صلى الله عليه وسلم، وثبت عنه من إقراره، وهو هذا الأذان المعروف عندنا وعند أكثر الإخوة المسلمين في العالم.

وقد صلى الإمام صلاة الظهر بسرعة ولكنها أكثر طمأنينة من صلاة بعض أئمة المساجد الأخرى في المنطقة الذين يسرعون فيها حتى يذكرك ذلك بما و رد في الحديث النهي عن نقر الصلاة وهو الإسراع المفرط بالركوع والسجود فيها حتى يشبه ذلك فعل الطائر حينما ينقر شيئاً بمنقاره فيخفضه بسرعة، ويرفعه بسرعة.

بعد الصلاة نهض الجميع لأداء الراتبة ركعتين ومباشرة قال الإمام بصوت منخفض ولكنه مسموع اللهم أنت السلام ومنك السلام، وردد بعض الحاضرين ذلك بصوت منخفض ولكن بشكل جماعي ثم أخذ مكبر الصوت وهو جالس فقرأ آيات قصيرة من القرآن الكريم، ثم أخذ مسبحة كانت موجودة وصار يعد بخرزها

فقال (سبحان الله) بصوت مسموع ثم سكت وهو يعد بخرزها أيضاً إلى أن قال: الحمد لله، ثم فعل ذلك حتى قال في الآخر: الله أكبر، ثم دعا بدعاءٍ لم نفهمه والقوم رافعو أيديهم كما هو يدعون من تلقاء أنفسهم، والواقع أن أكثرهم إنما يتابع الإمام لأنه حالما ينتهي ويمسح وجهه بيديه يفعلون ذلك بعده.

ثم قرأ آيات من القرآن الكريم، بعد ذلك أعطاني مكبر الصوت، وطلب أن أدعو للمسلمين بدعاء مناسب، وقد فعلت.

صلاة الجنازة:

انفض الجميع خارجين من المصلى بسرعة، وذلك لكونهم صلوا السنة الراتبة ولشيء آخر وهو أنه توجد جنازة لم يدخلوها المسجد، لأن عادتهم ألا يصلوا على الجنازة داخل المصلى في المسجد، وقد صادفنا بعد ذلك وجود جنازة.

وهذا أمر معروف في بعض المذاهب من عدم إدخال الجنازة إلى المصلى، وفي هذا المسجد كانوا وضعوها في رواق في شمال المسجد قديم الطراز فهو مبنى من الخشب على هيئة تقليدية قديمة لذلك لم أعجب حينما قال لي الإخوة: إن هذا هو المسجد القديم حافظ عليه القوم ولم يريدوا أن يهدموه، وأن يعدموه فيبنوا الجديد مكانه، وإنما اقتلعوه من أساسه اقتلاعاً بصورة فنية ثم سحبوه فوضعوه في شمال فناء المسجد على هيئته التي كان عليها من قبل إلا أنه كان في الأصل متجهاً طوله إلى القبلة فصار عرضه هو المتجه إلى القبلة، وصاروا لا يصلون فيه إلاَّ للظروف العارضة مثل أن يمتلئ المصلى الرئيسي بالمصلين.

وقد وضعوا الجنازة وهي جنازتان إحداهما لرجل في الستين من عمره والثانية لامرأة عمرها ٢٥ سنة.

وقد وضعوا جنازة المرأة تلي القبلة ثم جنازة الرجل هو الذي يلي الأمام.

وقف الإمام أمام الجنازتين والصفوف المتراصة خلفه، ويكاد بعضها يلتصق ببعض لأنهم ليسوا بحاجة إلى ركوع أو سجود، وذلك في الشمس الحارة الصاحية، فأخذ الإمام بإلقاء موعظة وتذكير ثم دعاء للميتين اللذين أمامه، ثم كبر للصلاة عليهما وقد صلى صلاة الجنازة مثلنا بدون أي اختلاف ما عدا كونه أكثر إيجازاً من الصلاة عندنا وبخاصة فيما يتعلق بالدعاء للميت بعد التكبيرة الثالثة.

وكان الجمع حاشداً فانتقلنا بصعوبة بين الناس عائدين إلى مكتب إمام المسجد فطلبوا منها الجلوس إلى مائدة الطعام التي أضافوا إليها أيضاً الكرز الذي كنا نسميه أول ما عرفناه بالكريز على لفظ التصغير، وأجمل تسمية له هي في المغرب حيث يسمونه (حب الملوك) ويكثر في منطقة فاس، وقد بدءوا بالخبز، إذْ لابد من أن يسرع أحدهم إلى تكسير الخبز إلى قطع صغيرة يوزعها أمام الجالسين على المائدة.

من الغريب أنهم يحضرون السلطة من الطماطم والخيار وفوقها بعض البصل الأخضر، وأحياناً يكون معها نبات أخضر كالبقدونس أو النعناع، فيأخذ أحدهم صحوناً صغيرة ويقطع الطماطم والخيار فيها ويضعها أمام الآكلين، ولا يأتون بها مقطعة إلى المائدة، وهذا رأيناه في جميع المآدب في هذه البلاد.

ثم جاءوا بالشواء من اللحم اللذيذ لأن غنمهم تتغذى بأعشاب طبيعية ثم جاءوا باليغمش الذي نعرف مثله أو قريباً منه عندنا في الحجاز بصنعه البخاريون ويبيعونه للناس وعادتهم هنا أن يأتوا به على هيئة شطائر، وسطها مقدار كبير من اللحم الدسم الخالي من العظم لأنه يكون قطعاً صغيرة ولكنهم يضعون معها قطعاً صغيرة من الشحم، إضافة إلى قلي الشطائر أو تحميرها

بمادة دهنية، ومثل هذا الطعام صرنا نستثقله في بلادنا لأننا لا نستطيع اللحم إذا كان سميناً، فكيف به إذا كان فيه قطع من الشحم الخالص.

وكانوا يكثرون من أكله مع الشواء الدسم والحساء الدسم أيضاً.

الجامعة الإسلامية:

نوه الإخوة في الإدارة الدينية بالجامعة الإسلامية في طشقند وذكروا أنها حكومية افتتحها رئيس الجمهورية (إسلام كريموف).

وجدنا في الاستقبال عند باب الجامعة الأستاذ (عبدالحي عبدالله) نائب رئيس الجامعة والدكتور عبدالعزيز منصور مترجم معاني القرآن الكريم إلى الأزبكية وغيرهما من موظفي الجامعة لأنهم كانوا على علم بمجيئنا.

ذهبنا معهم إلى أحد الفصول الدراسية التي أختاروها فيه عشرة طلاب وهم مختلطون ما بين طالبات وطلاب، والطالبات أكثر ولكنهم لا يجلسون معاً لأن كل طالب مخصص له جهاز للحاسب الآلي (الكمبيوتر) يعمل عليه وجدناهم كذلك وأستاذهم بينهم.

وقال نائب المدير: إن السياسة التعليمية عندنا ألا يزيد عدد أي فصل من فصول الجامعة عن ١١ طالباً.

والفصل جيد ونظيف وقد اطلعنا على عدد من الفصول فوجدناها كلها نظيفة مرتبة.

ولكن نظامها غير مألوف في البلدان العربية التي تسير على النظم التدريسية القديمة فليس فيه مقاعد للطلاب على هيئة صفوف وإنما أجهزة الحاسب الآلي تحت حيطان الغرفة أمام كل واحد منها كرسي للطالب الذي يعمل عليه.

وعندما رأيت كثرة الطالبات في هذا الفصل سألت الأخ الأستاذ (...) عن نسبة الطالبات في الجامعة إلى الطلاب، فأجاب إنها ٣٠% وقال: نحن لم نحدد النسبة وإنما هذا جاء مصادفة فنحن نقبل من تتوفر شروط القبول فيه أفضل من غيره، ونحن ننتقي من الطلاب والطالبات من يكونون كذلك لأن عدد المتقدمين الراغبين في الالتحاق أكثر من عدد الأماكن الخالية في الجامعة، وبخاصة في هذا المبنى الحالي الذي لم يتسع لكل ما نريده- كما قال- وقد بنت الجامعة مبنى مجاوراً متسعاً من ٣ طبقات مجاور للمبنى الحالي أرانا إياه، وذكر أنهم سوف ينتفعون منه قريباً.

الاجتماع في قاعة المحاضرات:

يستمعون إلى كلمة المؤلف في الجامعة الإسلامية في طشقند

كنا نجول في الفصول بينما كانوا يدخلون الطلاب والطالبات إلى قاعة المحاضرات ولذلك عندما وصلناها وجدنا فيها عدد كبيراً نسبياً منهم.

وقد أعدوا لاحتفال قصير افتتحه نائب رئيس الجامعة فذكر أنه يسر الجامعة أن تستقبل فلاناً وذكر صفتي وأنني مؤلف زرت أنحاء العالم، ثم تكلم عن الجامعة الإسلامية هذه وذكر أنها افتتحت قبل سنتين وأن رئيس البلاد هو الذي افتتحها وأنها تلقى العناية منه ومن المسئولين في الحكومة.

ولاحظت أنهم أجلسوا الطلاب والطالبات جميعاً بعضهم بجانب بعض من دون فاصل فمن جاء من الطلاب ووجد مكاناً بجانب طالب أو طالبة جلس فيه ومثل ذلك من الطالبات وحتى المدرسين وبعض الموظفين جلسوا هكذا بدون تمييز بين ذكر وأنثى.

ومعظم الطالبات غير محتشمات، وإن لم يكنَّ متبرجات، إلا أنني لاحظت أن عدداً قليلاً منهن متسترات قد غطين شعورهن، والواضح في الأمر أنه لا أحد ينكر عليهم ذلك، فليس الأمر على ما هو عليه في تركيا حيث لا يكتفون بتشجيع الطالبات غير المتسترات وربما يحاربون الطالبات اللائي يغطين شعورهن والطالبات عليهن جميعاً مسحة من النضارة التي قد تصل إلى حد الجمال، وكان تقديم المدير بالعربية، وذلك لكونهم أو أكثرهم يعرفون العربية كما قالوا لي، ثم طلب مني أن ألقي كلمة على الجميع.

ومن الطريف أنهم لم يجعلوا المجتمعين على هيئة صفوف، وإنما كانوا جالسين طبقاً لوضع القاعة التي فيها صفوف متقابلة إلى جانب مقاعد خلف ذلك ولكنهم كلهم كانوا أمام المنصة الرئيسية.

تكلمت فيهم بذكر وصولنا إلى هذه البلاد، وأنه للعمل على تقوية التعاون بين رابطة العالم الإسلامي وبين الإدارة الدينية والمؤسسات الثقافية فيها، وأن العلاقات الثقافية قديماً بأهل هذه البلاد من بلاد ما وراء النهر، وما صار يعرف بآسيا الوسطى هي قديمة وثيقة حتى صارت من أصول كتب الثقافة الدينية الإسلامية كتب ألفها علماء مشاهير عندنا مثل الإمام البخاري والإمام الترمذي والحافظ الدارمي في الحديث ومثل الفارابي اللغوي وهو صاحب ديوان الأدب الذي ألف أول معجم لغوي في اللغة العربية فهو أقدم قليلاً من كتاب (صحاح الجوهري) في اللغة الذي هو

معاصر له، وهو الذي عرف المتأخرون أن كتابه أول معجم لغوي عام، وذلك قبل أن يطلعوا على كتاب الفارابي، وكلاهما من أهل هذه المنطقة وأما المؤرخون والشعراء والأدباء فأكثر من أن يحصروا بحيث أننا لو استبعدنا من اعتبارنا فرضاً ما كتبه أهل هذه البلاد في الثقافة العربية الإسلامية لبقيت ثقافة ناقصة.

وقلت لهم: إن هذا يجعلنا نؤمل أن يعيد التاريخ نفسه في هذه البلاد وأن تخرج لنا منكم ومن أولادكم أعلاماً في فروع الثقافة الإسلامية مثل أولئك الأعلام القدماء، وقلت غير ذلك.

وعندما انتهيت من الكلام قال نائب مدير الجامعة يخاطب الحاضرين: إن المجال مفتوح الآن لمن يريد التعقيب أو السؤال عن شيء معين مما يتعلق بالموضوع الذي تكلم فيه فلان- يقصدني- فأخذ أحد الطلاب المكبر، وقال: لقد زرت بلادنا لآخر مرة منذ عشر سنوات، وكانت لك زيارات عدة متقاربة قبل ذلك، ولكنك لم تزرها منذ ذلك الوقت.

فقلت له: إن بلادكم كانت في السابق لا يصل إليها المرء إلا بترتيبات وقد ظلت لعشرات من السنين أيام الحكم الشيوعي مغلقة على الآخرين فلا يخرج منها خارج بإرادته الحرة، ولا يدخل إليها داخل، أما الآن وقد حكمتم أنفسكم بأنفسكم فإنها أصبحت بلداً من بلاد المسلمين التي ليس فيها غموض أو إبهام، ونحن نحرص على زيارة البلاد التي تحتاج أكثر من غيرها لتشجيع الدعوة الإسلامية، وأقرب مثال على ذلك في جمهورية (بابوانيوغني) التي دخلها الإسلام حديثاً حتى إنه لا يوجد من أهلها المسلمين من أبوه مسلم، وإنما المسلمون فيها كلهم أسلموا بأنفسهم، وطالما سمعنا بعضهم يقول: إنني أسلمت قديماً كان إسلامي منذ ست سنين.

ثم أخذت المكبر طالبة محتشمة، بل إنها محجبة في عرف الناس الآن إذْ لا يرى منها إلاَّ وجهها وكفاها، فتكلمت بالعربية مثلما كان الطالب الذي قبلها قد تكلم بالعربية، وقالت: هل لكم أن تذكروا ما قامت به الرابطة وما تقوم به في ميدان الثقافة الإسلامية؟

فذكرت جهود الرابطة في هذا الأمر منها إصدار مجلات وصحف بالعربية والإنكليزية وإصدار كتب بعدة لغات مما يتكلم به المسلمون ومن ذلك تقديم المنح الدراسية للمسلمين في بلاد الأقليات، وعقد الندوات الثقافية والمؤتمرات الإسلامية.

وبعد ذلك تكلم عدد منهم وكل ذلك بالعربية.

ثم ختم هذا اللقاء اللطيف وودعنا المسئولون إلى البوابة الخارجية للجامعة.

مسجد ميرزا يوسف:

انتقلنا مع الإخوة في موكب من السيارات وفقاً للبرنامج الذي رسموه إلى مسجد ذكروا أنه (مسجد ميرزا يوسف) ولما وصلناه وجدنا إمامهُ الشيخ (عبدالقادر حيدر) في الاستقبال.

ذكر هو والحاضرون أن هذا المسجد من أهم المساجد وأنه الذي يصلي فيه أكثر السفراء المسلمين ومنهم موظفو السفارة السعودية قبل أن ينتقلوا من مكانهم القديم، وذكروا أن المسجد قديم ولكنه بني بناء جديداً فاخراً ووسع بحيث صار يصلي فيه الجمعة في الوقت الحاضر خمسة آلاف مصلٍ.

ولما كانوا يشرحون أمره ويطلعونا عليه تذكرت أنني زرته في المرة السالفة وأنه هو الذي كان يسمى (مسجد شجرة الجوز) قد زادوا في مساحته وجعلوا له منارتين، وكانت له واحدة صغيرة منفردة في فنائه منفصلة عنه.

وإن الذين كنا قابلناهم فيه آنذاك ومنهم إمامه وأعيان جماعته ذكروا أنه مسجد شجرة الجوز، وأذكر أن أحدهم قال: إن اسمه القديم هو (مسجد ميرزا يوسف).

وذكر الإمام عبدالقادر حيدر والقوم يسمعون أن عدد الذين يصلون الجمعة في المسجد يصل إلى خمسة آلاف وذكر أنهم بنوه ثلاث طبقات.

كان البرنامج مرتباً بحيث نصلي العصر في هذا المسجد، ولكننا أخبرناهم بأننا جمعناها مع الظهر، وقد ظللنا في مكتب الإمام وهو مكتب جيد عليه الضيافة التقليدية في هذه البلاد وهي الأشربة الغازية والشاي، وبعض هذه الزجاجات التي تحتوي على الأشربة الغازية لا تفتح، وإنما تكون جاهزة لمن أراد.

طعام العقيقة:

قال الإمام: هناك طعام جاهز هو طعام عقيقة لأحد الإخوة وهم يتناولونه عادة بعد صلاة العصر، لذا جعلوه في البرنامج.

وهذا شبيه بما كان عندنا قديماً من كون موائد العشاء تكون بعد صلاة العصر، ولكن الشيء الذي أخبرونا به اليوم، وكنا عرفناه عنهم من قبل أنهم يقدمون طعام العرس بعد صلاة الفجر مباشرة، وليس معنى ذلك أن القوم يحضرون للعرس في الليل ويظلون فيه إلى الفجر، كما يفعل بعض الناس عندنا، وإنما المقصود أن المدعوين يحضرون من بيوتهم إلى مكان العرس بعد صلاة الفجر مباشرة، ومن لم يصل منهم فإنه يعرف موعد الطعام بالساعة ولذلك قالوا: إن تناول طعام العرس يكون في مثل هذه الأوقات في الساعة السادسة صباحاً.

قالوا وهذا فيه فوائد كثيرة منها توفير السهر على المدعوين ومنها أن من تناول الطعام ذهب مباشرة إلى عمله لا يمنعه ذلك منه.

وجدنا الموائد جاهزة عليها مقدمات الطعام وهو الفاكهة والسلطة وفاكهتهم في هذه المرة هي البطيخ الأخضر الذي هو الحبحب، ورأيتهم يحبون أكله مع أنه في الجودة دون البطيخ الذي تنتجه بلادنا وقد أحضروا معه مشمشاً وهو جيد يبكر عندهم، وكذلك الكرز الذي يسميه المغاربة (حب الملوك).

صورة مع بعض المدعوين لطعام العقيقة ووالد الطفل على يمين المؤلف

كانت الموائد موضوعة على الأرض تحف بها الكراسي والقوم متحلقون عليها ولكنهم لم يبدءوا الطعام، لأنهم كانوا ينتظرون الإمام الشيخ عبدالقادر حيدر، و ربما كان أخبرهم أننا سنأتي معه.

وعادتهم ألا يبدءوا بالطعام إلا دفعة واحدة غير أن الحاضرين يتلهون

بأكل الفاكهة والمكسرات، و قد أحضروا منها اليوم على المائدة جوزاً جيدة وفستقاً، والفستق الذي رأيناه عندهم لا يكون جيداً ومعها زبيب جيد في العادة وزبيبهم من أفضل أنواع الزبيب الذي عرفته.

ومن مقدمات المائدة الخبز يأتون به كبيراً مدوراً، يضعونه على المائدة أول ما يضعون، ولكنهم لا يمسونه إلا إذا أرادوا تناول الطعام، وعندئذ ينتدب أحدهم نفسه بتقطيع هذا الخبز إلى قطع صغيرة بيده من دون وقاية، ويضع تحت كل واحد من المدعوين قطعة صغيرة منه، وأما الشاي فإنهم يقدمونه من دون سكر يحضرونه بإبريق متوسط الحجم من الخزف ويسكبون منه في سلطانيات صغيرة، وكلما شرب الشخص سلطانيته أو فنجاله زادوا فصبوا من الشاي عليه، وذلك بصفة مستمرة من الجلوس على المائدة حتى الانتهاء منها في أثناء الأكل.

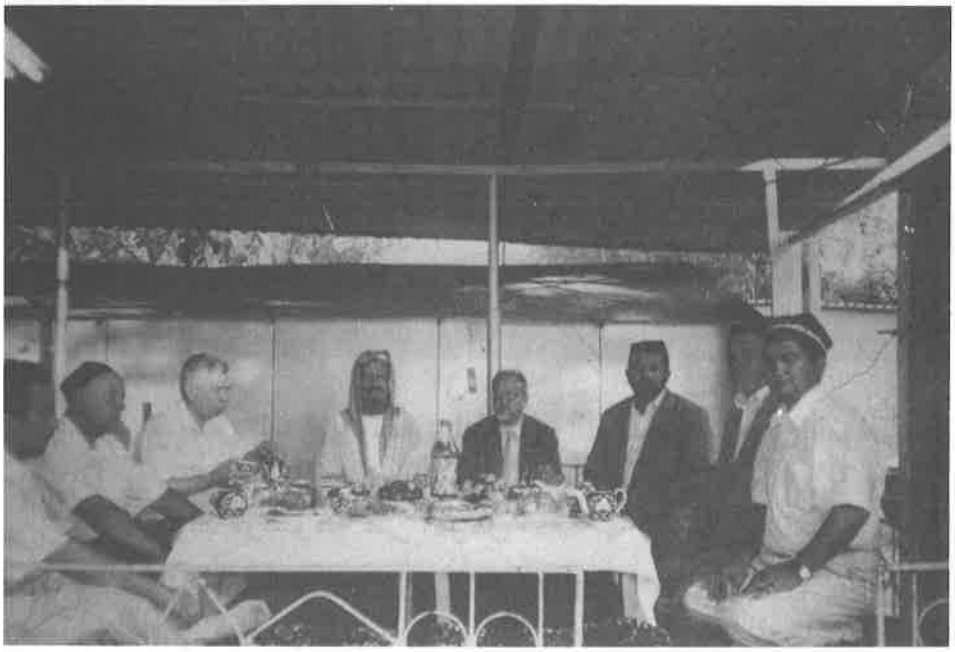

المؤلف على إحدى موائد العقيقة في طشقند

وجدناهم أعدوا مائدة متميزة رفعوها على خشب يصعد إليها في ألواح من الخشب، ولاحظت أنها تتحرك إذا تحرك المرء مما يدل على أن صفها غير متقن، وقد رفعت المائدة عن الأرض بمقدار متر.

جلس عليها الإمام عبدالقادر حيدر ونحن معه وأربعة أو خمسة من وجهاء القوم.

صعدنا إلى المائدة مع الإمام فوجدنا المقدمات عليها موضوعة.

وقبل البدء بالطعام أعطوا الشيخ مكبراً للصوت متنقلاً، فصار يتكلم بلغتهم ترجم أحد الأشخاص بجانبي كلامه بأنه يبارك لهم بالمولود، ويدعو له ولأهله بالخير، وأنه بعد ذلك وعظهم وذكرهم بنعم الله تعالى عليهم.

ثم أعطاني مكبر الصوت وطلب مني أن أتكلم فيهم كلمة، فدعوت للمولود وأهله وقلت: إنه لمن الفأل الحسن إن شاء الله لهذا المولود المبارك بإذن الله أن يأكل من عقيقته أخوة لكم مسلمون من أهل مكة المكرمة، وذلك دون ترتيب منكم ولا موعد سابق، ولو حاولتم ذلك وحاولناه معكم بأن نأتي إلى هذه المائدة لم نستطع لأنه تعترض دون ذلك عقبات من الوقت والأشغال ولكن الله سبحانه وتعالى أراد ذلك، وسوف ندعو له ونسأل الله تعالى أن يقبل.

ثم تكلم الإمام عبدالقادر ثانية ورفع يديه بالدعاء.

ثم جاءت أطباق الطعام وبدأ الجميع يأكلون، وكان أول الأطباق بعد أن فتتوا الخبز الذي كان حاضراً على المائدة اليغمش وكان دسماً إلى درجة أن داخله فيه قطع صغيرة من الشحم الخالص.

وصفة اليغمش أنهم يصنعونه من عجين أبيض ويطبخونه على البخار لذا يظل لونه أبيض كأنما هو نيئ وهو أملس، إذْ يكونون أبعدوا قشور القمح معه فغدا كالنشأ

يضعون في وسطه قطعاً صغيرة دسمة من اللحم وفي أكثر الأحيان تكون معها قطع صغيرة من الشحم، ويكون اللحم فيه مثلما يكون في السمبوسك إلا أن اللحم عندنا يكون في السمبوسك مفروماً ويكون عندهم في (اليغمش) قطعاً صغيرة.

ثم جاء الأرز البخاري الذي نعرفه بهذا الاسم وهم يكثرون فيه من الجزر الأصفر ويضعون فوق الصحن منه قطعاً صغيرة من اللحم لأنهم يكونون أكلوا اللحم من أطباق أخرى، والجديد الذي رأيته اليوم ثم رأيته بعد ذلك في (طاجكستان) أنهم جعلوا فوقه قطعة من الشحم الخالص أظنه من ألية الخروف جعل أحدهم يقطعها بسكين إلى قطع في مقدار التمرة ويضعها على المائدة فكان الآكلون يأخذون هذه القطعة الخالصة من الشحم بالملعقة ويأكلونها، ويلاحظ أن جميع أكلهم بالملاعق فلم أرهم يأكلون طعاماً حاراً بأيديهم كما يفعل أهل الهند مثلاً، وكما نفعل نحن في بعض الأحيان.

كما لم أرهم يأكلون الخبز بالمرق بمعنى أنهم يغمسونه بالمرق أو نحوه، وإنما هم في هذا الأمر كالأفرنج الذين يأكلون الخبز خالياً من دون أي شيء حتى لو وجد مرق أو حساء (شربة).

وقد وضعوا مع الأرز البخاري زبيباً وأشياء أخرى جعلته شهياً لا عيب فيه لدينا إلاَّ كثرة الدسم وهذه مزية عندهم للطعام.

واسم المولود (ايلي بيك) ووالده (ظفر جان) ومنزلهم في حي درخان من مدينة طشقند.

وكانوا يصورون كل شخص في هذه العقيقة تصويراً تلفازياً لا شك في أنهم يريدون بذلك تسجيله لأنه يتعلق بحياة المولود.

وفي النهاية أعطوني المكبر وطلبوا مني الدعاء لهم فدعوت لهم بالعربية وصاروا يؤمنون إذا أمن من يفهم كلامي منهم، والتقطوا صوراً تذكارية معنا لهذه المناسبة.

وكان ما كدر طعام هذه العقيقة وجود الذباب الملحّ، وهو ذباب كبير وكثير أسميته في بعض مؤلفاتي بذباب آسيا الوسطى، وقد لقينا منه عنتاً في وادي فرغانة، حيث المياه والفواكه الكثيرة المبكرة، وعدم النظافة في الشوارع.

ولم أر في كل البلاد التي زرتها ذباباً كثيراً ملحاً إلاَّ في هذه البلاد الآسيوية الوسطى وفي قارة أستراليا، وذباب أستراليا أصغر من ذباب هذه المنطقة، ولكنه أكثر إلحاحاً منها، وآذى من غيره من الذبان، وقد لقينا منه مشقة في أستراليا عندما زرناها وذكرت ذلك في عدة كتب كتبتها عن أستراليا.

وغادرناهم في الساعة الثامنة إلاَّ الربع، وقد بقيت على غروب الشمس ربع ساعة لأنها تغرب الآن في طشقند في الساعة الثامنة.

إلى جمهورية قرا قلبقستان

جمهورية قرا قلبقستان: جمهورية صغيرة ذات حكم ذاتي داخل أوزبكستان، كان الروس الشيوعيون أنشأوها بدعوى أن سكانها من عنصر غير عنصر الأوزبك الذي يؤلفون الإغلبية من سكان جمهورية أوزبكستان، وجعلوها ذات حكم ذاتي داخل أوزبكستان، جرياً على عادتهم في إحياء النعرات القومية، وتقسيم الناس على حسب ما أسموه بقومياتهم.

وتقع (قرا قلبقستان) إلى الشمال من منطقة خوارزم الشهيرة وهي بلاد مذكورة في الكتب العربية بشدة البرد في الشتاء ذكرها ابن فضلان عندما مر بها في طريقه إلى البلغار على ضفاف نهر الفولقا، وعاصمتها (نوخوس) التي يبلغ عدد سكانها ٣٠٠ ألف من مجموع سكان جمهورية (قره قلبقستان) البالغ مليوناً ونصفاً من السكان.

ولهم لغة خاصة قريبة من اللغة الخوارزمية.

أما نوخوس فإنها ربما كانت هي (نوفوس) أو (أوغوس) وهي قبيلة تركية قديمة، وأما تسمية هذه البلاد باسم أ(قره قلبق) فإنه فيما يظن منذ القرن الحادي عشر، وعرفت أرضهم بهذا الاسم (قره قلبقستان) منذ القرن السابع عشر.

وأما برد خوارزم الملاصقة لها من جهة الجنوب فقد ذكره ياقوت الحموي رحمه الله.

ونحن زرناها في الصيف كما قد زرنا منطقة خوارزم في الربيع، ولم نحس فيها برداً.

وقد ذكرت زيارتي لها في كتاب: (يوميات آسيا الوسطى) و(والعودة إلى ما وراء النهر) وهما مطبوعان كما ذكرت رحلة ابن فضلان في كتاب: (بلاد التتار والبلغار) الذي طبعته رابطة العالم الإسلامي، في سلسلة (دعوة الحق) التي تصدرها، وقد ذكرت ذلك لكي يرجع إليه من أحب أن يقرأ شيئاً عن تلك المناطق.

تسميتها:

اسمها غريب، ولكن عليه مسحة تدل على أنه تركي الأصل، وليس المراد من ذلك نسبته إلى الأتراك الموجودين الآن في جمهورية تركيا فهؤلاء اختلطوا بغيرهم، وتكونهم هذا بهذه الطريقة محدث، وإنما ترجع إلى أصل تركي قديم، وكان ابن فضلان سماهم كفار الأتراك كما سبق، وأول كلمة في الاسم هي (قرا) هي تركية شائعة الاستعمال في جميع اللغات المتفرعة من اللغة التركية القديمة ومعناها: اسود، وقلبق لفظة تركية قديمة تعني غطاء الرأس وستان: بلاد، وهي التي شاع استعمالها حديثاً في مثل باكستان وأفغانستان وجمهوريات آسيا الوسطى كلها والجمهوريات المسلمة الداخلة في روسيا مثل جمهورية (تتارستان) و(داغستان) وهي كلمة فارسية قديمة، لكن من الملاحظ أنه رغم ذلك كله فإن الإيرانيين الذين هم أخلاف الفرس الأقدمين لم يسموا بلادهم بها، فلم يقولوا (إيرانستان) وإنما اكتفوا بلفظ (إيران).

وهذه الكلمة الفارسية (ستان) بمعنى بلاد استعملها العرب منذ آخر القرن الأول الهجري، وإن كان المعتقد عند بعض الناس الذين لم يطلعوا على الكتب العربية القديمة أنها محدثة لكونها اشتهرت بذلك حديثاً.

فقد ذكر البلدانيون كلمة (تركستان) بمعنى بلاد الترك قديماً ومن أقرب من ذكرها من الكتب التي يمكن الرجوع إليها (معجم البلدان) لياقوت الحموي.

وأما ذكرها في آخر القرن الأول الهجري فإنه قد ورد في شعر شاعر من باهلة حين قال بذكر قادة من قبيلة باهلة من الذين قتلوا وهم يقودون الجنود المسلمين أحدهم قتيبة بن مسلم الباهلي الشهير الذي قتل في وادي فرغانة الذي يقع الآن في جمهورية أوزبكستان، والثاني: سلمان بن ربيعة الباهلي الذي قتل عند

(بـاب الأبـواب) فـي جبـال الداغسـتان الآن، وكـان مقتلـه فـي مدينـة (بلنجـر) مـن داغستان، فقال الباهلي:

وإنَّ لنا قـبرين قـبر بلنجـر وقبراً بصين (ستان) يا لك من قبر

فذكر (صين استان) التـي تعنـي بـلاد الصـين، و ذلـك أن قتيبـة بـن مسلم الباهلي عزم على غزو بلاد الصين، وكـان للصـينيين نفوذ فـي بـلاد التركستان فبدأ بها وفتح مدينة (كاشغر) الشهيرة وما زال يقاتل إلى أن قتل في فرغانة عام ٩٧هـ فتوهم قائل الشعر أنه دفن في بلاد الصين.

وعلـى هـذا يكـون معنـى تسـمية هـذه الـبلاد التـي نتجـه إليهـا اليـوم هـو (جمهورية ذوي القبعات السود) وإن كان لفظ القبعة ليس دقيقاً، لأن القلبق ليس كالقبعة تماماً، وقد أهدانا أهلها واحدة منها فصورتها.

يوم الأحد: ١١/١٠/١٤٢٢هـ- ٣/٦/٢٠٠١م:

من طشقند إلى نوخوس:

و(نوخوس) هي عاصمة (قراقلبقستان).

غادرنا فندقنا في طشقند وهو (انتركونتنتال) تاركين فيه أمتعتنا لأننا سوف نعود إليه ليلاً وذلك على سيارة السفارة التي يقودها الأخ الشيخ (ناظم نجم الدين) وكان خروجنا في الساعة الثامنة صباحاً قاصدين المطار ومعنا الإخوة (جلال الدين حسن الدين) و(إسماعيل عبدالله) اللذين سيرافقننا في الرحلة.

وكانت شوارع طشقند في هذه الساعة من يوم الأحد الذي هو يوم العطلة خالية أو شبيهة بالخالية من السيارات، وبدت حالة شوارعها واضحة الآن، لخلوها من السيارات والمشاة فبدت الرئيسية منها جيدة، بخلاف الشوارع القديمة في الأحياء القديمة فإنها سيئة، ولكن التحسن على وجه العموم فيها هو الظاهر.

وصلنا إلى المطار القديم الذي حسنوه، وبنوا فيه أبنية جديدة إضافية، بل كل شيء فيه تغير، إلا ما كان من صفوف الطائرات الكثيرة الواقفة فيه كأنما اصطفت للعرض.

وكلها قد ورثته أوزبكستان من تركة الاتحاد السوفيتي المنهار، من شركة الطيران فيه المسماة (ايروفلوت) مثل غيرها من جمهورياته، إلا أن أوزبكستان كانت أحسنها حظاً في هذا الموضوع لأنه يوجد فيها مصنع للطائرات النفاثة كان الاتحاد السوفيتي قد أنشأه فيها ليكون بعيداً عن أخطار ضربه أو تدميره أثناء الحرب، فكان ذلك مساعداً على الانتفاع من هذه الطائرات، وإن كان بعض ما يحتاج إليه المصنع موجوداً خارج أوزبكستان من أقطار الاتحاد السوفيتي السابق.

لقد كنت حاولت زيارة (قراقلبق ستان) هذه عدة مرات خلال زياراتي

السابقة التي كان أخرها قبل عشر سنين، ولكن لم يتيسر ذلك، ولذلك أجدني سعيداً بهذه الزيارة لها اليوم.

صعدنا إلى طائرة نفاثة صغيرة من طراز (ياك ٤٠) وهي إلى صغرها ذات ثلاثة محركات نفاثة صغيرة من صنع روسي أو لنقل: إنها كانت من صنع الاتحاد السوفيتي في القديم، ولا أدري الآن من يصنعها من أقطاره، وهي نوعان أحدهما تحمل ٤٠ راكباً في عشرة صفوف والثاني تحمل ٣٠ راكباً في عشرة صفوف، وأعلن مكبر الطائرة باللغة الأزبكية ثم الروسية أن الطيران إلى مدينة نوخوس عاصمة قرا قلبقستان سيستغرق ساعتين.

وقد سألنا المضيفة عن المسافة ما بين طشقند ونوخوس بالكيلومترات فلم تعرف ذلك، وقالت: سوف أسأل، ودخلت على الطيارين في غرفة القيادة ذكروا لها أنها (٨٥٠) كيلومتراً.

والباب الذي بين غرفة القيادة والركاب فيه عين ساحرة كما يقال وهي الثقب الصغير الذي ينظر فيه من يكون داخل الباب إلى من يطرقه.

وكنت عهدتهم في مثل هذه الطائرات يقفلون هذا الباب، فإذا أرادت المضيفة أن تدخل إلى غرفة القيادة طرقته عليهم.

رأيت ذلك في عدة مرات ركبت فيها هذه الطائرة النفاثة الصغيرة (ياك) وأول ذلك كان من (باكو) عاصمة أذربيجان إلى مدينة (زاكاتالا) في أذربيجان، وهي منطقة معظم المسلمين من أهلها من أهل السنة، بخلاف الأكثرية من سكان أذربيجان فإنهم من الشيعة، وكانت الإدارة الدينية في أذربيجان ممثلة برئيسها الشيخ (الله شكر باشا زاده) وذلك عندما زرنا المسلمين

في الاتحاد السوفيتي عام ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م) فاستأجرت الإدارة الدينية هذه الطائرة كلها لنا ثم تكرر ركوبنا فيها فحمدنا ذلك لكونها هادئة في الجو مثل غيرها من الطائرات الروسية.

من الغريب بالنسبة إليَّ أنني ركبت واحدة منها في مكان بعيد جداً عن هذه المنطقة هو الغرب البعيد من إفريقية أيضاً فقد ركبت مع طائرة منها من مدينة دوالا الكبيرة في الكاميرون إلى مدينة (مالابو) عاصمة جمهورية غينيا الاستوائية، ولا أدري كيف يحصلون على الصيانة لها والعناية بها، و رأيت قائدها روسياً فيما يظهر من شكله.

أقلعت هذه الطائرة بنا في العاشرة إلاَّ دقيقتين من طشقند قاصدة (نوخوس) وكان مدرج المطار الذي قامت منه من مطار طشقند ذا أعشاب جافة مما يدل على أنه كان شهد موسماً مطيراً أو موسماً ثالجاً قبله.

وحالما ارتفعت رأيت محلة شعبية قرب المطار لم أكن رأيتها من قبل وذلك أنه لا تكون في زمن الاتحاد السوفيتي قرب المطارات منازل، بل إن المنازل لا تكون حتى في طريق المطار، وإنما تكون المسافة بين المطارات والمدن ريفاً خالصاً خالياً من السكان.

والسبب في ذلك أن الدولة هي التي تملك الأراضي وهي التي تخطط لها فهم يبنون المساكن الشعبية على هيئة أبنية ضخمة متعددة الطوابق فيها شقق صغيرة، تبيع الدولة هذه الشقق على المواطنين بأسعار رخيصة أو تؤجرها عليهم بأجور رمزية.

وغالباً ما تكون تلك الأبنية بعيدة عن وسط المدينة، ويستعدون لذلك بإيجاد حافلات للنقل العام كثيرة إلى جانب أنواع النقل العام الأخرى مثل (الترمواي)

الذي هو العربة التي تسير على قضبان، و النوع الآخر المسمى في مصر (الترولي) وهي الحافلات الكهربائية التي تسير بالقوة الكهربائية تستمدها من أسلاك الكهرباء فوقها.

وهذه المحلة الشعبية قرب المطار ذات بيوت لاطئة سقوفها من الصفيح أو ما دة أخرى كالخشبية ولكنها جميعاً مسنمة.

ثم صارت الطائرة تحلق فوق مدينة طشقند التي بدت متسعة ممتدة، ذات ضواحٍ كثيرة ولا غرو في ذلك لأن سكانها يبلغون ثلاثة ملايين نسمة.

وينبغي أن نشير هنا إلى أن مدينة طشقند قديمة وأن العرب الأوائل عرفوها ببلاد الشاش وهي تحريف لاسمها القديم (تاش كنت) بمعنى قرية الحجر فتاش: حجر وكنت: قرية أو بلدة.

بدت ضواحي طشقند ومنطقتها أرضاً زراعية ولكن سرعان ما انتهى ذلك والطائرة تمعن في طيرانها جهة الغرب، إذْ أصبحت الأرض تحتها شبيهة بالصحراوية، وقد رأينا قبل ذلك على أيمن الطائرة بحيرة لاشك في أنها محجوزة من مياه بعض الينابيع أو الوديان التي تكون في الشتاء، لأن الأمطار قد تسقط في الصيف ولكنها ليست كثيرة متكررة في الغالب ثم مررنا فوق أماكن مرتفعة جافة، ولكن في جهة من جهاتها أراضٍ زراعية ربما كانت تسقى من مجرى مياه المطر أو مجمع من تجمعاته.

ألقيت بعد ذلك نظرة على ركاب الطائرة فألفيتهم جميعاً من الأوزبك ما عدا اثنين يبدو عليهم المظهر الروسي وربما كانوا من الأوروبيين الآخرين.

وقد أخذنا معنا من طشقند مرافقين اثنين هما (جلال الدين...) و(إسماعيل عبدالله).

وقد وصلت الطائرة إلى منطقة صحراوية تماماً كما تبدو من الطائرة

وظني أنها مثل طشقند كانت شهدت فصلاً ماطراً أو ثالجاً، نبتت الأعشاب فيه ونمت أعقبه هذا الفصل الحالي وهو فصل جاف.

وعلى ذكر الجفاف أقول: إن هذه المنطقة لا تشكو من قلة المياه لأن فيها نهرين كبيرين مشهورين في التاريخ العربي وهما نهر جيحون وسيحون، والأول صار يعرف الآن بـ (أمودارياً) بمعنى النهر المجتمع أو الجامع، وهما كلمتان من اللغة التركية القديمة، والثاني (سرداريا) وسر: هي العربية ضد جهر، فالأول من اسمه عربي، والثانية وهي (داريا) معناها: نهر.

إلى جانب بعض مجاري المياه والوديان التي تأتي إليهم من الجبال القريبة من طشقند، ولما ذكرت للمرافقين وكان الأخ جلال الدين بن حسن الدين جالساً بجانبي وهو شخص ذكي، ويحب المعارف العامة أن هذه الأرض التي تحتنا هي صحراوية، قال: نعم، هي كذلك، ولذلك توجد فيها الإبل، فسألته عما إذا كانت ذات سنام واحد أو سنامين، فذكر أنها ذات سنام واحد.

وكنت عرفت بالمشاهدة أن الإبل ذات السنام الواحد لا تكون إلا في بعض البلاد غير الشديدة البرد أو لا يكون بردها الشديد ممتداً أما ذوات السنامين فإنها تعيش في البلدان الشديدة البرد جداً مثل صحراء المغول وجنوب غربي الصين، وتركستان الشرقية.

وذلك أنها أقصر قوائم من الإبل ذات السنام الواحد وأكثف أوباراً وهي إلى ذلك أقل رشاقة منها أيضاً.

ولم ألاحظ وجود أية قرى أو أماكن خضر من زراعة أو نحوها في المنطقة، وقد استمرت هذه الصحراء تحتنا والطائرة تسير لاهثة فوقها من دون أن تتغير المناظر لفترة تعتبر طويلة في الطائرة، وإن كانت قصيرة في حساب الزمن.

هذا وقد قدموا الضيافة والوقت وقت إفطار قطعة من الفطائر المحلية صغيرة داخلها دسم وقطعة من الخبز وكأساً من شراب البرتقال.

وهذا على قلته يعتبر تطوراً بالنسبة لما كان عليه الأمر في الطائرات الروسية في السابق، إذْ لم يكن يقدم فيها على الرحلات التي يقل زمنها عن ثلاث ساعات أي طعام وإنما يكتفون بتقديم كأس أو نصفه من الماء المثقل بالغاز وهم يضيفونه إليه إضافة أو من شراب الفاكهة غير مستساغ.

وكانت هذه الطائرة مثل الطائرات الروسية الأخرى في القديم ليس فيها مائدة للطعام أو الكتابة، فكنا نضع ذلك فوق ركبنا، وكذلك عند الكتابة يضع الإنسان ركبته ويكتب فوقها كما كان عليه الحال عندنا في القديم حينما كنا لا نعرف موائد الكتابة.

وكان من أبشع ما فيها مما بقي لها من العهد الشيوعي حمام الطائرة فهو من المعدن أو الحديد الذي يبدو من منظره أنه قذر، وهو قذر بالفعل وليس فيه ورق للتنشيف، وكنت عهدت في الطائرات الشيوعية إلى ما قبل عهد قريب وهو العام الماضي داخل روسيا أنهم يعلقون فوطة واحدة من القماش لجميع من أراد من الركاب أن ينشف يده، وربما يمسح بها أحدهم يده أو أي مكان آخر، وفي الحمام حوض ماء من المعدن كما يكون في القطارات إلا أنه قديم لا يصب منه الماء إلا إذا أمسك به الراكب بيده، لأنه مؤلف من قطعتين تضغط إحداهما على الأخرى فيخرج الماء.

والحمام إلى ذلك ضيق بل غاية في الضيق لا يستطيع الواحد مثلنا أن يتيقن أنه لم يصب ملابسه فيه نجاسة، وهذا كله مع أن العهد الشيوعي قد زال وأن هذه الطائرة تابعة لشركة خطوط أوزبكستان وقد كتبوا عليها اسمها (أوزبكستان

ايرويز) وقد كتبنا ايرويز خطوط وإن كانت الترجمة الحرفية لها (طرق).

وقبيل الوصول إلى نوخوس وكنا نطير فوق صحراء رأينا على البعد بحيرة ما لبثنا أن اقتربنا منها فرأيت بجانبها نهراً واسع المجرى شحيح المياه، وتبين أن تلك البحيرة هي من نهر جيحون (أمودريا) وأن النهر هو نهر جيحون نفسه، وبدأنا نرى الزراعة ثم كثرت مع اقترابنا من المدينة.

مطار نوخوس:

مرت الطائرة فوق غرب مدينة نوخوس فرأينا منها بيوتاً شعبية منفردة من الطين، إلاَّ أن سقوفها مسنمة وليست مسطحة، و بينها أشجار خضر غير كثيفة.

هبطنا في مطار (نوخوس) في الساعة الثانية عشرة و٥ دقائق بعد طيران استغرق ساعتين وعشر دقائق، أي بزيادة خمس دقائق عما كانوا أعلنوه في الطائرة.

وحول مدارج المطار شجر صحراوي لاصق بالأرض يشبه شجر الرمث أو الهرم مما جعلني أسارع ظنا بأنها بلاد تعيش فيها الإبل، وتبين أن ذلك صحيح كما سيأتي وليس فيها أعشاب ملتفة.

وجدنا في الاستقبال في المطار عدداً من الإخوة منهم الشيخ (مراد جان بن محمود) وكيل الإدارة الدينية الأزبكية وقاضي المسلمين في (قرا قلبقستان) وذلك أنه هو مدير الإدارة الدينية، وقاضي المسلمين في هذه الجمهورية ذات الحكم الذاتي، ونائبه الشيخ عبدالوهاب بن رحمة الله والشيخ عبدالحميد بن رحمة الله مدير المدرسة الدينية، ونائب مديرها الشيخ عبدالكريم عبداللطيف والأستاذ حسن الدين بن محمد ممثل مصلحة الشئون الدينية في هذه البلاد، أي في (قرا قلبقستان) وهذا الرجل عرفنا فيما بعد من البحث معه أنه أعجوبة من

العجائب فهو يحفظ الشعر العربي القديم وينشده من دون لحن أو تعتعة، كما يحفظ النصوص العربية القديمة ومع ذلك يصعب عليه الانطلاق بالتحدث بالعربية بسبب عدم اعتياده على ذلك.

ركبنا على سيارتين أعدهما الإخوة ونحن ليس معنا حقائب لأننا تركنا امتعتنا في طشقند.

لم نكد نسير من المطار حتى وصلنا المدينة فهو يقع في حاشيتها فأوقفوا السيارات عند مسجد مهيب المنظر، جديد وما حوله من الأرض فضاء، ليس بجانبها بيوت، بل لا يبصر المرء تجمعاً للبيوت فيما حوله، ويقع على ضفة نهر متوسط يكاد يكون في مقدار نهر بردى في دمشق خمس مرات وهو مفعم بالمياه.

مقر الإدارة الدينية:

بدأنا أول الأمر بمقر الإدارة الدينية الذي يقع في ملحق بالمسجد، وإذا به فقير في كل شيء، ليس بالنسبة إلى مكاتب الإدارة الدينية وأئمة المساجد في هذه البلاد التي يعتنون بها وتكون غالباً جميلة ومكتملة أكثر من مكاتب الدوائر الحكومية في الإدارة والمظهر وإنما بالمقاييس العالمية للفقر.

جلسنا فيه وبحثنا مع مدير الإدارة الدينية الشيخ (مراد جان) الذي يسمونه نائب الإدارة الدينية في (قرا قلبقستان) بمعنى أنه نائب عن مدير الإدارة الدينية لأوزبكستان في طشقند، فكان حديثه شكوى المتعفف فهو يعرض المصاعب التي تواجههم من الناحية المالية ولكن لا يصرح بأنه يطلب مالاً، وإن كان يذكر المساعدة.

وهي جديرة بالمساعدة وإن لم يذكر ذلك، بل إنني شعرت بالخجل من نفسي على وجود مثل هذا النقص في وسائل هذه المؤسسة الدينية من دون أن نقدم لها شيئاً من قبل.

في الإدارة الدينية في نوخوس

صحيح أننا قدمنا مساعدات لغيرها وصحيح أيضاً أن عدم تقديم المساعدة لها لم نكن نحن السبب فيه، بل إنه يرجع في الدرجة الأولى إلى العراقيل التي وضعها حكام هذه المنطقة الذين هم من الشيوعيين السابقين فهم الذين كانوا يحكمون البلاد قبل سقوط الشيوعية، ساروا على طريقة الشيوعيين في فصل الدين عن الدولة، التي حرموا فيها كل تعليم ديني، بل إنهم حشوا كتبهم بالتهجم على الإسلام وعلى المعتقدات الإسلامية، ومحوا من ذاكرة الناس كل مجد إسلامي عريق لهم، فكانوا يدرسونهم أخبار لينين وماركس وانجليز من منظري الشيوعية.

وفي الوقت الحاضر وما قبله بسنوات خاف الحكام الذين أتوا بعدهم من المد الإسلامي المتنامي فاخترعوا أواخترع لهم غيرهم من الروس ومن المستشارين اليهود مصطلح (الوهابية) ليحاربوا الإسلام باسم محاربة الوهابية،

لأنهم لا يستطيعون أن يقولوا لشعوبهم وهي شعوب مسلمة: إنهم يحاربون الإسلام غير الصحيح مثلاً، لأن هذا أمر لا تطيقه تلك الشعوب، ولكن (الوهابية) شيء غير معروف لهم، فصاروا يحاربون الدين الإسلامي وكل ما يمت إليه بصلة باسم محاربة الوهابية، وهم لا يعرفون الوهابية معرفة حقيقية.

وقد أصدر الرئيس (إسلام كريموف) كتاباً ترجم إلى عدة لغات ومنها العربيةبعنوان (أوزبكستان على عتبة القرن الواحد والعشرين) ذكر فيه من بين ما ذكره أن (الوهابية) أخطر على البلاد من إسرائيل، و لو سأله سائل عن الوهابية لما عرفها ولابد بهذه المناسبة أن أوضح أن سبب انقطاع المساعدات عن بعض الجهات هنا هو أن حكومة هذه البلاد صارت لا تمنح سمات الدخول، بل لا تحبذ التعاون مع البلدان الإسلامية التي تنشط للدعوة الإسلامية لما ذكرناه.

مدرسة البيروني:

بعد الجلوس في مكتب الإدارة الدينية انتقلنا إلى مشاهدة المدرسة الدينية التي أسموها مدرسة محمد بن أحمد البيروني فوجدناها أفقر مظهراً أو أكثر تمثيلاً للعوز حتى إن أثاثها من المقاعد الدراسية والكراسي كله مستهلك، وقد ذكروا بالفعل أنه من الأثاث المستهلك الذي حصلوا عليه لكون أهله زهدوا به ونبذوه.

وعندما سألتهم عن اسم هذه المدرسة أجابوا إنه (مدرسة محمد بن أحمد البيروني) وهو العالم المشهور، بل هو العبقري الفذ الذي لم يقم نحوه أهل بلده، وأهل ثقافته العربية بما يجب له من الدراسة والتنويه به.

أسموا المدرسة باسمه لأن (بيرون) التي نسب إليها البيروني تقع على بعد (١٢٠) كيلومتراً من مدينة نوخوس التي نحن فيها الآن، وذلك جهة إقليم خوارزم.

فقلت في نفسي: لقد هان البيروني على أهله حتى أسموا باسمه هذه

المدرسة التي كل ما فيها يدل على النقص في الإمكانات وعلى فقدان الوسائل لذلك، ومن ذلك أنهم خصصوا غرفة لكتب الدراسة ليس فيها ولا كتاب واحد.

وسألتهم عما إذا كانوا يخجلون من تسمية المدرسة باسم هذا الإمام العظيم مع أنها على ما هي عليه من قلة الإمكانات، فقالوا: إننا لا نملك إلا هذا.

ونحن حينما نذكر ذلك لا نلومهم، وإنما نذكر ما شاهدناه، لأننا نعلم أنهم بذلوا جهودهم ولكنها لا تقوى على غير ذلك، فإذا ما نظرنا إلى مدرسة البيروني هذه وهي ابتدائية تؤهل من يتخرج منها للالتحاق بالمعاهد الدينية التي تتبع الإدارة الدينية في طشقند، وقارنتها بمدارس النصارى ودعاة الغرب بل الشرق نخجل من أنفسنا ونقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

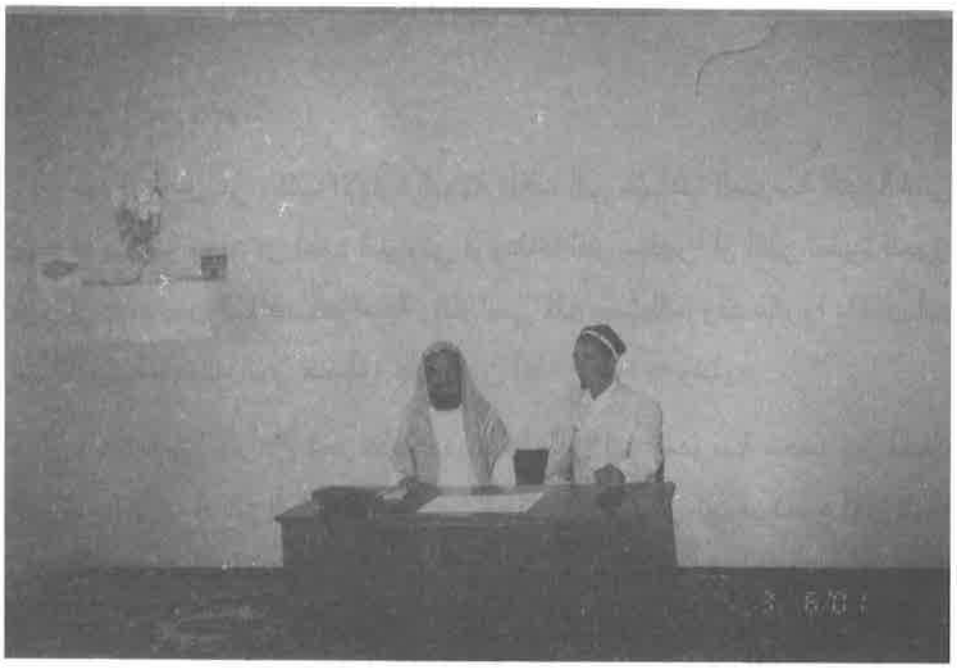

في غرفة مكتب مدير مدرسة الإمام البيروني مع مديرها عبدالكريم بن عبداللطيف

ويجب أن ننوه هنا أن جميع نفقاتها ونفقات المساجد هي من التبرعات، فالحكومة لا تساعدهم بأي شيء، تحتج لذلك بأنها دينية، وأن الحكومة علمانية لا تقدم شيئاً للدين مع أن مفهوم العلمانية في أوروبا هو أن لا تعادي الحكومة الدين ولا تشجعه،ولكن هذه الحكومة تعادي من يشجعون على تقديم المساعدات للمؤسسات الدينية خوفاً من أن يقوى سلطان الإسلام فيبعدهم عن مناصبهم.

ومع ذلك فإن كلامنا لا يعني أن قصور الأدوات معناه عدم الإفادة أو الاستفادة من المدرسة، ربما لأننا نعرف أن علماء أعلاماً تخرجوا من مدارس ودور للعلم لا تتوافر فيها الوسائل الكافية أو كانت تواجه العوز والحاجة، غير أن ذلك ليس القاعدة وإنما القاعدة المعروفة عند سلفنا الصالح أن ييسروا لطلبة العلم مدارس تحتضنهم وتكفل لهم العيش فيها تقدم لهم الطعام وغيره حتى إن بعضها كالمدرسة النظامية في بغداد قد وظفت غسالين لغسل أثواب الطلاب.

ولكننا في هذا العصر وقد تعقدت فيه الحياة، وصار لنجاح التعليم شرائط ووسائل عديدة نذكر ذلك رجاءً أن يتغير إلى الأحسن على أيدينا، أو أيدي غيرنا من الإخوة المسلمين.

وقد رأينا أن الغرف التي فيها المدرسة وهي في ملحق للمسجد مثل مكتب الإدارة الدينية لم يكتمل بناؤها فلم تدهن ونوافذها عليها نوافذ مسترجعة مما كان ألقي فأخذوه وركبوه عليها ومثل ذلك الأبواب.

مسجد الإمام محمد إيشان:

هذا المسجد الكبير المشرف اسمه (مسجد الإمام إيشان محمد) ولم يزودونا علماً عن ذلك الإمام إلاَّ أنه أحد علماء المنطقة.

ذهبنا إليه فألفيناه واسعاً قد بني بناء متقناً لا عيب فيه إلا أنه لم يكتمل طلاء بعضه ولا تبليط ملحقاته.

ومع أنه جديد بدأوا ببنائه عام ١٩٨٨م واستمروا يبنون فيه منذ عشر سنوات بسبب قلة النفقة لديهم.

ويسمون التبرعات لمثل المساجد والإدارة الدينية (إحساناً) ولذلك عندما سألتهم عن نفقات بناء هذا المسجد أجابو بأنها من (الإحسان).

كان الكلام مع الإمام بالعربية أحياناً لأنه يبدو كالعارف المنطلق في الحديث بها، ولكنه كثيراً ما يقف عن الكلام أو يبدو عليه عدم الفهم، وذلك لكونه كان درس في شعبة تعليم اللغة العربية في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، ولم يدخل في الجامعة أية مرحلة دراسية.

ذكروا أن عدد الطلاب في المدرسة هو ٧٤ وأن المددرسين ١٠ وأنهم يدرسون فيها حياة العالم (البيروني) الذي أسموها على اسمه.

وذكروا أنها افتتحت في عام١٩٩٦م، أي في الفترة التي قلت فيها مساعدات الجهات العاملة في بلادنا على مساعدة المسلمين في الخارج بسبب ما ذكرناه آنفاً.

أدينا صلاة الظهر معهم خلف الإمام الشيخ (مراد جان) ثم جمعنا معها العصر، وصلاته خفيفة مثل صلاة أكثر الناس هنا أخذاً من كون المذهب الحنفي لا يرى الطمأنينة في الصلاة شرطاً من شروطها خلاف المذهب الحنبلي ثم درج الناس على ذلك.

في محراب مسجد الإمام محمد إيشان في نوخوس مع بعض أهلها

ولكن العجيب أنه إذا فرضنا أن صلاتهم الرباعية تستغرق ٣ دقائق فإن صلاتنا الرباعية مثلها تستغرق ست دقائق إلا أننا إذا فرغنا من الصلاة تنفل من شاء منا التنفل بركعتين في الأكثر، و انصرف من أراد أن ينصرف دون أن يتنفل أما هم فإنهم قد ألزموا أنفسهم بعبادات من الأذكار والأوراد وحتى

النوافل التي صاروا يحرصون عليها، وبعض العوام يعتقدون أنها لا تكمل الصلاة إلا بها، فإذا ما جمعت مدتها صارت أكثر من المدة التي تستغرقها صلاتنا المطمئنة بكثير.

ورأيت في المسجد سجادة جديدة مما تنتجه المصانع فأخبرونا أنها تبرع من المحسنين، أي تبرعوا به عيناً وليس بثمنها للمسجد.

وقد بنوا المسجد على الطراز المعماري التقليدي الشائع في هذه البلاد وهو الذي يصح أن نسميه بالطراز التيموري في البناء نسبة إلى تيمور لنك، لأن قبره وما خلفه من الأبنية بنيت عليه.

ويذكر أن معنى (لنك) في اسمه هو الأعرج فهو أعرج بالفارسية و وصفه بالأعرج جاء من الفارسية التي كان يتكلم بها أهل بلده (سمرقند) ولا يزال كثير منهم يتكلم بها حتى الآن هذا مع أنه مغولي الأصل، والمغول يقول بعض المؤرخين إنهم أبناء عمومة الأتراك، وإذا لم يكن هذا القول صواباً من الناحية التاريخية فإنه صواب من الناحية الواقعية المتمثلة في الملامح وتقاسيم الوجوه.

ويتميز الطراز التيموري في البناء بارتفاع المداخل على صفة بوابات عالية ذات سقوف هلالية الشكل، ويكون بناؤه كله بالآجر القوي الذي يتخذونه من طمي النهرين العظيمين اللذين يمران بالمنطقة، وإن كان لسمرقند نهر كان جارياً مهماً ولكنه قل ماؤه الآن وهو نهر (زرفشان) الذي معنى اسمه بالفارسية الذهب... لأن (زر) ذهب وهي كلمة معروفة في عامية أهل نجد إذْ كان الزر اسماً لعملة ذهبية كانوا يتعاملون بها، وفي العهد الأخير اشتهر قماش عندهم باسم (زر بفت) بمعنى البفت الذهبي.

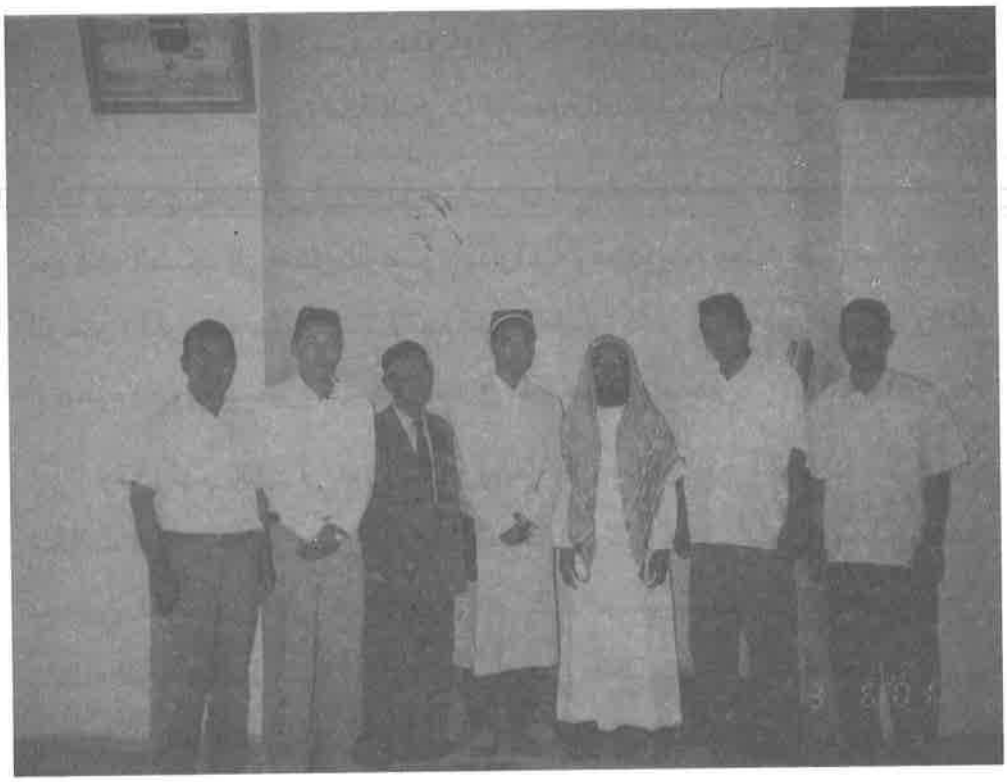

داخل مسجد الإمام محمد إيشان في نوخوس مع بعض أهل المدينة

لقد كمل بناء الهيكل كله للمسجد، وبقي الطلاء والتحسينات، وشيء مهم آخر وهو المراحيض وأماكن الوضوء، وقد حسبوا ما بقي على المسجد من تكملة فذكروا أن ذلك يحتاج إلى عشرة ملايين (سوم) و(السوم) هو عملة أوزبكستان الوطنية، ويساوي الألف منه دولاراً واحد، وإذاً يكون ما بقي عليه حتى يكمل عشرة آلاف دولار، وهذا مبلغ سهل علينا أن ندفعه الآن غير أننا في أول رحلة طويلة تقتضي التجول على المساجد والإسهام في تكملة ما يحتاج منها إلى تكملة وكذلك المدارس الإسلامية.

لذلك أعلنا لهم أننا سوف ندفع لهم أربعة آلاف دولار حاضرة للمسجد على أن يرسل إليهم الباقي من مكة المكرمة بوساطة السفارة السعودية في طشقند.

واحتاج أحدنا إلى أن يبول فسأل عن الحمامات فأخذوه إلى ركن منفرد من فناء المسجد إلى مكان للوضوء بدأوا به ولم يكمل، وكان هو المخصص للوضؤ وليس فيه ماءً أصلاً لأنهم لم يستطيعوا نشر الماء في المسجد وإنما أوصلوه بأنبوبة صغيرة إلى فنائه تكون منها مستنقع صغير.

وقال لهم: إنني أريد (بيت الراحة) فأروه مكاناً قذراً منفرداً حتى عن محلات الوضوء وهو على الطريقة القديمة في مراحيض آسيا الوسطى حيث يجعلون المرحاض على هيئة محراب أو غرفة صغيرة مرتفعة عن الأرض في داخله فتحة يسقط منها الأذى، وتكون في الغالب ذات رائحة خبيثة لأنهم يستعملون فيها الماء دون أن تكون فيها مراحيض حديثة تمنع تسرب الرائحة ومن دون وجود للمجاري فيها.

وهذا على كونه شاقاً بل في غاية المشقة في الشتاء حيث تتراكم الثلوج وتبقى مدة طويلة، فيعتو البرد فإنه يمكن أن يكون مضيعة لما يسقط فيه مما يحمله الإنسان في جيبه لأن الفتحة واسعة وما سقط لا يمكن استنقاذه، فسألناهم عما يكفي لإصلاح حمامات للمسجد فذكروا أنه يحتاج إلى ألفي دولار فدفعناها إليهم فوراً مع ما دفعناه من مساعدات قليلة عاجلة للمسجد والمدرسة والإدارة الدينية هنا.

الكرم والعوز:

على مائدة نوخوس بجانب مسجد محمد إيشان
وعلينا الجباب والقلبق التي اهدوها

خرجنا من المسجد إلى غرفة بجانبه وجدناهم قد نصبوا فيها مائدة مستطيلة للطعام عليها مقدمات المائدة من الفاكهة التي أهمها المشمش والكرز، وعليها بعض النقل ومنه لب الجوز، وعليها الخبز الكبير وسلطانيات الشاي، فبادر القوم على عادتهم بالأكل من هذه الفاكهة والشرب من مشروبات غازية منها الكوكاكولا وشراب الخوخ وشراب المشمش، ثم قطع أحدهم الخبز إلى قطع صغيرة جعل أمام كل واحد قطعة أو قطعتين فأخذوا يأكلون منه يبدؤون به الوجبة.

ثم جاءوا بما يشبه (المانتو) وهو كالفطائر المغلفة بدقيق أبيض من نوع خاص وفي قلبها قطع اللحم الدسم جداً وكانوا كالعادة يشربون الشاي ويأكلون

من الفاكهة أثناء المائدة من أولها إلى آخرها، وأخيراً جاء الأرز البخاري الدسم ومعه اللحم أيضاً من لحم غنمهم السمين اللذيذ.

وقد جلس معنا على المائدة نحو العشرة منهم ومن بينهم المرافقان لنا في هذه الرحلة من طشقند وهما جمال الدين حسن الدين (وإسماعيل عبدالله) ولم يكن من المظنون أن يقيموا لنا مأدبة غداء، ولو استأذوننا في ذلك لما أذنا لهم لما رأيناه من حالتهم المادية ولتغدينا في مطعم من المطاعم.

وبعد الانتهاء من الطعام والدعاء ومن عادتهم أن يبدأوا الأكل من الطعام بدعاء شكلي مختصر، إذْ يرفعون أيديهم كأنما يدعون ثم يمسحون بها وجوههم، من دون أن نسمعهم تكلموا بشيء من الدعاء وإنما يحركون شفاههم به، وفي ختام المآدبة يفعلون مثل ذلك وغالباً ما يدعو الذين أكلوا منها ولكنه كالأول بشكل سريع لا يستغرق دقيقة واحدة.

ثم قدموا الهدايا التي أعدوها لنا وكان من أهمها (القلبق) الذي سمي هؤلاء القوم الذين خصصت لهم هذه الجمهورية وسموا باسمه وهم (قرا قلبق) ومعها جبة وطنية وألبسوني إياها فأسرع مرافقي الأستاذ رحمة الله بن عناية الله يلتقط صوراً لي وأنا كذلك ثم ألبسوه ذلك كذلك.

وهذا من كرمهم العجيب الذي أملى عليهم أن يقدموا ذلك كله مع العوز الشديد الذي هم فيه.

القناة التي جرفت الفتاة:

خرجت من المسجد ألتمس موقعاً لتصوير المسجد مع النهر الذي يقع عليه وهو نهر عجيب في هذا الجو الصحراوي وسألتهم عن اسمه فذكروا أنه ليس نهراً أصلاً وإنما هو محفور حفراً ويسمونه قناة، وذلك أن نهر (أمودريا) الذي

هو نهر جيحون يمر إلى الجنوب من مدينة نوخوس بمجراه الواسع الذي يبدو كأنما فقد الجزء الأكبر من مياهه لأن المجرى واسع والماء الذي يجري فيه قليل.

وفد الرابطة في الجباب التي أهدتها لنا الإدارة الدينية في نوخوس ومعها القلبق وغطاء الرأس

هكذا قالوا وسوف نزوره فيما بعد ونذكر ما شاهدناه فيه، قالوا: فحفروا قناة ضخمة بدت كالنهر الصغير الذي لو كان في بلاد قديمة ليس فيها غيره لكان له فيها ذكر عظيم، وإذا كان أهله أهل قول وشعر كقومنا العرب فإنهم سيقولون فيه ما يرويه الكبير للصغير، وما يسجل في الكتب والمآثر.

ولكنه في بلد يتبارى فيها نهران عظيمان هما سيحون وجيحون، إلى جانب ما يقع عليها من ثلج في الشتاء وما قد يأتيها من مطر غير كثير في الصيف.

والذي يرى هذا النهر لا يصدق أنه قناة ولكن الواقع: أنه قناة وأن له اسماً عندهم لا اسم له غيره وهو (قيز كتكال) ومعناها: القناة التي جرفت الفتاة، وذلك فيما يقولون أنها عندما فتحت جرفت مياهها فتاة كانت تمر بقربها لا تعرف عنها شيئاً.

إنني أعرف كلمة (قيز) عندهم بأنها الفتاة من مثل لهم سمعته في بلاد القازاق وفي بلاد البشكير الذين عاصمة بلادهم (أوفا) وذلك عندما رأيتهم يقدمون لبن الخيل في موائدهم لا يتركون تقديمه أبداً ورأيتهم يحرصون على شربه ويذكرون فوائد ذلك.

ويسمونه (القِمز) ومن أمثالهم في ذلك قولهم: (لذات الدنيا ثلاث: القيز والقمز والقز) ثم رأيت بعد ذلك أن ابن بطوطة قد ذكر (القمز) وأنه لبن الخيل و أن أهل منطقة الفولقا يحبون شربه.

ولما استغربت هذا الاسم للقناة قالوا: إن اسم القناة في لغتهم مذكر وليس مؤنثاً وأنه لذلك لا يستغرب أن يجذب الفتاة.

إلى مدينة تشمباي:

في الثانية والنصف ذهبنا إلى مدينة (تشمباي) القريبة من نوخوس، إذْ لا تبعد عنها بأكثر من ٤٧ ميلاً، والهدف من ذلك هو زيارة مسجد فيها بدأ أهله بناءه ثم أوقفوا البناء لقصور النفقة.

خرجنا من مدينة (نوخوس) في موكب من ثلاث سيارات كان يسوق بنا الأخ نائب المفتي هنا، وهو بمثابة رئيس الإدارة الدينية في هذه الجمهورية ذات الحكم الذاتي فكان خروجنا بسرعة من المدينة ووقعنا في ريف يشبه الريف عندنا في الربيع، إذا كان شهد مطراً غزيراً في الشتاء، فالأرض ليست فيها أعشاب خضر ملتفة كالتي تكون في البلدان المطيرة، وفيها شجر صحراوي لاطئ بالأرض أي غير مرتفع وهو كثير، وفيها رمل أحمر غير مرتفع ولكنه مغطى بالأشجار الصحراوية المذكورة غير المرتفعة، ويرى المرء الريفيات ظاهرات هنا في الأماكن المعمورة منه وهي قليلة، عليهن القمصان الطويلة مثل قميص النساء عندنا في القديم في كل شيء من التفصيل وحتى الطول إذ يكاد يصل طول القميص إلى الكعبين ومع ذلك تبدو تحته أطراف سروال ملون، كذلك الثياب تكون كلها ملونة بالأحمر والأصفر.

والطريق واحد للسيارات المتقابلة، ولكنه واسع جيد الزفت.

وقلت للإخوة المرافقين في السيارة وهم الأخ (جلال الدين حسن الدين) الذي يعرف العربية جيداً، بل إنه إذا تكلم كان كأحد أبنائها ويحسن الترجمة إليها إحساناً تاماً: ما أحسن هذا الريف لتربية الإبل، ولم أكد أكمل كلامي حتى قالوا لي هاهي الإبل ترعى ورأيتها سمينة ثقيلة ضخمة البطون، وليست من الإبل الضامرة الرشيقة.

ثم وصلنا إلى منطقة رمال صفر غير مرتفعة تجللها الأشجار الصحراوية.

ثم تكررت رؤية الإبل الثقيلة البدينة.

والسيارات قليلة في الطريق الآن.

ثم وصلنا إلى منطقة بساتين على الطريق أكثر ما فيها أشجار الفاكهة التي منها التفاح، ولك أن تعجب من وجود أشجار التفاح عند مراتع الإبل.

وأما الحقول فإنها حقول غير واسعة من مزارع القطن.

وأسلاك الكهرباء والهاتف فيه هوائية أي مرفوعة على أعمدة مثلما كان الأمر عليه عندنا قديماً.

قبيل الدخول إلى مدينة تشمباي

قرية خلق أباد:

والكلمة الأولى في اسمها عربية وهي (خَلْق) وهي تعني هنا الشعب أو الجمهور وتستعمل في العربية أيضاً لمثل ذلك، فتقول مثلاً: تلك البلدة فيها خلق عظيم أي جماعة كبيرة من الناس، وأما الكلمة الثانية فإنها فارسية، إذ (أباد) بالفارسية معناها: محلة أو سكن، وتطورت التسمية بها إلى المدن مثل مدينة (فيصل آباد) في باكستان التي غير اسمها القديم (لايل بور) إلى (فيصل آباد) الذي يراد به الملك فيصل بن عبدالعزيز رحمه الله.

و(خلق آباد) صغيرة لا يزيد عدد سكانها على (٢٨٠٠) نسمة كلهم مسلمون، ولم يذكروا فيها مسجداً يحتاج إلى مساعدة.

أما قلة عدد سكانها فإن هذا هو الطابع على قرى هذه المنطقة التي هي واسعة ذات عدد من السكان قليل.

وذكروا لي أنه لا يوجد في قرى نوخوس القريبة منها أحد من غير المسلمين ما عدا أحد عشر رجلاً من الروس، أو قالوا: إحدى عشرة نسمة، وأما في عاصمة الجمهورية (نوخوس) فإن نسبة السكان غير المسلمين ويسمونهم الروس وإن كان فيهم في العادة بعض الأوكرانيين أو الروس البيض هي ١٠%، وأما في كل الجمهورية فإنها لا تزيد على ٣%.

الشارع العام في قرية (خلق آباد) في قرة قلبقستان

عودة إلى الريف:

لم نقف في (خَلْق آباد) وإنما عدنا إلى الريف (القلبقي) نسبة إلى قلبقستان على ثقل هذا اللفظ التي يتكرر فيه حرف القاف الذي هو حرف (قلقلة) ولكن هذه من سمات اللغة التركية القديمة و ما تفرع منها أن يكون حرف القاف فيها كثير.

وجميع بيوت الريف التي مررنا بها هي من الطين مثل البيوت التي كانت عندنا في القديم، غير أنهم يجعلون سقوفها مسنمة ضافية حتى تقي حيطانها عن المطر والثلج، وهذا ما لم نكن نفعله نحن الآن والثلج لا يأتي إلينا، والأمطار محدودة في فصل الشتاء وما قبله وبعده من فصل الخريف والربيع.

الطريق بين خَلْق آباد وتشمياي في قرا قلبقستان

ورأيت قطيعاً من البقر يرعى في حدود بعض البساتين بالقرب من الطريق ومعه راعيتان من الفتيات اللآتي يلبسن في العادة الأطلس وهو الحرير الطبيعي الذي تنتجه هذه البلاد، مع أننا لا ندري نوعه الآن لأننا نراه ونحن نسير بالسيارة.

وقد رأيت من قرب بعض الريفيات السمر في شارع خلق آباد وهن يشبهن الأعرابيات عندنا سواء في اللون أو في أثر الشمس والبرد على الوجوه.

والجو صاح الآن تماماً كأنه الجو في بلادنا في الصيف.

ومر الطريق بالقرب من (سبخة) وهي الأرض الملحة التي تكون في

العادة قريبة الماء ولكن ماءها يكون ملحاً، ولا يكون كثيراً، ولا تختلف عن (السباخ) الموجودة عندنا إلا بكثرة الشجر اللاصق بالأرض في أطرافها.

ثم مر الطريق فوق قناة صغيرة مأخوذة من نهر جيحون (أموداريا)، ولم ألاحظ في الطريق استراحات ولا مطاعم ولا أثر لمقاهٍ أو نحوها فيه، وذكر لي الإخوة المرافقون أنها لا توجد.

هذه تشمباي:

كان أول ما رأيناه عند مدخلها رجلاً راكباً حصاناً وأبراج كهرباء ضخمة لنقل التيار الكهربائي إلى مسافات بعيدة، أما المسافات القريبة فقد رأينا أسلاك الكهرباء والهاتف كلها هوائية مقامة على أعمدة من الخشب.

كان وصولنا إلى مدينة تشمباي في الثالثة والنصف، ورأينا البيوت وضواحيها وتبين أن أكثر البيوت فيها هي كذلك من طابق واحد ذات سقوف مسنمة، ورأيت أن هوائيات التلفزة موجودة وهي معتادة ولا أثر لأي طبق أي صحن لجذب المحطات الفضائية فيها، وحسب ما أخبرنا به أهل تشمباي فإن عدد سكانها يبلغ ٢٧ ألفاً ٨٠% منهم مسلمون والبقية من الروس، والروس البيض والأكرانيين وقليل من الألمان الذين كان ستالين طاغية الشيوعيين قد نفاهم من جنوب روسيا إلى هذه المنطقة، وغادرها بعضهم بعد سقوط الاتحاد السوفيتي.

وذكر أن معظم الروس الذين كانوا موجودين في البلاد في زمن الاتحاد السوفيتي بقوا في المدن الكبيرة، أما الذين في قرى أو مزارع بعيدة مثلاً فقد غادروها.

وهذا أمر سمعنا به في طشقند وهو أن بعض الروس رحلوا عائدين إلى روسيا على سوء الحالة الاقتصادية فيها ولكنهم رأوا أنهم لا ينسجمون مع أهل البلاد كما كانت عليه الحال عندما كانوا يتحكمون فيها.

إضافة إلى أن الشيوعية لم تترك لهم شيئاً يتعلقون به هنا فليست لهم أملاك واسعة، ولا منازل كبيرة، وإنما هي الشقق الصغيرة والأراضي الزراعية الضيقة، لذلك لا تعوقهم عن المغادرة.

ولولا أن الحالة المعيشية في هذه البلاد وأمثالها من البلدان المسلمة الاخرى هي أفضل من المعيشة في روسيا في الوقت الحاضر لكانت مغادرة أعداد منهم أكثر، وقد تأكدت من خلال رحلاتي في سائر أنحاء روسيا التي امتدت من حدود بحر البلطيق إلى الشرق الأقصى الذي يقع شمالاً من الصين وشرقاً من اليابان من سوء الحالة الاقتصادية في روسيا واندثار المرافق العامة وإفلاس الإدارة الذي أهم مظاهره إفلاس البنوك، وعدم قدرة الدولة على حماية أملاك الناس وثرواتهم من التلاشي.

ونعود إلى الحديث عن مدينة (تشمباي) هذه فنقول: إنها تبعد ٤٨ كيلومتراً عن مدينة نوخوس عاصمة الجمهورية، وأن تسميتها على اسم رجل اسمه تشمباي ومعنى ذلك الاسم: رجل غني لأن (باي) غني باللغة التركية القديمة مما ذكرني باسم البحيرة الكبيرة المشهورة في شرق سيبيريا (باي كل) حيث معنى اسمها البحيرة الغنية لأن (باي) غني، وكل: بحيرة، وذلك باللغة التركية القديمة.

أما تشم فإنها مجرد اسم كما أخبرونا به.

مسجد تشمباي:

قصدنا مسجد المدينة، وذلك لكون أهله بدءوا في بنائه وعجزوا عن إكماله بعد أن استنفدوا وسعهم في جمع المال اللازم لذلك ويسمونه (خان مسجد) أي مسجد الخان، والخان كان يعتبر في هذه المنطقة، وبلاد الشمال بمثابة الفندق الذي ينزله المسافرون بالأجرة فيجدون فيه الدفء والطعام لهم ولدوابهم إلى جانب الأمان.

ومعلوم أن النزول في الخان ونحوه من ألزم اللوازم في هذه البلاد الثالجة في الشتاء التي ذكر العلماء القدماء من بردها ما يورث القشعريرة في الصيف والجزع في الشتاء، وذلك بخلاف البلدان الحارة التي يمكن للمرء إذا لم يجد مسكناً أن ينام في أي مكان يجده إذا لم يكن معه مال يخاف عليه، أما هذا المسجد فإنه سمي بمسجد الخان، لأنه كان بجانب (خان) قديم في البلدة.

وجدنا في الاستقبال عند باب المسجد إمامه الأخ (محمود حافظ بن عبدالرزاق) من أهل تشمباي وقد استقبلنا في مسجد قديم ملاصق للمسجد الكبير الذي يبنونه الآن، ويشغل جزءاً من أرض المسجد.

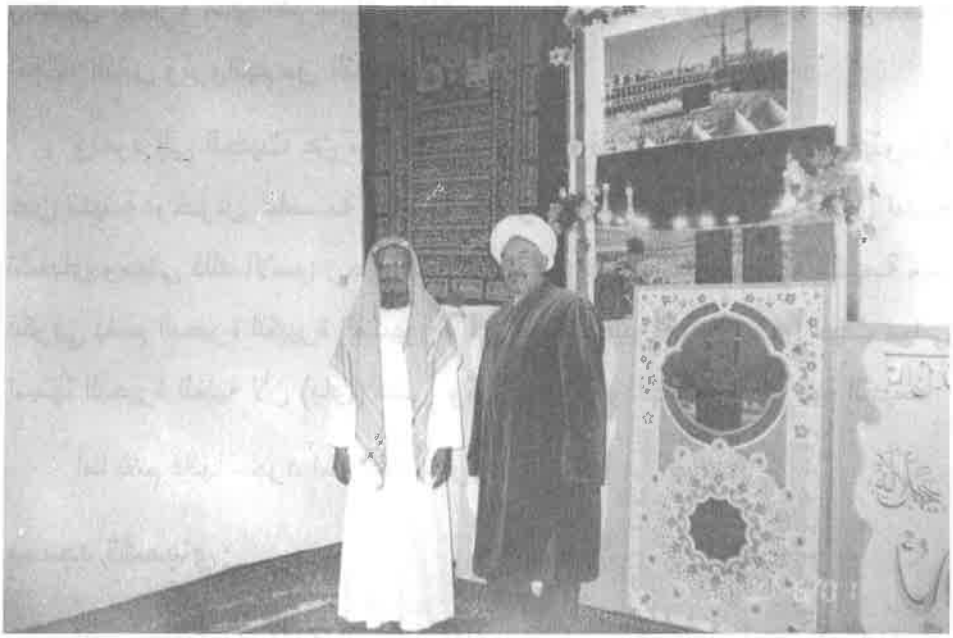

في المسجد القديم في مدينة تشمياي في قرا قلبقستان

وحضر رئيس جمعية المسجد وهي التي تشرف عليه وتقوم على بناء المسجد الجديد واسمه للغنى فيه نصيب، ولكن بطريقة اخرى فاسمه (جيم باي بن رحيم) وجيم

باي معناها: صهر الغني لأن (باي): غني وجيم أو تشيم معناها: صهر.

جلسنا معهم في المسجد القديم بعد أن تفقدناه وهو صغير نسبياً، ولذلك يضيق بالمصلين يوم الجمعة، إذْ يصلي الجمعة فيه حسبما أخبرونا به (٢٥٠) مصلياً، وبلادهم باردة في الشتاء لا يستطيع الناس فيها أن يصلوا في مكان غير مدفأ.

أما في الصلوات الخمس فإنهم قللوا من عدد المصلين حتى ذكروا أنه في حدود ٢٥ مصلياً.

جلسنا في هذا المسجد القديم وتذاكرنا أحوال البلاد ومن ذلك تاريخ مدينة (تشمباي) هذه التي ذكروا أنها قديمة وأنها أسست قبل نحو ١٥٠٠ سنة ولكن اسمها الحاضر وهو (تشمباي) لم يطلق عليها إلا منذ خمسمائة سنة.

وأخبرونا أن من أهم ما لديهم إصلاح سقف المسجد القديم الذي يستعملونه للصلاة في الوقت الحاضر وأنهم عاجزون عن جمع ثمن إصلاحه، وقد سألناهم عن النفقة اللازمة لإصلاحه فأخبرونا أنها في حدود ألفي دولار أمريكية فأعطيناهم هذا المبلغ فوراً، وبحضور المفتي في المدينة ومرافقينا من طشقند، وذلك من باب زيادة التأكيد على صرف هذا المبلغ في محله، رغم قلته عندنا، ولكنه عندهم مهم وليس قليلاً.

ثم ذهبنا معهم إلى المسجد الجديد وهو مجاور للقديم فوجدناهم بدأوا ببنائه بناءً قوياً وأنفقوا عليه نفقة كبيرة فهو مبني بالأسمنت المسلح والآجر الأحمر القوي في المنطقة.

وقد شكرناهم على علو همتهم وبدئهم العمل في المسجد على هذا النحو العظيم ووعدناهم بأننا سوف نرسل إليهم مساعدة على إكماله من رابطة العالم

الإسلامي في مكة المكرمة، ولكن ذلك يحتاج إلى وقت طويل، لكثرة العمل في الرابطة لأنها تأتيها طلبات للمساعدة كثيرة من أنحاء العالم.

وقلت لهم: إنه ينبغي لهم أن يؤلفوا لجنة تقدر المبلغ اللازم لإكمال المسجد وأن يصدقوا ذلك من الدوائر الدينية في هذه الجمهورية وفي طشقند.

قلنا لهم ذلك مع عزمنا على أن نضع مبلغاً من المال لإكماله نضمنه تقريرنا الذي سنبحثه في الرابطة بعد عودتنا إلى مكة المكرمة بإذن الله.

وقفة في مقصف:

توقف الإخوة فترة في انتظار إحدى السيارات مع الرفقة عند مقصف خارج مدينة (تشمباي) في الطريق إلى نوخوس ذكروا أنه مخصص في الأصل لشرب الشاي، وما معه من أطعمة سريعة كالخبز.

استقبلتنا صاحبته وهي امرأة في منتصف العمر عليها الطابع التركي الأصيل الذي يتمثل بعيون صغيرة ولون أحمر وأنف متطامن.

عندما دخلنا إلى المكان وجدنا فيه مقاعد مرتفعة واسعة وفيه قسم مرتفع لمن يريدون أن يجلسوا ويمدوا أرجلهم، وجاءت ابنتها وهي في حدود الثانية عشرة إليَّ بإبريق فيه ماء وهي تشير إليه وأنا لا أدري ما تقصد، بل إنني لم أكن أعرف حتى بما في الإبريق، حتى جاء أحد الإخوة وكان عند الباب الخارجي وأخبرني أن الذي معها في الإبريق ماء تريد أن تصب على يديك منه لتغسلهما.

وهذه عادة قديمة عندهم ظلت مرعية وهي أن يبادروا من يدخل لهذا المقصف وأمثاله بغسل يديه، لأنهم اعتادوا على أن يقدموا له ما يطلبه باليد ويأخذه منهم باليد، هكذا قالوا، وربما كان ذلك لمجرد المحافظة على عادة قديمة.

والذي خجلنا منه أن المرافقين كانت معهم زجاجات من الكوكاكولا وغيرها من الأشربة كالماء البارد شربناها في المقصف، ولم نطلب من أهله شيئاً، لذلك أعطيت صاحبة المقصف وهي أخت مسلمة بعض النقود فرفضتها بإباء وشمم، وقالت شكراً ولا أريدها، وكانت قد احتفت بنا لأن أحد الإخوة المرافقين قال لها: إننا من مكة المكرمة، وكنت أرتدي ملابس عربية.

ولم تأخذ النقود إلاَّ بعد أن قال لها أحدهم: إن فيها بركة لأنها من مكة، وقد كافأتنا بأن أعطتنا فطائر لم نرد أخذها لكن أحد المرافقين قال: آخذها لبيتي.

العود إلى نوخوس:

في الرابعة إلاَّ الثلث بدأنا العودة إلى مدينة نوخوس عاصمة جمهورية (قرا قلبقستان) وقد مررنا بقطيع من الإبل الضخام التي قد انتفخت خواصرها من الشبع من المرعى، وقد رأيت المرعى عندهم وفيراً طبقاً لما تأكله الإبل، وهو العشب الجاف، والشجر الصحراوي القصير المنظر، فذكروا لي أن الناس يربون الإبل هنا بكثرة، ولكن أكثرها يكون بعيداً عن الخط المزفت، وقلت لإخواني المرافقين: إن هذه البلاد هي التي تصلح للإبل في الربيع والصيف وليس بلادنا التي قد تتعرض للجدب وإن كانت لسعتها يجد فيها من ينتقل من مكان مجدب إلى آخر مخصب مرعى لإبله إلاّ إذا عم الجدب.

وفي الريف الذي يشقه الطريق بقر كثير ومعزى رأيتها أكثر مما رأيت الغنم وربما كان وجودها لكونها تأكل من أغصان الشحر المرتفعة التي لا تستطيع الشياه أن تأكل منها، إضافة إلى المرعى المعتاد من العشب ونحوه.

ووجدتني أقول في نفسي بفضول: لماذا لا يزيدون من تربية البقر والغنم والإبل ما دام المرعى موجوداً، وأهالي البلاد لديهم خبرة موروثة في ذلك؟

سوق نوخوس:

قصدنا سوق (نوخوس) عندما عدنا إلى المدينة، وذلك لما يكون فيه مما تنتجه البلاد من فواكه وخضرات إلى جانب السلع المستوردة أو المصنعة.

وجدنا السوق واسعاً لأنه مركزي فيه ما في الأسواق التي تكون متفرقة في العادة، ففي جانب منه الفواكه والخضرات وقسم للحبوب، وقسم للأجبان واللبن وقسم للحم، إلى جانب ذلك قسم على حده للسلع الصغيرة المصنعة.

وأكثر الباعة فيه هم من النساء وأكثرهن في منتصف العمر وفيهن شابات، والجميع قد لبسن لباساً ساتراً، ورأيت الرجال ينظرون إلى النساء وإلى ما يعرضنه من بضائع نظرة معتادة.

ولكن الشيء غير المعتاد قد أصابني أنا بالذات بالخجل لأنني ألبس ملابسي العربية، فكانت النساء يحملقن في الملابس مدهوشات، ربما كان ذلك لكونهن لم يرين من قبل من عليهم الملابس العربية.

ولكن ما يسترعي الانتباه أيضاً أنني أعلق مصورتي في يدي، وألتقط ما أراني أحتاج إلى تصويره من مناظر، فكانت كثير من البائعات ينادين علينا بحجة الشراء منهن، وهن يردن التفرج، وقالت امرأة منهن في آخر مرحلة الشباب أظنها في الثلاثين لأحد المرافقين من أهل البلاد: قل له، إنني أريد أن أذهب معه، فقال لها: إنه عربي بلاده بعيدة وهو متزوج، فقالت: لا مانع من ذلك.

ولم أكن أسمع الكلام ولكن الأخ أراني إياها وقال مازحاً: هذه تريد أن تتزوجك وتذهب معك إلى بلادك فشكرتها على حسن نظرتها أو مجاملتها لشيخ في الخامسة والسبعين من عمره.

والغريب العجيب أن الشابات منهن، والجميلات خاصة ينظرن إلينا نظراً أكثر حدةً.

وهذا شيء تافه، ولكنني أحببت ذكره استكمالاً للصورة التي أحب أن أوضحها للقارئ الكريم وعلى وجه العموم يظهر من مظهر القوم هنا في هذا السوق وفيهم النساء والأطفال أنهم شعب تركي أصيل، والمراد بالأصيل أنه ليس كالأتراك العثمانيين الموجودين الآن في الجمهورية التركية، لأن هؤلاء اختلطوا بطوائف من السكان الذين احتلوا بلادهم بخلاف أهل هذه المنطقة الذين استمروا على نقاء أصلهم التركي القديم، وهم يشبهون القازاق، وقد ذكر ابن فضلان أن منطقتهم كان يسكنها جماعات من كفار الأتراك ولا حظت جمالاً تركياً نقياً في بعض الوجوه وهذا أمر طبيعي.

أما الأسعار في السوق فيما يتعلق بالفواكه والخضرات فإنها الرخص البالغ، فمثلاً كيلو الطماطم بربع دولار والكرز غير الجيد ٦ كيلوات بدولار واحد، أي أن الكيلو الواجد بسدس دولار، وأما الجيد منه الذي قطف من شجره لتوه فإن الكيلو الواحد منه بنصف دولار، وهم لا يبعيون بالدولار، وإنما يبيعون بعملتهم المحلية وهي السوم، وحسابها بالدولار سهل إذْ كل ألف سوم يساوي دولاراً أمريكياً واحداً.

أما البصل والبطاطس والباذنجان ونوع خاص من القرع فإن ذلك في نهاية من الرخص.

هذا ولو استقبلت من أمري ما استدبرت لما دخلت هذا السوق بملابسي العربية لأنها جعلت القوم يعرفونني ويتصنعون في معاملتي مع أن معي مرافقين.

والنظر الذي كان حاداً هو من النساء إلى درجة الإحراج.

ولمناسبة الكلام على الملابس أقول: إن لباس النساء هو التقليدي وهو ثوب من الأطلس الذي هو الحرير الطبيعي يكون ملوناً فيه لون أحمر ظاهر إلى جانب ألوان أخرى غير غالبة كالأصفر الذهبي مع الأحمر تلبسه النساء كما تلبس نساؤنا ثيابها، بل إنه يشبه لباس نسائنا قبل التطور الأخير، ولا تزال بعض النساء عندنا متمسكة به.

وأما اللباس الإفرنجي أو المقلد له فإنه قليل بل نادر.

جولة سريعة في نوخوس:

خرجنا من السوق من دون أن نشفي النفس تماماً من الإطلاع على ما فيه ورحنا في جولة سريعة على مدينة نوخوس فكانت لنا وقفة في شارع يسمونه (فورت كول) بمعنى البحيرات الأربع، ذكروا أن هذا هو اسم لمدينة قديمة في المنطقة وقد أسموا الشارع به لأن الطريق إلى تلك المدينة القديمة منه.

وهذا الشارع يعتبر الرئيسي في المدينة ويخترق قلبها، وعليه أبنية عديدة متعددة الطبقات لا ترى على البعد، لأن الأشجار التي في جانبي الشارع تخفيها.

ولاحظنا أن العناية بزفت الشارع جيدة، وكذلك العناية بالنظافة فيه وما حوله هي جيدة أيضاً.

وأكثر شوارع المدينة لا بأس بها وليست فيها أنفاق ولا جسور إلا جسراً واحداً مقاماً فوق قناة كبيرة مأخوذة من نهر جيحون (أموداريا).

ومررنا بقناة أخرى مأخوذة من نهر جيحون وكأنها النهر الصغير واسمها: (كتة أغر).

نهر جيحون الذي شاخ:

وقد أردكته الشيخوخة أو الهرم لأسباب خارجة عن إرادته فقد ألح عليه الشيوعيون بمد القنوات منه وإرسال مياهه في عدة اتجاهات حتى إنه ظهر لنا عندما رأيناه من ضاحية من المدينة تقع خارجها هزيلاً ضعيف الجريان، فقيراً في مائه، ومع ذلك لو كان في منطقة وحده من دون هذه المشروعات والقنوات التي سحبت منه لكان فيه خير كثير.

ومما يجدر ذكره أن مرروه بهذه المنطقة، هو في أخر مراحل جريانه، حيث إنه يمر بها في الطريق إلى نهايته في بحيرة (أرال) التي كان أسلافنا من المؤرخين القدماء الذين كتبوا بالعربية يسمونها (بحر خوارزم) والقليل منهم أسموها (بحيرة خوارزم) بصيغة التصغير وذلك عندما كانت حافلة بالمياه، لأن نهري جيحون وسيحون، ويعرفان الآن بنهر (أمودريا) و(سرداريا) يصبان فيها بمياههما الثرة التي اختلفت الآن قبل أن يصلا إليها فكانت النتيجة أن تقلص حجم البحيرة إلى نحو الخمس أي خمس ما كانت المياه عليه في القديم.

ومن المفجع أن المواضع التي تقلصت عنها المياه فيها التي أصبحت جافة صارت تطلق في الجو أبخرة واشعاعات ضارة لأن البحيرة نفسها كانت ولسنين طويلة مصباً للمواد الكيمائية الضارة بالبيئة، مثل المبيدات الحشرية والأسمدة الكيمائية، فكانت النتيجة أن تسمم جوها والجو الذي يحيط بها، وأصابت السكان منها أضرار صحية خطيرة.

ويجدر القول بأن اسمه الحالي (أرال) هو بفتح الهمزة ومعناه البحيرة، ولا علاقة له باسم (أورال) الذي يعني منطقة (الأورال) ذات الجبال التي تنتصب بين قارتي آسيا وأوروبا، فذلك واسع في منطقة الأورال بضم الهمزة

في أوله، وقد ذكرت وقوفي على الحدود بين القارتين في منطقة الأورال في كتاب (مقال في زيارة منطقة الأورال).

كا ذكرت ذلك أيضاً في كتاب (إقليم أورنبوغ) من سلسلة الرحلات في جنوب روسيا.

وعندما رأيت نهر جيحون قد تضاءل إلى تلك الدرجة قلت في نفسي: إنه (جيحون) الذي طالما اجتاح مدناً وقرى ومنها عدة مدن في خوارزم التي هي في طريقه قبل هذه المدينة (نوخوس) بـ١٦٠ كيلومتراً، كما ذكر ذلك البلدانيون ومنهم ياقوت الحموي رحمه الله الذي ذكر اشتقاق اسم جيحون فقال:

جَيْحُونُ: بالفتح، وهو اسم أعجميٌّ، وقد تعسفَ بعضهم فقال: هو من جاحه إذا استأصله، ومنه الخُطُوب الجوائح، سمي بذلك لاجتياحه الأرضين.

قال حمزة: أصل اسم جيحون بالفارسية هرون، وهو اسم وادي خراسان على وسط مدينة يقال لها جَيهان فنسبه الناس إليها وقالوا جيحون على عادتهم في قلب الألفاظ، وقال ابن الفقيه: يجيءُ جيحون من موضع يقال له ريوساران، وهو جبل يتصل بناحية السند والهند وكابل، ومنه عين تخرج من موضع يقال له عندميس، وقال الإصطخري: فأما جيحون فإن عموده نهر يعرف بجرياب يخرج من بلاد وخّاب من حدود بَذَخْشان وينضم إليه أنهار في حدود الخُتل ووَخش فيصير من تلك الأنهار هذا النهر العظيم وينضم إليه نهر يلي جرياب يسمى بأخش، وهو نهر هُلبُك مدينة الختل، ويليه نهر بربان و الثالث نهر فارعي والرابع نهر أنديخارع والخامس نهر وخشاب، وهو أغزر هذه الأنهار، فتجتمع هذه الأنهار قبل أن تجتمع مع وخشاب وقبل القوادبان ثم ترتفع إليه بعد ذلك أنهار البُتَّم وغيره، ومنها أنهار الصغانيان وأنهار القواديان فتجتمع كلها وتقع إلى جيحون بقرب القواديان، وماءُ

وخشاب يخرج من بلاد الترك حتى يظهر في أرض وخش ويسير في جبل هناك حتى يعبر قنطرة، ولا يُعلَم ماءٌ في كثرته يضيق مثل ضيقه في هذا الموضع، وهذه القنطرة هي الحد بين الختل وواشجرد، ثم يجري هذا الوادي في حدود بلخ إلى الترمذ ثم يمر على كاف ثم على زم ثم آمل ثم درغان، وهي أول أرض خوارزم، ثم الكاث ثم الجرجانية مدينة خوارزم، ولا ينتفع بهذا النهر من هذه البلاد التي مير بها إلاَّ خوارزم لأنه يستقبل عنها، ثم ينحدر من خوارزم حتى ينصب في بحيرة تعرف ببحيرة خوارزم، وهي بحيرة بينها وبين خوارزم ستة أيام.

قال[1]: وهو في موضع أعرض من دجلة، وقد شاهدته وركبت فيه ورأيته جامداً، وكيفية جموده أنه إذا اشتدّ البرد وقوي كَلَبُهُ جمد أوّلاً قطعاً ثم تسري تلك القطع على وجه الماء فكلما ماسّت واحدة الأخرى التصقت بها ولا تزال تعظم حتى يعود جيحون كله قطعة واحدة، ولا يزال ذلك الجامع يثخن حتى يصير ثِخَنه نحو خمسة أشبار وباقي الماء تحته جارٍ فيحفر أهل خوارزم فيه آباراً بالمعاول حتى يخرقوه إلى الماء الجاري ثم يستقوا منه الماء لشربهم ويحملوه في الجرار إلى منازلهم فلا يصل إلى المنزل إلاَّ وقد جمد نصفه في بواطن الجَرَّة، فإذا استحكم جمود هذا النهر عبرت عليه القوافل والعجل بالبقر، ولا يبقى بينه وبين الأرض فرق حتى رأيت الغبار يتطاير عليه كما يكون في البوادي، ويبقى على ذلك نحو شهرين فإذا انكسرت سَورة البرد تقطع قطعاً كما بدأ في أول مرة إلى أن يعود إلى حالته الأولى، وتظل السفُنُ في مدة جماده ناشبة فيه لا حيلة لهم في اقتلاعها منه إلى أن يذوب، وأكثر الناس يبادرون برفعها إلى البر قبل الجماد، وهو يسمى نهر بلخ مجازاً لأنه يمر بأعمالها، فأما مدينة بلخ فإن أقرب موضع منه إليها مسيرة اثني عشر فرسخاً[2].

---

(١) القائل هو ياقوت.

(٢) معجم البلدان ، ج٢، ص١٩٦- ١٩٧.

وقبله ذكره الإمام المسعودي بقوله:

وأما نهر بلخ الذي يسمى جيحون فإنه يخرج من عيون تجري حتى تأتي بلاد خوارزم، وقد اجتاز قبل ذلك ببلاد الترمذ وإسفرائين وغيرها من بلاد خراسان، فإذا ورد إلى بلاد خوارزم تفرق في مواضع هناك، ويمضي باقيه فيصب في البحيرة التي عليها القرية المعروفة بالجرجانية أسفل خوارزم، وليس في ذلك السقع أكبر من هذه البحيرة، ويقال: إنه ليس في العمران بحيرة أكبر منها؛ لأن طولها مسيرة شهر في نحو ذلك من العرض، تجري فيها السفن، وإليها يصب نهر فرغانة، والشاش ويمر ببلاد الفاراب في مدينة جديس، وتجري فيه السفن إلى هذه البحيرة، وعليها مدينة للترك يقال لها المدينة الجديدة، وفيها المسلمون.

والأغلب من الأتراك في هذا الموضع الغُزَّبة، وهم بَوَادٍ وحَضَر، وهذا الجنس من الأتراك هم أصناف ثلاثة: الأسافل، والأعالي، والأواسط، وهُمْ أشد الترك بأساً، وأقصرهم، وأصغرهم أعيناً،

وبمدينة لخ رباط يقال له الاخشبان، على نحو من عشرين يوماً منها، وهو في آخر أعمالها، وبإزائهم أنواع من الكفار يقال لهم أوخان وتيت، وعلى اليمين من هؤلاء جنس آخر يقال لهم إيغان، ويخرج من هنالك نهر عظيم يعرف بنهر إيغان، وزعم قوم من أهل الخبرة أنه مبتدأ نهر جيحون، وهو نهر بلخ، ومقدار جريانه على وجه الأرض نحو من خمسين ومائة فرسخ، ومن مبدأ نهر الترك، وهو إيغان، وقيل: أربعمائة فرسخ، وقد غلط قوم من مصنفي الكتب في هذا المعنى، وزعموا أن جيحون يصب إلى نهر مُهْرَان السند، ولم يذكروا نهر ارتش الأسود، ولا نهر ارتش

الأبيض[1] الذي تكون عليه مملكة كيماك بيغور، وهم جنس من الترك وراء نهر بلخ، وهو جيحون، وعلى هذين النهرين الغورية من الترك، و لهذين النهرين أخبار لم نحط بمقدار مسافتهما على وجه الأرض فنذكر ذلك.

وكذلك جنجي نهر الهند[2]، فمبدؤه في جبل من أقاصي أرض الهند مما يلي الصين من نحو بلاد الطغرغر من الترك، ومقدار جريانه إلى أن يصب في البحر الحبشي مما يلي ساحل الهند أربعمائة فرسخ[3].

وذكر صاحب الروض المعطار نهر (جيحون) ولكنه خلط بينه وبين نهر جيحان الذي يجري في جنوب تركيا غير أنه ذكر جيحون ووصفه بما لا ينطبق إلا عليه، إذْ قال: و(جيحون) هو نهر بلخ وهو بالفعل يمر بمدينة بلخ، إلا أنه استدرك، فقال: ومن الناس من يقول: إنهما نهران وأن جيحان غير (جيحون).

أقول هذا هو الواقع: قال فيما يتعلق بنهر جيحان:

جيحان: ويقال جيحون، نهر عظيم مخرجه من بلاد الروم من عيون تُعرف بعيون جيحان على ثلاثة أيام من مدينة مرعش، ويخرج إلى البحر الرومي وهو بحر الشام، وليس عليه للمسلمين من المدن إلا المصيصة وكفربيا ومجراه بينهما، وجيحون، هو نهر ومن الناس من يقول إنهما نهران، وأن جيحان غير جيحون.

---

(١) وقفت على نهري أرتش الأسود والأبيض عند اجتماعهما قرب مدينة أمسك في غرب سيبيريا، وذكرت ذلك مفصلاً في كتاب (غرب سيبيريا).

(٢) نهر جنجي هو الذي نعرفه الآن بنهر الكنغ، انظر جولة لي فيه في كتاب: نظرات في شمال الهند، وهو كتاب مطبوع.

(٣) مروج الذهب، ج ، ص١٠١- ١٠٢.

قالوا: ومنبعث جيحون، من بلاد التبت يُقبل من المشرق مع الصبا فيمر بلاد وخان ويسمى هناك جرياب، ثم يصير إلى أعلى حدود بلخ مما يلي المشرق، ثم ينعطف إلى ناحية الشمال مع الجنوب إلى أن يصير إلى الترمذ، ثم إلى خوارزم فيمر بمدينتها، فإذا جاوزها تشعبت منه أنهار وخلجان ذات اليمين وذات الشمال، فصارت منه بطائح وآجام ومروج و أسفل من مدينة خوارزم بنحو أربعة فراسخ، ثم يمر مستقبل الشمال بين الجرجانية و(المزداخكان) أسفل من المدينة بأربع وعشرين فرسخاً، وهو الموضع الذي يُصاد فيه السمك المجلوب من خوارزم إلى النواحي ثم يصير هناك بحيرة دورها نحو مائة فرسخ وقيل مسافتها نحو أربعين يوماً في مثلها وماؤها ملح، وليس لها مغيض ظاهر، ويقع فيها نهر جيحون ونهر الشاش وأنهار غيرها كثيرة فلا يغيض ماؤها ولا يزيد، ويشبه والله أعلم أن يكون بينها وبين بحر الخرز خرق ويتصل بمائها، وبين البحرين نحو عشرين مرحلة على السمت، و أضيق أعبار جيحون على رباط بلخ عرضه نحو ميلين[1].

قالوا: فأما نهر بلخ الذي يسمى جيحون، فهو (غير) نهر المصيصة وهو من أعين، يجري يمر ببلاد الترمذ واسفرايين من بلاد خراسان حتى يأتي بحيرة خوارزم، وليس في العمران بحيرة أعظم منها، لأن طولها مسيرة شهر في نحو ذلك من العرض ودورها أربعمائة فرسخ وإليها ينصب نهر فرغانة والشاش[2]، وعليها مدينة للترك يقال لها المدينة الجديدة فيها المسلمون، والسفن تجري في هذه البحيرة.

إنتهى.

---

(١) كل ما ذكره هنا هو متعلق بنهر جيحون الذي نراه الآن في أوزبكستان.

(٢) نهر فرغانة والشاش هو نهر سبحون عند أسلافنا العرب ويسمى الآن (سرداريا) أي نهر السِّرّ.

أما القنوات ومشروعات الري التي أخذت من جيحون فإنها قد أصبحت تغذي المناطق الشبيهة بالصحراوية التي تمر بها، وصاروا يزرعون عليها القطن والأرز والخضرات وأشجار الفاكهة والقمح، وقد أخبروني أن أهل المنطقة لا يحتاجون إلى استعمال الآبار مطلقاً بسبب وجود هذه القنوات من هذا النهر.

محطة توزيع المياه:

عندما أقبلنا على نهر جيحون وجدناه انقسم إلى قسمين الأول هو الذي ذكرته وهو المجرى الرئيسي الذي لم يبق فيه من النهر إلا القليل، الثاني: أصغر منه وهو مكتظ بالمياه، وقد أقاموا في وجهه ما يشبه السد العريض فوقه جسر، وذكروا أنهم اتخذوا قنوات النهر من أجل توزيع المياه على المدينة والقرى القريبة منها، وهذا غير مياه القنوات، فتلك تذهب بعيداً.

وجدنا عنده حراساً من الجنود بملابسهم الرسمية، وبعد أن التقطت صورة واحدة له أشار شرطي كان فيه يقول: إن التصوير مسموح به من الجهة التي يأتي منها الماء وليس من الجهة التي فيها السد.

حجر الطاقية:

وجدنا الإخوة وضعوا ترتيباً لتناول غداء ثانٍ في مقصف ومطعم يقال له (تاخيا تاش) بـ معنى حجر الطاقية، أو الحجر كالطاقية، وذلك أنهم أقاموا في هذا المنتزه ما يشبه الحجر الضخم من مبنى أبيض يرمز إلى البيوت التقليدية القديمة عندهم قبل أن يتحضروا ويتخذوا البيوت المعتادة.

ويقع هذا المقصف الذي تبين أن فيه مطعماً جيداً قدم طعاماً نظيفاً كثيراً في مكان اسمه: (قرا أوي) بمعنى القرية السوداء، فقرا: أسود أو سوداء، و(أوي) قرية بلغتهم

ويقع على شاطئ نهر جيحون يخرج إليه الناس للتنزه وتناول الطعام.

جلسنا في قاعة واحدة منفردة عليها مائدة مستطيلة قد وضعوا عليها مقدمات الطعام والسلطات والخبز والفاكهة كالعادة، وذلك لكي يبدأ من يجلس عليها بالأكل من هذه قبل أن يجئ الطعام الرئيسي الحار.

وهذه عادة لهم جيدة أن يبدأ الضيوف أو الجالسون على المائدة الأكل فور جلوسهم مما كان عليها من مثل هذه الأشياء.

ولذلك بادر أحدهم إلى الخبز الغليظ يكسره بيده إلى كسر صغيرة يوزعها أمام الجالسين على المائدة.

وسارع آخر لتقطيع السلطة التي هي الطماطم والخيار لا غير وكانوا أحضروها على عادتهم في صحن على المائدة دون تقطيع، فأخذ هذا يقطعها ويوزعها في صحون أمام الآكلين، وما رأيتهم في هذه السفرة قبل الآن وبعده أحضروا السلطة إلى المائدة مقطعة، بل إنها تقطع أمام الضيف.

وكان طعامهم فاخراً كان اللحم فيه على نوعين أحدهما من الغنم قد طبخوه وطبخوا رؤوساً ضخمة من الثوم كل رأس فيه عدة فصوص صغيرة فكان الواحد منهم يأخذ برأس الشوكة فصاً صغيراً من الثوم فيبلعه دون أن يمضغه، وذكروا أن الثوم إذا كان مبطوخاً طبخاً جيداً وبلعه الإنسان أثناء الطعام بلعاً من دون مضغ فإنه لا يكون له رائحة كريهة.

وأهل المنطقة يكثرون من الشحم والدسم في طعامهم لكونها بلاداً باردة في الشتاء، والطعام الدسم يولد طبقة من الدهن على الجسم تساعد على مكافحة الشعور بالبرد، ولكنهم يكافحون أثر الدسم أيضاً بالأكل من الثوم والبصل لأنها تساعد على هضم الدسم.

وقد طبخوا مع هذا اللحم أيضاً مقداراً كبيراً من البطاطس ومن الملفوف الذي هو الكرنب، أكلنا مع الإخوة أكلاً لمَّا من هذه المائدة التي هي الغداء الثاني، وكان من بين مرافقينا ممثل مصلحة شئون الأديان- وهو كما قدمت ذكره- باحث جيد ومطلع على تاريخ البلاد، وهو الذي أخبرني بأن (تاخيا) معناها طاقية التي هي القلنسوة بالعربية الفصحى، ولم أجدها فصيحة مذكورة في المعاجم القديمة، ولكنني وجدت عدداً من الباحثين المحدثين ذكر أنها غير عربية، وبعضهم قال: إنها من التركية، وبعضهم ذكر غير ذلك، وقد تأكدت الآن من أنها تركية، ولكنها من اللغة التركية القديمة، فهذه المنطقة هي ميدان للغة تركية قديمة عريقة.

ويبعد هذا المكان بـ ١٥ كيلومتراً من أطراف (نوخوس).

معنى اسم نوخوس:

عدنا إلى مدينة نوخوس من أجل السفر بالطائرة منها إلى طشقند، لذا يجدر بنا أن نذكر ما عرفناه من معنى اسمها.

كاد من سألناهم من أهل المعرفة بهذا الأمر يجمعون على أن اسمها (نوخوس) مأخوذ من اسم قبيلة تركية قديمة كانت تقطن في موضعها اسمها (نوغوس) ولم يعرفوا معنى آخر في لغتهم لكلمة نوخوس لذلك جزموا بأنه مأخوذ من اسم هذه القبيلة التركية القديمة.

وقد وجدنا فسحة من الوقت للمزيد من التجول في المدينة قبل موعد قيام الطائرة، فلاحظت ما رايته من قبل من كثرة التشجير في شوارعها، و لكنني لاحظت الآن كثرة الشبان الجالسين في ظلال الأشجار، بدون عمل ظاهر، مما

يدل على البطالة وقلة العمل في البلاد، وهذا ما أكده لي العارفون بالأمور فيها.

وقد اشتدت حرارة الشمس بعد الظهر مثلما كان يوجد غبار في الضحى، وهذه من سمات المناطق الصحراوية، وإن كان لا يصح أن نسميها صحراء لأن فيها أشجاراً خضراً وأعشاباً وفيرة، وفيها إلى ذلك هذا النهر العظيم المتدفق (جيحون) وما اشتق منه من قنوات.

العودة إلى طشقند:

ذهبنا إلى المطار وشفع لنا جوازي (الدبلوماسي) لدخول قاعة كبار الزوار مع جميع من كانوا مرافقين لنا من طشقند ومن نوخوس.

وكانت القاعة متوسطة حسنة الأثاث، ورأيت معظم الذين فيها هم من أهل البلاد المسلمين وليسوا من الروس.

ولا مجال للقول بأنهم من ركاب الدرجة الأولى، لأنني لم أر في طائرتهم الداخلية هذه تفاوتاً في الدرجات.

ومن الجميل في هذه القاعة أن فيها مكتباً للترحيل لكبار الزوار يقطعون التذكرة فيه ويتسلمون من المسافر أمتعته فيه ويخرج منه إلى الطائرة من دون أن يحتاج إلى الاختلاط بالناس.

خرجنا إلى الطائرة بصحبة مضيفة أرضية أركبتنا نحن الذين في قاعة كبار الزوار قبل الركاب الآخرين، وهذا من باب التكريم وإلاَّ فإن المقاعد في الطائرة مرقمة، وليس على ما هو عليه الحال في الطائرة التي قدمنا عليها من طشقند التي هي من طراز (ياك) فإنه لا أرقام لمقاعدها.

وهذه الطائرة كبيرة نسبياً فهي من طراز (توبوليف ١٥٤) وهي أسرع بكثير من الأولى الصغيرة (الياكية) رغم كونهما مـ اً من الطائرات النفاثة.

ومن الأشياء المستجدة عندهم بالنسبة إلينا أنهم قدموا للركاب شراباً من شراب البرتقال، والطائرة لا تزال على الأرض لم تقلع بعد، مع العلم بأنه ليست فيها درجة أولى ولا درجة رجال الأعمال، وكانوا فيما عهدناهم في القديم لا يقدمون شراب البرتقال ولا أي شيء من الطعام والشراب في طائراتهم للرحلات التي تبلغ مدة الطيران فيها ثلاث ساعات فأقل.

وأعلنوا باللغة الأزبكية ثم الروسية أن الطيران إلى طشقند سيستغرق بهذه الطائرة ساعة و٥ دقائق، ومن اللطيف الجميل أنهم بدءوا الإعلان بالأوزبكية بقولهم (السلام عليكم) وهذا أيضاً أمر جديد بالنسبة لما كنا نعرفه عنهم قبل عشر سنين.

غادرت الطائرة مطار نوخوس قاصدة طشقند في الثامنة إلا ٦ دقائق وما زالت الشمس حية لأنها تغرب في الثامنة.

وتكرر عند الدخول في الطائرة ما كان يحدث في طائراتهم منذ القديم وهو شدة الحر فيها، ولبثها فترة طويلة بعد دخول الركاب وقبل الإقلاع.

لقد قدموا ضيافة جيدة حسبما رأيناها، وإلاَّ فإننا لم نمسها لأننا كنا أكلنا كثيراً من الطعام الطيب الذي وفره أهل نوخوس.

ثم هبطت في مطار طشقند في التاسعة وخمس دقائق بعد طيران استمر ساعة و١١ دقيقة، وتكرر هنا ما تقدم مثله عند الذهاب وهو أن الركاب انتظروا جالسين في مقاعدهم حتى نزل الطيارون والملاحون من الطائرة وهذه عادة لا تزال مرعية.

وجدنا في المطار بعض المستقبلين منهم الأخ الشيخ (ناظم نجم الدين) معه سيارة السفارة السعودية الجديدة المكيفة الهواء، ولذلك لم نركب مع السيارات التي أحضرها لنا الإخوة المرافقون، وعدنا إلى فندق انتركونتنتال المريح.

يوم الاثنين ١٤٢٢/٣/١٢هـ:

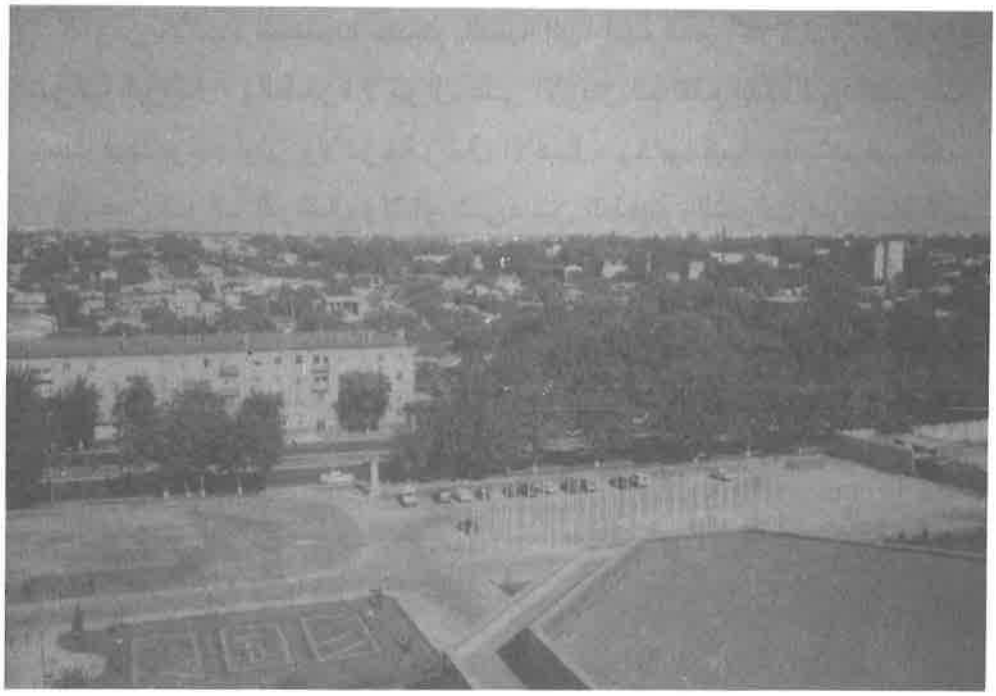

من نافذة الفندق في طشقند لجانب من المدينة

في إدارة الشئون الدينية:

عرفنا من التجربة أنه كان في كل الدول الشيوعية وزارات للشئون الدينية، وأحياناً يكون اسمها (مصحلة الشئون الدينية) ويكون على رأسها وزير من الوزراء المهمين في الحكومة، والقصد من وجود هذه الوزارة التي لا يوجد مثلها في الدول الحرة في غرب أوروبا مثلاً هو مراقبة الدين في الدولة وليس تشجيعه كما قد يتبادر إلى الذهن، من واقع التسمية نفسها في بعض البلدان

الإسلامية، وعدم نمو الأديان، ومراقبة تصرفات علماء الدين، وقد تسمى في بعض البلدان الشيوعية (لجنة الشئون الدينية) مع أنها ذات جهاز إداري ووظيفي أكبر من كثير من الوزارات الأخرى.

كانت في برنامج اليوم بل أول فقرة فيه زيارة وزارة الشئون الدينية والالتقاء بالوزير المسئول فيها، وقد ذهبنا إلى الوزارة المذكورة معنا المرافقان جلال الدين حسن الدين وإسماعيل عبدالله ثم حضر نائب المفتي الشيخ عبدالرزاق يونس نائب مفتي أوزبكستان والمفتي هو رئيس الإدارة الدينية.

وتشغل الوزارة مبنى قديماً واسعاً من العهد السوفيتي وهي بجانب مقر مجلس وزراء أوزبكستان.

وأمام المبنى هذا ومبنى مجلس الوزراء فناء واسع مكشوف بمثابة الحرم لهذه الأبنية الكبيرة المهمة عندهم، وقد رفعوا كل مبنى منهما عن الأرض بحيث لا يدخل الدخل إليه إلا إذا صعد فوق درج خارجي كالذي يكون في القصور القديمة.

عندما دخلنا المبنى وجدنا أحد الموظفين ينتظرنا مع أن المرافقين يعرفون المكان معرفة جيدة، فدخلنا مصعداً روسياً عتيقاً ضيقاً بحيث أنه أطبق على جسد أحدنا وأذاه لأنه لم ينتبه إلى أن بابه سوف يغلق وهو يغلق من تلقاء نفسه.

ثم دخلنا مكتباً بمثابة (السكرتارية) دخلنا منه مباشرة إلى مكتب الوزير الذي وجدنا فيه المائدة الطويلة التقليدية في جميع مكاتب الوزراء في الاتحاد السوفيتي وأتباعه السابقين وهي مخصصة للاجتماعات وفق نظام لها يكاد يكون واحداً.

استقبلنا في المكتب النائب الأول لوزير الشئون الدينية الأستاذ (شاه أعظم).

وبعد أن رحب بنا بدأ الكلام بأن قال: إن رئيسنا وزير الشئون الدينية هو في المستشفى وكان من المقرر أن يستقبلكم، ولكنه مرض ودخل المستشفى

وأمرني أن استقبلكم وأرحب بكم باسمه وهو يبلغكم تحياته.

كنا جلسنا حسب طلبه على قاعة الاجتماعات وكأنما جئنا إليه للتفاوض، وهذه عادة قديمة للشيوعيين كما قلت.

وقد نوه بكوني أعرف هذه البلاد وقال: لقد كنتم زرتم بلادنا من قبل، بل زرتم كثيراً من أنحاء العالم، وقد بلغني أنكم ذهبتم أمس إلى جمهورية (قرا قلبقستان) وأنكم ساعدتم العاملين في الإدارة الدينية هناك، وكذلك ساعدتم على بناء المساجد، ونحن نشكركم على ذلك.

فرددت عليه بالقول: إننا زرنا بلادكم في أول مرة ولم تكن قد استقلت بعد، وكانت زيارتنا استجابة لدعوة من الإدارات الدينية التي كانت موجودة في الاتحاد السوفيتي، وكان يرأسها في وقت زيارتها رئيس الإدارة الدينية في آسيا الوسطى وقازاقستان الدكتور شمس الدين بابا خانوف الذي كان مقره في طشقند، بل في الإدارة الدينية التي زرناها أمس، وقد اتفقنا على تبادل الزيارات، وعلى التعاون ما بين رابطة العالم الإسلامي وبين الإدارات الدينية، وكان ذلك بالفعل.

وتلاحظون أن اختلاف النظام بين بلدينا آنذاك لم يمنعنا من التعاون، لأننا لا نتدخل في الشئون الداخلية لأي بلد وإنما نقصد التعاون على البر والتقوى عملاً بقول الله تعالى **(وتعاونوا على البر والتقوى)**.

وقلت: إن بلادكم الآن ولله الحمد مستقلة يحكمها أهلها، ولذلك نرى أن هذا مما يؤكد التعاون بين رابطة العالم الإسلامي وبين الإدارة الدينية فيها.

وقلت له: إن بلادكم قد أخرجت رجالاً علماء بل عظماء في فنون الثقافة العربية الإسلامية الممتدة من الحديث والفقه واللغة، ففي الحديث هذا الإمام

محمد بن إسماعيل البخاري الذي ألف الصحيح الذي هو اصح الكتب بعد كتاب الله عز وجل، وفي اللغة كان أول من ألف معجماً في اللغة من منطقتكم فهو الفارابي اللغوي الذي ألف (ديوان الأدب) وقريبه إسماعيل الجوهري ألف صحاح اللغة، وفي الفلسفة هناك ابن سينا والفارابي الآخر، و أما في العلوم العامة فهناك فخر الثقافة العربية الإمام البيروني وهو من بلادكم.

ولو افترضنا أن أحداً حاول أن يستبعد ما كتبه علماء بلادكم من الثقافة العربية الإسلامية لأصبحت ناقصة.

وإننا زرنا الجامعة الإسلامية في طشقند مما جعلنا نأمل بأن إنشاءها سيكون للعودة إلى منابع الثقافة الأصيلة التي أبدع فيها أهل بلادكم.

وكما يقال: إن التاريخ يعيد نفسه فإننا نرجو أن يوجد من أهل هذه البلاد في المستقبل من يحيي آثار العلماء الأوائل فيها في كل فنون الثقافة العربية الإسلامية.

ثم بينت له أن رابطة العالم الإسلامي هي منظمة شعبية عالمية وليست إدارة حكومية سعودية، ولكن الحكومة السعودية تدعمها وتمدها بميزانية مالية سنوية، حتى تستطيع أن تساعد المؤسسات الإسلامية التي تكون بحاجة إلى المساعدة، وتتعاون مع الجهات الأخرى المماثلة تعاوناً علمياً إسلامياً مثمراً.

وقلت له: إننا نحمل دعوة لمعالي وزير الشئون الدينية وللمفتي لحضور المؤتمر الإسلامي العام الذي ستقيمه الرابطة في شهر سبتمبر القادم بإذن الله، ونرجو أن نتمكن من استقبالكم هناك، وأن تتمكنوا من اللقاء بقادة العمل الإسلامي من علماء ووزراء وقضاة ومفتين في رحاب مكة المكرمة.

ثم قدم إليَّ كتاباً عن احتفال جمهورية أوزبكستان بالإمام البخاري وإحياء ذكراه.

وقال لي وهو يقدم الكتاب: إنني أعرفكم أنكم تحبون الشعب الأوزبكي ولذلك زرتم معظم أنحاء البلاد وبهذه المناسبة يسرني أن أهدي إليكم هذا الكتاب.

فشكرنا له هديته وودعناه.

في السفارة السعودية:

ذهبنا للسفارة السعودية في الحادية عشرة والنصف من أجل زيارتها وشكر الأخ ظافر العنزي القائم بالأعمال فيها، وهو أكبر شخصية فيها الآن لأن السفير قد نقل من طشقند ولم يصل بديل عنه حتى الآن.

وجدنا السفارة في مبنى مملوك لها، و هذا أمر سار مع أنه يقع بجوار أبنية سكنية متعددة الطوابق (عمارات) مما بنته الحكومة الشيوعية السابقة على الاستقلال لأجل إسكان المواطنين الذين لا مسكن لهم.

وقد أخبرناه عن برنامج سفرنا إلى تاجيكستان غداً بأن سمة الدخول إلى تاجيكستان قد حصلت بعد كتابة السفارة بشأنها وأنه يرى أن نسافر براً إلى حدود أوزبكستان مع تاجيكستان حيث سيرافقنا مشكوراً إلى الحدود هناك يودعنا ونسير داخل تاجيكستان إلى مدينة (خوجندة) ومن هناك نركب طائرة داخلية إلى عاصمة تاجيكستان دوشنبه.

وجدنا في السفارة طائفة من الإخوة التجار من ذوي الأصول الأوزبكية ممن يسمون عندنا بالبخاريين ذكروا لنا أنه توجد فرص تجارية عديدة بين أوزبكستان والمملكة العربية السعودية، غير أن الحكومة الأوزبكية تعرقل هذه التجارة التي يستفيد منها البلدان وبخاصة اوزبكستان عن طريق التشدد في منح سمات الدخول للقادمين من المملكة العربية السعودية، وعن طريق الإدارة المعقدة غير المحربة في البلاد التي لا زالت تسير وفق الطريقة الإدارية

السابقة على الاستقلال لأنها دون غيرها يعرفها الموظفون، ولم تعمل على اكتساب المهارة الإدارية الحديثة عن طريق ابتعاث الموظفين في دورات أو عن طريق تدريبهم في بلادهم تدريباً كافياً.

وقد بادرنا الأخ ظافر بالقهوة العربية من دلة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين، مفعمة بقهوتنا العربية المبهرة بالهيل، ومعها تمر السكري الذي لا تكمل بهجتها إلا به.

وقد بحثنا معه الأوضاع الإسلامية في هذه البلاد والأوضاع العامة فيها، وقد اتفق الرأي على أن سياسة حكومة البلاد لا تزال غير مرنة، بل إنها تبدو أحياناً غير ودية تجاه العرب، وذلك لخوفها من المد الإسلامي الذي قد تثيره صحوة إسلامية يسببها وصول العرب المتدينين إلى هذه البلاد.

مسجد أحرار:

الفقرة التالية الصلاة في مسجد أحرار وكان من المقرر أن تبدأ في الساعة الواحدة غير أننا تأخرنا فوجدناهم أقاموا الصلاة فصلينا معهم خلف صديقنا الشيخ عبدالرزاق يونس نائب مفتي أوزبكستان الذي كان مسافراً في مصر قبل أن نصل إلى هذه البلاد.

وقد أدى صلاة الظهر صفان ونصف من صفوف المسجد الطويلة، وأعتقد أن عددهم يبلغ ٢٥٠ مصلياً، ومن المفرح أن فيهم نسبة من الشبان، وليسوا كما اعتدنا أن نرى المصلين في هذه البلاد من المسنين.

بعد أن سلم الإمام من الصلاة قام هو والمأمومون فأدوا السنة ركعتين فقط، ثم صار الإمام يسبح ويهلل ويدعو بصوت منخفض لا يسمعه أحد من المأمومين طبقاً لعادة لهم في ذلك وإنما كان يقول في نهاية كل فقرة من التسبيح أو التكبير الذي

يسره- أي لا يظهره (سبحان الله)، ثم بعد ذلك (الحمد لله) ثم (الله أكبر).

ثم قرأ أحدهم آيات من القرآن الكريم، ثم دعاء صامت يرفعون بـه أيديهم بعده مراسم الذكر والتسبيح في الصلاة وانصرفوا.

أما نحن فإن لنا معهم موعداً مسبقاً لذلك وجدنا في انتظارنا رئيس جمعية المسجد الذي يسمونه (المتولي).

لقد استعدت ذكرى زيارتنا لهذا المسجد في الزيارة الأولى لطشقند وكيف وجدناه صغيراً ضيقاً قديم البناء، أما الآن فإنهم أعادوا بناءه ووسعوه بحيث صارت مساحته ستة أضعاف مساحته الأولى، التي رأيناه عليها أول مرة، ولولا اسمه لما عرفته.

وقد بنوه بناء قوياً على طراز البناء التقليدي الجيد للمؤسسات المهمة في هذه البلاد وهو الذي أسميته الطراز التيموري في البناء لأنه الذي كان شائعاً في عهد (تيمور لنك) وعليه بني قبره وبعض المدارس الدينية والمساجد.

وهو بالعقود من الآجر الأحمر أو لنقل الذهبي لأن لونه يميل من الحمرة إلى الصفرة، وجميع العقود القوية الجميلة فيه معقودة بالآجر، وليس بالحجارة.

وقد بنوه كما ذكروا من تبرعات محلية قامت عليها الإدارة الدينية التي يسمونها في بعض الأحيان (دار الفتوى) وذكروا أنهم انفقوا عليه نفقة عظيمة وهو جدير بذلك لسعته والزيادة العظيمة في مساحاته وبخاصة في أفنائه.

وأخبرونا أنهم بحاجة إلى استكمال حماماته التي لم تكتمل لعجزهم مالياً عن إكمالها، وقد أعلنا لهم تبرعاً سوف نسلمه للإدارة الدينية للنفقة على إكمال بناء الحمامات وتجهيزها بالطريقة التي أنفقت بها على المسجد.

وذكروا أنه مسجد قديم سمي باسم شيخ اسمه أحرار مدفون في سمرقند، وقد دفن قبل أكثر من خمسمائة سنة وذكروا أنهم لا يعرفون من أمره غير ذلك.

ولا شك في أن مثل هذا الشيخ يكون معروفاً في زمنه، وربما ترجم له بعض المؤرخين.

مدرسة أخي الرضاع:

تقع بجانب هذا المسجد التاريخي القديم مدرسة تاريخية قديمة الطراز بنيت على الطراز التيموري نفسه، حتى إن بوابة مدخلها ترتفع بما يعادل ست طبقات أو سبعاً.

ذكروا أن حاكم بخارى في القديم بنى هذا المسجد وبجانبه المدرسة على مكانٍ مرتفع بحيث تقع عين من يأتي إلى طشقند أول الأمر على هذا المسجد والمدرسة، وكان موقعهما عالياً بالفعل متميزاً بذلك عما حوله من الحي.

ومن العجيب المؤسف أن الذين التقينا بهم منهم وهم أئمة مساجد ومثقفون لا يعرفون من هو حاكم بخارى الذي بنى هذا المسجد والمدرسة، ولكنهم ذكروا أنه جعل المدرسة على اسم أخٍ له من الرضاع لذلك عرفت باسم (مدرسة أخي الرضاع).

وجدناهم يرممون المدرسة مع أن فيها جانباً صالحاً يستعملونه الآن فصولاً للطلاب وإسكاناً للغرباء منهم، وهم بحاجة إلى المساعدة على أعمالها وهي تستحق ذلك، لأنها مدرسة تاريخية عجيبة البناء تشبه مدرسة ميرعرب في مدينة بخارى من حيث التصميم والبناء، فهي من طابقين مؤلفين من غرف صغيرة دائرة حول فناء واسع مكشوف تتقدمها أروقة قديمة قاومت الزمان الذي ذكروا أنه امتد لأكثر من ٥٠٠ سنة.

وقد ذكروا أن المدرسة حكومية أهلية، وفسروا ذلك بأنهم يطبقون فيها ٤٠% من منهج الدراسة الحكومي إلى جانب مواد دينية إسلامية، ولذلك

تساعدهم الحكومة، إلا أنهم ذكروا أن هذا هو ما اتفقوا عليه مع الحكومة، وأنهم سوف يبدءون بتنفيذه قريباً.

والواقع أنها معلم وطني إسلامي تاريخي كان جديراً بالحكومة أن تقوم بكل ما يلزم له من الترميم وتيسير الإدارة، ولكن الإدارة الدينية ذكرت أن من الأفضل أن تبقى لهذه المدرسة شخصيتها المميزة التي تتطلب أن تكون لها صفة دينية مرتبطة بدار الفتوى.

غداء المدرسة:

كنا نتهيأ لجولة كاملة في المدرسة ولكنهم طلبوا منا أن نعود إلى مكتب مدير المدرسة حيث وجدنا مائدة معدة عليها المقدمات الباردة المعهودة عندهم من الخبز والفاكهة والسلطة من الطماطم والخيار غير المقطعة وقد أخذ أحدهم يقطعها في صحن عنده ويضع أمام كل اثنين أو ثلاثة من الآكلين شيئاً منها، وكان أهم الفواكه المعروضة مشمش كبير، و(حب الملوك) الذي نعرفه بالكرز، ولكن المغاربة يسمونه (حب الملوك) وهو كبير جداً.

ثم جاءوا باليغمش، وهو دسم في داخله قطع صغيرة من الشحم كالعادة، وبعده جاءوا بالارز قد قلي بزيت أو سمن حتى غدا أحمر اللون، ومعه لحم دسم.

لقد أكلنا جميعاً من هذا الطعام الشهي الذي قدموا معه أيضاً نُقولاً وهي المكسرات التي من أهمها اللوز.

وبعد ذلك قمنا بجولة على المدرسة ولا حظنا أن سقوفها كلها هي قباب معقودة بالآجر، وليس فيها خشب.

وفيها مسجد مثل مسجد مدرسة (مير عرب) في بخارى فهو بارد رغم الحر الشديد لأنه مبني من الآجر السميك وسقفه بقباب الآجر، ذكروا أن

الطلاب يصلون فيه الصلوات الخمس لأنه داخل المدرسة وأما صلاة الجمعة فإنهم يصلونها في مسجد (أحرار) القريب منهم.

وعندما أظهرت إعجابي بترميم المدرسة طبقاً لما كان عليه بناؤها القديم ذهبوا بي إلى غرفة من غرف المدرسة كانوا اتخذوها مشغلاً لمن اسموهم الفنانين وهم الذين يرسمون الرسوم المماثلة للرسوم القديمة ويصنعون الفسيفساء أو (السراميك) المماثل للقديم، وليس عملهم مقتصراً على هذا، وإنما هم أيضاً يخرطون الخشب ويصنعون منه المصنوعات الدقيقة الجميلة من التحف وبخاصة من حاملات المصاحف المنقولة، وقد أهدونا حاملاً صغيراً للمصحف الصغير يطوى مع أنه من الخشب وذلك بأن يدخل بعضه في بعض فيصبح في حجم كف الإنسان ويستطيع المرء أن يحمله في جيبه وهو عجيب الصنعة.

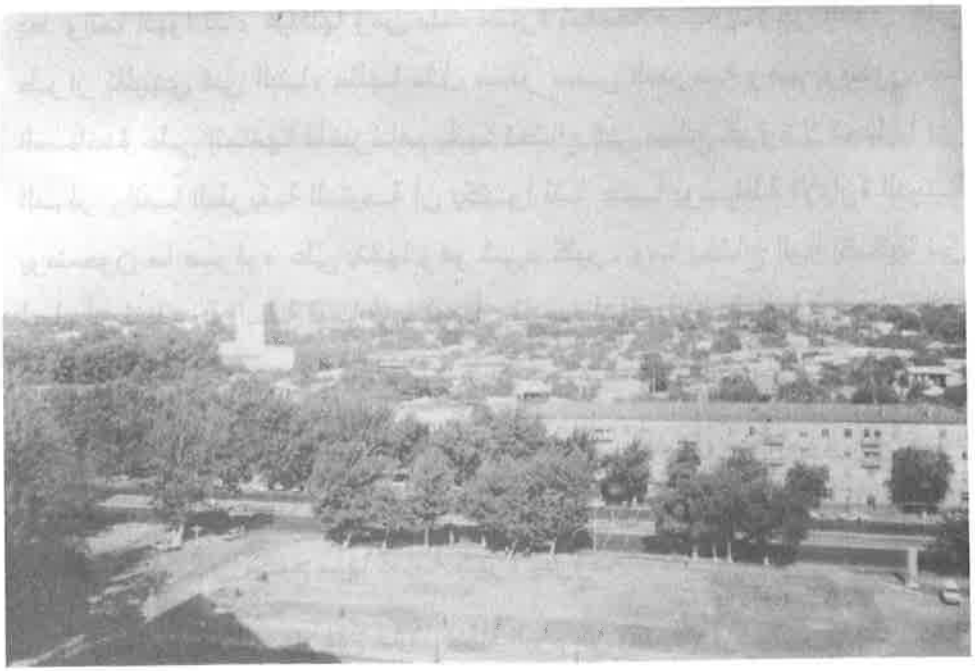

منظر من نافذة الفندق في طشقند لجانب آخر من المدينة

وفي النهاية طلبوا التقاط صورة تذكارية من مصورة معهم وانتهزت الفرصة فطلبت مثلها من مصورتي، وذلك خارج المدرسة على الدرج المرتفع الذي يفضي إلى بوابتها العامة، وأخبرناهم أننا قررنا تقديم مساعدة رمزية للمدرسة سوف نسلمها إليهم حالاً.

خارج حدود مدينة طشقند:

قال الإخوة: إن آخر فقرة في برنامج هذا اليوم هي الذهاب إلى خارج حدود مدينة طشقند، ولكن داخل حدود ولاية أو مقاطعة طشقند، لزيارة مدرسة يبنونها هناك يسمونها مدرسة (نظر بيك).

انتقلنا إلى غرب مدينة طشقند لمشاهدتها فوجدناها جديدة، بل لم تستكمل بعد وإنما أنهوا بناء هياكلها ومن ذلك منارة شامخة مبنية بالآجر القوي على طراز تقليدي في البناء مثلها مثل سائر مبنى المدرسة وهم يريدون منا المساعدة على إتمامها فأخبرناهم بأنها تحتاج إلى مبالغ كبيرة لا نحملها في السفر وإنما الطريقة المتبعة أن يكتبوا لنا عنها بوساطة الإدارة الدينية يوضحون ما صرفوه على بنائها وهو شيء كثير، وما يحتاج إليه إكمالها من أجل أن تنظر الرابطة فيما تستطيع أن تقدمه لذلك، لأن الرابطة تعمل على مستوى العالم وتتلقى طلبات للمساعدة من أنحاء العالم كله.

وبعد أن التقطنا صوراً للمبنى عدنا إلى الفندق مع شوارع طشقند المشجرة، إلا أننا دخلنا حارة غير بعيدة من (مسجد أحرار) قديمة بيوتها مبنية بالطين وفي مكان متسع منها قمامة كبيرة متروكة.

وعلى وجه العموم فإن ما شاهدناه اليوم في تلك الحارة ونحوها يدل على ما هو معروف لدى الشيوعيين من عدم العناية بالأحياء الشعبية التي يسكنها أناس ليسوا من ذوي القدرة على المطالبة.

وقد سلك خلفاء الشيوعيين في البلدان الإسلامية مسلك الشيوعيين فاعتنوا بالأماكن التي فيها الأبنية الحكومية والدوائر الحكومية المؤثرة اتي يراها السياح، ويتردد إليها الناس لقضاء حاجاتهم ومن هذه الناحية فإن طشقند تبدو الآن أفضل مما كانت عليه في السابق عندما زرناها لأول مرة منذ ١٨ سنة، وللمرة الأخيرة منذ عشر سنين.

اجتماع ختامي في الإدارة الدينية:

في الساعة السادسة عصراً ذهبنا للإدارة الدينية لأوزبكستان نحمل النقود التي كنا أعلنا لهم التبرع بها الخاصة بطشقند.

دخلنا إليها وهي التي عهدناها من قبل لم يتغير منها شيء.

كان في الاستقبال مجموعة من العاملين في الإدارة على رأسهم نائب المفتي الشيخ عبدالرزاق يونس والإخوان المرافقان في (قرا قلبقستان) وكانا معنا طول الرحلة وهما جمال الدين حسن الدين وعبدالله إسماعيل ومعهم نحو الخمسة من موظفي الإدارة الدينية.

جلسنا على مائدة الاجتماع المعهودة بل القديمة في الإدارة الدينية التي لم تتغير منذ أن جلسنا عليها قبل ثمان عشرة سنة.

تكلم نائب المفتي شاكراً زيارتنا لأوزبكستان لمناسبة سفرنا إلى تاجيكستان غداً، وتكلمت بعده فشكرتهم على حسن الضيافة وكريم الاستقبال وقلت لهم: أرجو أن تكون هذه الزيارة فاتحة عهد من التعاون ما بين رابطة العالم الإسلامي والإدارة الدينية في أوزبكستان وأن تكون مقدمة لزيارات توقفت من سنوات.

وأبلغتهم بدعوة الرابطة للمفتي الذي كان غائباً في مصر وأننا كنا نتمنى أن نراه لنبلغه دعوة رابطة العالم الإسلامي له لحضور المؤتمر الإسلامي الذي سيقام فيها في شهر سبتمبر، وقلت لهم: إننا قيدنا كل ما ذكرتم أنكم بحاجة إليه في الجلسة الأولى التي عقدناها في هذه الإدارة أول ما وصلنا إلى بلادكم، وسوف نحاول الاستجابة لما أمكننا من طلباتكم أما ما لا يمكن لنا الاستجابة إليه فإننا سوف نبلغكم اعتذار الرابطة عنه.

صورة تذكارية في مدخل الإدارة الدينية في طشقند

ثم دفعنا لهم عشرة آلاف دولار أمريكية نقداً، مساعدات عاجلة، وكنا أثناء ذلك نأكل الفاكهة التي وضعوها على المائدة ونشرب الشاي الخالي من السكر، وقد أحضروا أيضاً الأشربة الغازية وأهمها عندهم الماء المثقل بالغاز، وودعناهم بمناسبة سفرنا صباح الغد، ولكنهم ذكروا أنهم سوف يكونون في وداعنا عند السفر.

سوق طشقند:

مررنا بسوق طشقند فوقفنا عنده وهو السوق الذي زرته في المرة الأولى وذكرته، ووجدته اليوم حافلاً بالفاكهة التي طابت مبكراً كالتوت والمشمش والدراق والكرز وكله بأسعار رخيصة.

وقد منعتني ملابسي العربية من التجول فيه تجولاً واسعاً، لأن الناس وبخاصة النساء كانوا يتابعونني بأبصارهم وأحياناً بأقوالهم، فصاروا يتفرجون عليَّ بدلاً من أن أتفرج برؤيتهم.

سوق طشقند

واشترينا منه مشمشاً وكرزاً جيداً، ورأينا اللحم الجيد بدولارين الكيلو وهذا هو لحم الغنم، وأما لحم البقر فإنه أرخص من ذلك.

وذكروا أن لحم الخيل يعرض في السوق، ولكنه يكون في الشتاء أكثر لأنه جيد للدفء ولمن يشكون من ارتفاع ضغط الدم.

يوم الثلاثاء: ١٤٢٢/٣/١٣هـ - ٢٠٠١/٥/٥م:

إلى حدود تاجيكستان:

لا يوجد طيران بين عاصمتي الدولتين المتجاورتين (أوزبكستان) وتاجيكستان) ولذلك لا طريق للوصول إلى تاجيكستان من أوزبكستان إلا عن طريق الحدود البرية أو السفر بالطائرة بعيداً إلى بلد مجاور مثل قازاقستان، ومن هناك إلى عاصمة تاجيكستان (دوشنيه).

وقد رأى الإخوة في السفارة وغيرهم أن نسافر بطريق البر إلى حدود تاجيكستان وأن يخبروا الإدارة الدينية في مدينة (خوجنده) أن يحضروا إلى الحدود ما بين أوزبكستان وتاجيكستان ليأخذونا بسيارتهم إلى مدينة خوجنده التي تبعد عن الحدود ٧٤ كيلومتراً، ومن خوجنده نسافر جواً في طيران محلي إلى (دوشنبه) العاصمة.

وهكذا كان.

ففي الساعة الثامنة من هذا الصباح حضر إلى الفندق الأخ الكريم ظافر العنزي القائم بالأعمال في السفارة السعودية، جزاه الله خيراً، على سيارة (جيب) كبيرة قوية ليصحبنا إلى الحدود وقد مانعنا في ذلك ولكنه أصر عليه، وحضر أيضاً إلى الفندق نائب مفتي أوزبكستان ومعه عدد من الإخوة وبخاصة اللذين كانا معنا في أول الأمر وهما جلال الدين وعبدالله إسماعيل، وأصروا أيضاً على أن يذهبوا معنا إلى الحدود غير أننا أصررنا على توديعهم هنا فقالوا: لابد من توديعكم إلى خارج منطقة طشقند، وأما هنا فلا.

دفعنا لفندق انتركونتنتال أجرته لأربع ليالٍ كل ليلة ١٣٠ دولاراً وهذا أجر

مخفض لأن التي حجزت لنا هي السفارة السعودية، وشكرنا لهم حسن ظنهم، لأنهم لم يطلبوا منا دفع الأجرة مقدمة ولا حتى أرقام بطاقات الائتمان التي نحملها.

سرنا في شوارع طشقند ومعنا في السيارة الأخ ظافر العنزي وكان سائق السيارة وإن شئت الصحة قلت: إنه قائدها الأخ (نوري عبدالله يوسف) وهو أوزبكي مولود في العراق عندما كان والده يعمل في السفارة السوفيتية في بغداد، وهو يتكلم العربية جيداً لأنه ولد وعاش فترة من عمره في العراق ويعمل الآن في السفارة السعودية في طشقند وهو من أهل البلاد.

وتتقدمنا السيارة التي فيها نائب المفتي ومرافقوه.

ولاحظنا أن شوارع طشقند السريعة جيدة ونظيفة وفيها نسبة من سيارات الركوب أكثر مما كان عليه الأمر من قبل، ومعظم السيارات فيها هي الروسية التي أكثرها شيوعاً طراز (لادا) بأطرزته المتعددة التي يجمع بينها صغر السيارة، وعدم إرادة الجمال لها والراحة لراكبها، وهناك سيارات (فولقا) التي هي روسية أيضاً وهي أكبر وأغلى من (لادا) ومع ذلك توجد سيارات قليلة من صنع اليابان أو أوروبا في الشوارع مما لم يكن موجوداً من قبل.

كنا متجهين للجنوب لأن الحدود تقع جنوباً.

وداع في الماء الأسود:

تجاوزنا حدود مدينة طشقند وانحرف الطريق المزفت من اتجاه الجنوب إلى جهة اليمين التي هي جهة الغرب ووقف الموكب من أجل توديع الإخوة المودعين الذين عزمنا عليهم ألا يتجاوزوا في ذهابهم معنا هذه المنطقة فوقفنا في قرية أو منزلة ريفية متباعدة المنازل، والتقطنا معهم صورة تذكارية

وداعية، ولما سألتهم عن اسم هذا المكان؟ أجابوا بأنه (قرا صو) ومعناها: الماء الأسود، لأن (صو) بالتركية معناها: الماء، إلا أن اللغات القديمة المتفرعة منها تطلق لفظ (صو) على النهر وحتى البحيرة، وسموا هذا المكان (قرا صو) بمعنى الماء الأسود لأن فيه قناة مجلوبة للري.

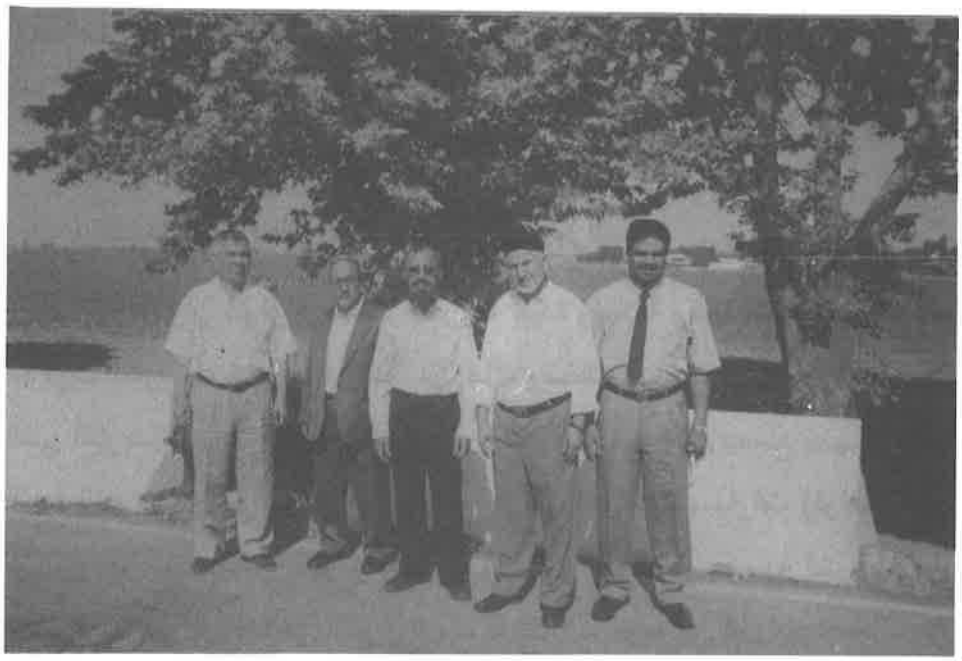

صورة تذكارية مع القائم بالأعمال في السفارة ونائب رئيس الإدارة الدينية وبعض موظفيها عند توديع وفدنا على بعد ٢٥ كم من طشقند

وواصلنا السير بسيارة السفارة وحدها ومعنا فيها إلى جانب الأخ ظافر العنزي الأخ الأوزبكي (نوري عبدالله يوسف) الذي يعرف المنطقة حق المعرفة، ويعرف العربية كأحد أبنائها.

بحيرة طشقند:

سرنا قليلاً فوصلنا إلى بحيرة غير واسعة اسمها بحيرة طشقند وتقع على مسافة ٤٢ كيلومتراً من مدينة طشقند، وهي ناشئة من سد لمياه من نهر صغير كان يصل إلى قرب طشقند ولكنه لا يدخلها وإنما يذهب إلى نهر سيحون الذي يسمونه (سرداريا) وذلك النهر الصغير يسمى نهر (جرجيق) وهي منطقة سياحية صالحة للسباحة أيضاً مع أنني سمعت أنهم ينظفون ماءها ويستعملونه للشرب في طشقند.

صورة تذكارية عند بحيرة طشقند بين القائم بالأعمال ظافر معطش (على يساري) والأستاذ رحمة الله على يميني

وينبغي أن ينتبه القارئ الكريم إلى اسم نهر ذكره الأقدمون باسم (نهر الشاش) فلا يشتبه عليه ذلك باسم هذا النهر الصغير المسمى (جرجيق) لأن نهر الشاس الذي ذكره الأقدمون هو نهر سيحون الذي يسمى الآن (سرداريا) كما سبق، وذلك أن البلدانيين والمؤرخين القدماء يسمون منطقة طشقند كلها بالشاش، ويسمون طشقند بالذات (مدينة الشاش) ويمر نهر سيحون على بعد ٦١ كيلومتراً من مدينة طشقند، وقد ذكرت زيارتنا له والتمشي حوله وتناول الطعام في بيت أحد الإخوة في قرية بجانبه في كتاب: (العودة إلى ما وراء النهر) وهو كتاب مطبوع.

وقد وقفنا على شاطئ هذه البحيرة، واستجلينا معالمها والتقطت صوراً تذكارية فيها.

بلدة بشكنت:

دلت لافتات الطريق على أننا سنمر بالقرب من مدينة (بشكنت) وهي مدينة قديمة بل تاريخية ولكننا لم ندخلها لأن الطريق كان يسير بجانبها وسط حقول خضر من أهمها حقول القطن الذي تشتهر أوزبكستان بإنتاجه، وهي حقول واسعة، ذكروا أنها لا تزال مملوكة للدولة، واستمراراً لما كانت عليه الحال في العهد الشيوعي من ملكية الأرض كلها ولا يشارك الدولة في ملكية الحقول الواسعة إلا الجمعيات التعاونية، شبه الحكومية التي تسير وقف إرشادات الدولة، أما المواطنون فإنهم لا يملكون إلاَّ مساحة محدودة من الأرض الزراعية ولذلك تكون حقولهم ضيقة وإمكاناتهم محدودة، وقد استرعت انتباهي في هذا الجو الأخضر كثرة الحمير الخضر التي هي ذات لون أسود غير حالك، يسمي بعض قومنا هذا اللون للحمير باللون الأزرق.

قرية فوكا:

مر الطريق بقرية اسمها (فوكا) وهي واقعة على الطريق، ذكروا من صفاتها أنه كان فيها روس كثير ولكنهم ذهبوا منها الآن بعد أن استقلت البلاد واستقرت لأهلها.

ومن أهم ما رأيناه فيها حقول لأشجار التفاح النضر، ووجود أشجار التوت التي تولد الحرير الطبيعي على الطريق، وقد أخذوا منها الأوراق والغصون الدقيقة التي يتغذى عليها دود القز.

البئر الأسود:

قلت: إن الكلمة التي تدل على السواد كثيرة في اللغة التركية القديمة، وما تفرع منها من لغات، فقد وصلنا إلى قرية اسمها (قرا قودوق) بمعنى البئر الأسود، ولم يحدثنا أحد عن سبب تسميتها، وقد وقفنا فيها نلتمس فيها من يحدثنا من أهلها عن سبب هذه التسمية، لأنها زراعية ذات حقول واسعة، ولم نجد إلا بنية لم تعرف ذلك لصغر سنها، وإنما سارعت والتقطت لها صورة لأنها تلبس ملابس حريرية وطنية مثلما تلبس الكبار من النساء هنا.

وهذه البنية ترعى بقرة لها، مع أن العشب هنا كثير، بل هائل الكثرة، ولكنها تكون معها لكي ترعى العشب الذي نبت عفواً من دون أن ترعى المزروعات ومنها حقول من الطماطم صغيرة.

وفي هذه القرية كثير من أشجار الفاكهة المثقلة بثمارها كالتفاح والإجاص.

بنية ترعى بقرة لها وحيدة في ريف أوزبكستان

ثم واصلنا السير مع هذا الطريق الذي هو معمور كله بالزراعة، وفيه قرى قليلة السكان أو منازل ريفية متباعدة، ورأيت امرأة تسير منفردة في الطريق فسألتهم عن الأمن في الطرق وفي المدن فأجابوا بأن الأمن مستتب في كل أنحاء أوزبكستان ولا يخاف أحد في الطريق سواء أكان رجلاً أو امرأة وغريباً أو من أهل البلاد، وهذا شيء جيد لم تصل إليه روسيا التي يقول أهل هذه المنطقة وما وراء النهر: إنها زعيمتهم وقد يقول بعضهم: إنها المثل الأعلى لهم.

وجميع الخضرة التي يراها الإنسان هنا من الأشجار هي من الخضرة المفيدة، ما عدا قليلاً من أشجار الطريق من الأشجار غير المثمرة مع أن شجر التوت المفيد هو الغالب على هذا القسم من الطريق.

ورأيت شيخاً فلاحاً معه امرأة وطفلة ومعهم حمار ورأيت أيضاً من النبات المزروع حقول ذرة.

وأما المواشي التي ترى من الطريق فإنها بقر سمين لوفرة المرعى فيها.

كان حقها أن تسمى (بك آباد) فقط لأن (أباد) معناها: بلد أو قرية وهي كلمة فارسية، ولكنني أردت من كتابتها هكذا تأكيد اسمها في ذهن القارئ الكريم.

وعند هذه القرية تقع الحدود بين أوزبكستان وتاجيكستان وهي داخل حدود (أوزبكستان).

صورة تذكارية بين أشجار الفاكية المختلفة بين طشقند والحدود مع تاجيكستان (على يميني) القائم بالأعمال في السفارة الأستاذ ظافر معطش على يمينه أحد موظفي السفارة

بلدة بك آباد:

أول ما رأيناه فيها حاجز للشرطة توقف السيارات المتجهة للحدود قبل وصولها إلى المركز الرسمي من أجل التفتيش والتأكد من المغادرين، وقال أحد الإخوة المرافقين: إنهم يقصدون من ذلك معرفة المغادرين حتى لا يكونوا من الممنوعين من السفر، أما نحن فإنهم لم يوقفوا سيارتنا لأنها تحمل لوحات (دبلوماسية).

وبعد حاجز الشرطة مباشرة وصلنا إلى بوابة مركز الحدود الأوزبكي، وكانوا يمنعون دخول السيارات منه قبل أن يتأكدوا من جوازات ركابها وكونهم حصلوا على سمات الخروج من الجوازات فيطلبون من ركاب كل سيارة أن يغادروها، ويدخلوا أرسالاً أي بعضهم خلف بعض مع باب صغير مخصص لدخول المشاة حتى إذا انتهى ركاب السيارة من جميع الإجراءات سمحوا بدخول السيارة إلى بوابة الدخول إلى المركز الذي بعده بوابة الخروج من أوزبكستان.

أما نحن فإنهم سمحوا لسيارتنا ونحن بداخلها بالدخول مع البوابة التي هي حديد قوي من دون أن يطلبوا منا النزول، وقال الأخ ظافر القائم بالأعمال: إن ذلك لكونهم عندهم علم بمجيئنا فقد اتصلنا بالجهات المسئولة وأخبرناهم أننا سنكون معكم عند الحدود ونعود من دون أن نخرج من أوزبكستان أو ندخل إلى حدود تاجيكستان.

وقد وقفنا عند باب من الحديد القوي مثل الأول ومنه تخرج السيارات إلى منطقة حرام ضيقة جداً، تفصل بين مركزي الحدود الأوزبكية والتاجيكية.

وقفنا في السيارة والإخوة ينتظرون السيارة القادمة من الجانب الآخر الذي هو جانب التاجيك من الحدود من أجل أن تحملنا إلى داخل تاجيكستان، لأنهم لا يريدون أن يتركونا من دون أن يطمئنوا على أننا مع أحد يخدمنا.

لاسيما أن الحدود هذه في مكان خالٍ ليس فيه حتى سيارات أجرة.

وقد وجدنا الإخوة التاجيك ينتظروننا، وجاملنا أهل أوزبكستان بأن سمحوا لسيارتنا بالدخول إلى حدود تاجيكستان من أجل أن تفرغ أمتعتنا في السيارة التاجيكية، بدلاً من أن نحملها بأنفسنا إليها، وكذلك أذنوا للأخ ظافر والذين معه بتوديعنا داخل حدود تاجيكستان.

ولاحظنا أن الداخلين من تاجيكستان إلى أوزبكستان لا يسمح- أيضاً- لسيارتهم بالدخول إلا بعد أن ينتهي ركابها من إجراءات قدومهم إلى أوزبكستان.

ورأيتهم أيضاً يطلعون على جوازات القادمين من خلال نافذة فيها قضبان من الحديد مما ذكرني بما كان الروس يفعلونه إبان الحكم السوفيتي الشيوعي ولا يزالون يفعلون مثله في بلادهم.

هذا وقد دخلنا إلى تاجيكستان والحديث عن ذلك ومشاهداتنا داخل تاجيكستان ابتداء من هذه الحدود البرية حتى مدينة خوجنده، ثم ما تلا ذلك حتى خروجنا من تاجيكستان في كتاب آخر عنوانه: (من أوزبكستان إلى تاجيكستان) والله المستعان.

تقرير مقدم من الإدارة الدينية في أوزبكستان
إلى وفدنا يتضمن الخبر عن الإدارة الدينية
لمسلمي أوزبكستان

إدارة مسلمي أوزبكستان في فترة الاستقلال:

بعد أن حصلت جمهورية أوزبكستان على الاستقلال الوطني فتحت آفاقاً واسعة لازدهار الدين الإسلامي فيها، وكان كفالة حرية الأديان للمواطنين في دستور جمهورية أوزبكستان أساس ذلك.

زالت الدعاية الإلحادية من المجتمع في أول سنوات الاستقلال، وأعيدت القيم الإسلامية- المساجد وأبنية المدارس والآثار العتيقة والمنابع التاريخية للمسلمين.

لقد انتشرت الكتب الإسلامية انتشاراً واسعاً، وتنشر اليوم الكتب المبينة لماهية ديننا الإنسانية الأصيلة وتطبع الصحف والمجلات وتبث وتذاع برامج التلفزيون والإذاعة الدينية بشكل منتظم.

في سنوات الاستقلال احتفل احتفالاً واسعاً ومناسباً بمولد أحمد اليساوي وبها الدين نقشبندي، والإمام البخاري والإمام الترمذي وأبي منصور الماتريدي والإمام برهان الدين المرغيناني وأحمد الفرغاني والأمير تيمور وعلى شير نوائي وغيرهم من أجدادنا الذين أسهموا إسهاماً كبيراً في ازدهار الدين الإسلامي ونهضة العلوم، وجهز أمكنتهم بالمرافق العامة ونشر مؤلفاتهم بمئات الألوف من النسخ.

أصبحت الظروف ملائمة للمسلمين لتأدية عباداتهم قدر الاقتضاء في أكثر من ١٨٠٠ مسجد جامع في البلاد.

وأيضاً في سنوات الاستقلال أصلح نظام التعليم الديني إصلاحاً جوهرياً،

فأصبح هناك عشر مدارس متوسطة إسلامية ومعهد إسلامي عالي تؤدى رسالتها اليوم في ديارنا، وكان إنشاء الجامعة الإسلامية في طشقند بمرسوم رئيس جمهورية سنة ١٩٩٩م حدثاً هاماً، ويدرس مئات الطلبة والطالبات العلوم الدينية والدنيوية في هذه المؤسسات الدراسية، وتم اتخاذ الخطوات الأولى لوضع النظام التعليمي الديني في مستوى واحد مع النظام التعليم الحكومي اعتباراً من ٢٠٠٠- ٢٠٠١م.

ويعتبر تأدية مسلمي بلادنا بأمن وحرية فريضة الحج والعمرة من أهم ثمار الاستقلال الوطني، فيؤدي قرابة أربعة آلاف من مسلمي بلادنا فريضة الحج سنوياً، ينظم سنوياً السفر المبارك للحج بقرار الحكومة الأوزبكية.

كما اشير خاصة في كتاب رئيس جمهوريتنا (بذكر الله تطمئن قلوبنا) في بلادنا اليوم يشترك ملايين المسلمين بنشاط في أعمالنا البناءة، وهم يؤدون سياسة دولتنا ويسألون في دعائهم إلى الله العلي القدير أمن وطننا وسعادة شعبنا، ولا يعوقهم أي عائق عن تأدية شعائرهم الدينية بأمن وحرية.

إن إدارة مسلمي أوزبكستان تحافظ على وحدة العقيدة لمسلمي أوزبكستان وتشرح لهم الأحكام الإسلامية بشكل واضح وصحيح وتطلعهم على الوقائع الهامة في العالم الإسلامي.

وكذلك نظمت بشكل جيد أعمال تجديد الأماكن الدينية المباركة وتجهيزها بالمرافق العامة وترتيب زيارات المسلمين إليها، وتصرف تبرعات الأماكن المباركة إلى الأعمال الخيرية.

وأقامت إدارة مسلمي أوزبكستان اليوم علاقة مباشرة مع أكثر من ثلاثين دولة وتشترك في كل الأنشطة العامة.

الوقائع المهمة:

- سبتمبر سنة ١٩٩٣م: احتفل بالذكرى آل ٦٧٥ لمولد خواجه بهاء الدين نقشبند.
- ٢٣-٢٤ أكتوبر سنة ١٩٩٣م: انعقد في مدينة سمرقند المؤتمر الدولي في موضوع: (حياة الإمام البخاري وعهده المعيشي).
- أعسطس سنة ١٩٩٦م: انعقد المؤتمر العلمي المتخصص للذكرى ال ٦٦٠ لمولد الأمير تيمور في موضوع: (الأمير تيمور والقيم الروحية).
- ١٩-٢٠ أكتوبر سنة ١٩٩٧م: احتفل احتفالاً واسعاً بالذكرى ال ٢٥٠٠ لمدينتي بخارى وخيوه.
- ٣-٤ ديسمبر سنة ١٩٩٧م: انعقد المؤتمر العلمي في موضوع: (دور دستور جمهورية أوزبكستان في تثبيت الوفاق بين الملل والأديان).
- ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٩٨م: انعقد في طشقند المؤتمر العلمي المتخصص للذكرى ال ٩٠ لمولد سماحة المفتي ضياء الدين خان بن إيشان بابا خان.
- ١٣ أكتوبر سنة ١٩٩٨م: انعقد في سمرقند المؤتمر العلمي للذكرى ال ١٢٢٥ لمولد الإمام البخاري.
- ٢٤ أكتوبر سنة ١٩٩٨م: انعقد المؤتمر العلمي المتخصص لمولد أحمد الفرغاني.
- ٢ مارس سنة ١٩٩٩م: انعقد في طشقند المؤتمر العلمي في موضوع: (الوفاق بين الملل أصل الثبات).
- ١٩-٢٠ نوفمبر سنة ١٩٩٩م: انعقد في طشقند المؤتمر العلمي الدولي في موضوع: (تراث الإمام الماتريدي وموقعه في ثقافة شعوب آسيا الوسطى).

- نوفمبر سنة ٢٠٠٠م: احتفل احتفالاً واسعاً بالذكرى ال ٩١٠ لمولد برهان الدين المرغناني وال ١١٣٠ لمولد أبي منصور الماتريدي.

الهيكل الإداري لمسلمي أوزبكستان:

١- الإدارة:

- الهيئة العليا ومجلس العلماء لإدارة مسلمي أوزبكستان.
- الرئيس (المفتي).
- نائب الرئيس.
- المستشار.
- الكاتب المسؤول.
- رئيس قلم الحسابات.
- المستشار القانوني.
- مدير الشؤون الاقتصادية.

٢- أقسام الإدارة:

- قسم العلاقة الخارجية.
- قسم التعليم وإعداد الكوادر.
- قسم الإفتاء.
- قسم الاحتساب.
- قسم المساجد.
- قسم العناية بالنساء.
- المكتبة.

- دار النشر (ما وراء النهر).
- هيئة التحرير لمجلة (الهداية).
- هيئة التحرير لجريدة نور الإسلام.
- النقليات.

المعلومات الموجزة عن أقسام الإدارة:

١- قسم العلاقات الخارجية:

يقوم القسم ببناء وتطوير علاقات إدارة مسلمي أوزبكستان مع المؤسسات والدوائر الخارجية، وأقامت حتى الآن العلاقات التعاونية مع أكثر من مائة مؤسسة ووزارة دينية في الدول الخارجية، ومنها وزارة الحج والأوقاف للمملكة العربية السعودية، ورابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة وجامعة الأزهر في القاهرة ووزارات الأوقاف لكثير من الدول كمصر والمغرب والسودان وليبيا.

ويعد تنظيم أعمال المسلمين التحضيرية للحج والعمرة في أوزبكستان من أهم مهامها، ومن أعماله القيمة أيضاً إرساله الشباب ذوي المواهب بناء على الانتخاب إلى المؤسسات الدراسية في بعض الدول الإسلامية والعربية.

ويدرس كثير من الطلبة في جامعة الأزهر بالقاهرة والمؤسسات الدراسية العالية في سورية وباكستان والسودان والمغرب والمملكة العربية السعودية وتركيا.

يشترك القسم في تشكيل وعقد المؤتمرات العلمية العملية الدولية الدينية في بلادنا، وكما أقام مبادلة المطبوعات مع كثير من المؤسسات الإسلامية وغير الإسلامية والمراكز العلمية في العالم، وتصل المجلات: "العالم

الإسلامي" و"الرابطة" و"مجلة الحج" (المملكة العربية السعودية)، و"الديانة" و"جوجوق" (تركيا)، و"المحجوبة" (إيران)، و"نداء الإسلام" (المغرب) إلى القسم بشكل منتظم، ويعد القسم البيانات الإخبارية الخاصة على أساس هذه المنشورات الدورية ويرسلها إلى المؤسسات المحلية.

وكذلك يقوم القسم باستقبال الضيوف من الخارج وتعريفهم بفعالية إدارة مسلمي أوزبكستان وترتيب الزيارات إلى الأماكن المكرمة.

٢- قسم التعليم وإعداد الكوادر:

يعالج قسم التعليم المسائل المتعلقة بالتعليم والتربية للمعهد الإسلامي العالي والمدارس الدينية المتخصصة لدى إدارة مسلمي أوزبكستان، ويساعد على تسجيل المدارس الإسلامية في سجل الحكومة ويضع قواعد ومناهج قبول الطلبة ويقدم تشكيل هيئة القبول وتركيب هيئة الامتحانات للتصديق.

إن من مهمات القسم الأساسية تحديد أساليب التعليم الديني المناسبة للشباب وتأمين التدريس في كل فن وفقاً لكتاب دراسي واحد في جميع المؤسسات الدراسية ووضع الوثائق المنهجية الدستورية وتطبيقها وتقرير الأساليب والأنظمة الجديدة في التعليم الديني.

بين فترة وأخرى يرتب القسم دورات لرفع صلاحية المدرسين ويساعدهم على زيادة معارفهم وتجاربهم.

ويوفر قسم التعليم للمدارس الإسلامية كتب وأدوات الدراسة وأدوات التعليم البصري.

كل مؤسسات الدراسات العليا والمتوسطة الإسلامية المتخصصة في أوزبكستان تقع تحت إشراف قسم التعليم.

أسماء وعناوين المؤسسات التعليمية الدينية:

- المعهد الإسلامي في طشقند: مدينة طشقند ٤٨ شارعزرقاينار.
- مدرسة مير عرب: مدينة بخارى ١٦ شارع.
- مدرسة خديجة الكبرى المتخصصة المتوسطة الإسلامية للنساء: مدينة طشقند، ناحية صابر رحيموف موضع آليمبيا في مسجد جامع أحمد جان.
- مدرسة الإمام البخاري: ولاية سمرقند، ناحية جيلاك، قرية خرتنك.
- مدرسة ملا قيرغيز: مدينة نمانكان، ٣٥٩ شارع أويجي.
- مدرسة جوى باري كلان للنساء: بخارى، ٩٢ شارع خوض نو.
- مدرسة كوكلداش: مدينة طشقند، ٤٦ شارع نوائي.
- مدرسة سعيد محى الدين المخدوم: ولاية انديجان، ناحية آلتين كول قرية جالابيك ٧.
- مدرسة محمد البيروني: جمهورية قاراقالباغستان، مدينة نوخوس، شارع كوزار.
- مدرسة فخر الدين الرازي: ولاية خوارزم، مدينة أوركنج ٤٣ أ شارع بابا جانوف.
- مدرسة خواجة البخاري: ولاية قشقادريا، مدينة كتاب، ٤ شارع زركرليك.

٣- قسم الإفتاء:

إن فعالية قسم الإفتاء تتركز في حل المسائل المهمة المتعلقة بحياة المسلمين حلاً صحيحاً وفي حينها، ومن مهامها الأولى دراسة استفسارات المسلمين حول مسائل النكاح والطلاق والإرث والعبادات والإفتاء فيها، وبعد استقصاء المسائل المذكورة جاءت الفتوى المسماة بـ"آداب النكاح الشرعي" و"الأحوال غير المشروع فيها النكاح لعلة القرابة" و"حول بعض المسائل المتعلقة بالطلاق".

ويشترك موظفو قسم الإفتاء بنشاط في حياة مجتمعنا المعرفية الاجتماعية بمواجهة ضد البدع والخرافات والإسراف، وتؤيد ما ذكرناه الفتاوى المسماة

بـ"آداب التعزية للأسرة المصابة وبعض المراسم"، و"آداب زيارة القبور" و"حول إجراء الولائم والمراسم بحدود معينة".

الفتاوى "محرفو الدين بحلية الدين" و"العقائد الخاطئة في الإنابة إلى الشيوخ" و"حول صلاة الجمعة والظهر احتياطا"، صدرت تلك الفتاوى لتنقية وتقوية العقيدة الإسلامية وحللت فيها المسالك العقائدية، وأشير ليها إلى أن الطريق الصحيح الوحيد هو طريق أهل السنة والجماعة.

ومن الجدير بالذكر أنه تم إعداد نصوص المواعظ النموذجية في الموضوعات الملحة ليوم الجمعة وإيصالها إلى الخطباء في المساجد الجامعة كلها في بلادنا.

٤- قسم الاحتساب:

قسم الاحتساب يراقب ويفتش على الإجراءات المالية لمساجد ومدارس بلادنا بشكل منتظم ومخطط.

ويستلم القسم في كل ربع سنة مصروفات المساجد.

ويدرس قسم الاحتساب عرائض وشكاوى المؤسسات الإسلامية ويساعد على حل قضاياهم بشكل صحيح، وكذلك يراقب إجراءات أوامر إدارة مسلمي أوزبكستان.

٥- قسم المساجد:

مهمة قسم المساجد لإدارة مسلمي أوزبكستان الإشراف على تنظيم فعاليات المساجد في بلادنا، ويساعد القسم على تجديد المساجد وتشييد الجديد منها وتدوينها في سجل الحكومة.

ويقوم قسم المساجد بترتيب الدوريات التعليمية الخاصة لرفع معرفة وخبرة الأئمة والخطباء ونوابهم، وكذلك يجذب المهرة الناشئين ذوي المعلومات الدينية العالية و المتوسطة إلى المساجد، وعهد إليه توطيد علاقات المساجد مع المحليات (الأحياء) والمدارس الثانوية والمراكز المعنوية المعرفية وإقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين المسلمين، وإضافة إلى ذلك، يدعو القسم حفاظ القرآن في بلادنا في شهر رمضان المبارك لختم القرآن الكريم في التراويح في المساجد الجامعة سنويا، فمثلاً في سنة ١٤٢١هـ (٢٠٠٠م) نفسها أجريت الختمة في أكثر من خمسين مسجداً في مدينة طشقند.

٦- قسم العناية بالنساء:

أخذاً في الاعتبار متطلبات عصرنا شكلت شعبة العناية بالنساء لقسم التعليم وذلك طبقاً لقرار إدارة مسلمي أوزبكستان الصادر في ٢٢ مايو سنة ٢٠٠١م.

وتدبر الشعبة أمور دراسة متطلبات النساء الدينية العلمية المعرفية وإقامة الأمر بالمعروف والنهي عن لمنكر بينهن ومساعدتهن على أساس توجيهات ديننا الحنيف في تربية الأولاد دينياً ومعنويا وإنسانياً بشكل كامل وسليم.

٧- المكتبة:

كان تشكيل المكتبة من أول الأعمال النبيلة للإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاغستان بعد تأسيسها، ورئيس الإدارة المفتي الشيخ ايشان باباخان بن عبدالمجيد خان قدم المبادرة وأهدى للمكتبة أكثر من ألف كتاب مخطوط من مكتبته الشخصية، وعيّن نادرخان داملا المتخصص في كتب علي شير نوائي وميرزا بي دل مسئولاً للمكتبة، وأمد نادرخان داملا المكتبة بالكتب المطبوعة والمخطوطة القيمة المشتراة أو المهداة من الشعب خلال سنوات ١٩٤٣- ١٩٧٠م.

وكذلك تشكّل الكتب الواردة من الدول الخارجية والمجلات الدورية المجموعة الكبيرة في المكتبة، ويحفظ الآن في المكتبة كنز ثمين مكون من ٢٥ ألف كتاب مختلف مخطوط ومطبوع، والكتب في المكتبة منسقة ومقسمة حسب فروع العلم، ويأتي على رأس محتويات المكتبة نسخ المصحف الشريف.

ولا شك أن مصحف عثمان رضي الله عنه أثمن وأغلى الكتب المحفوظة في المكتبة.

كذلك تتميز نسخة المصحف الشريف المخطوطة بخط الخطاط المشهور إسماعيل مبارك سنة ٦٦٥هـ، بكبر حجمها وكتابة ترجمة الآيات بالفارسية تحتها، وهذه النسخة من أقدم تراجم معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى.

وتوجد أيضاً في المكتبة النسخة المخطوطة لتفسير "الكشاف" من مؤلفات أبي القاسم محمود الزمخشري مواطننا المشهور في العالم الإسلامي، وهي منسوخة من نسختها المخطوطة سنة ٦٩٤هـ، وكذلك تفسير "البحر المواج" المخطوط بخط القاضي شهاب الدين الهندوستاني المتوفى سنة ٨٤٨هـ، وهي من نوادر الكتب القيمة المخطوطة.

والمكتبة مزدحمة بالطلبة والضيوف والسياح دائماً، وإذا قلبت صفحات مذكرة المكتبة يكون موضحاً حتى حضور رؤساء الدول مع السياح العاديين ضمن زوار المكتبة، وهذا يبدي درجة شهرة مكتبة إدارة مسلمي أوزبكستان في أنحاء العالم.

٨- دار النشر "ما وراء النهر":

في آخر الثمانينات من القرن الماضي نشأت من حاجة ماسة إلى نشر الكتب الدينية في الجمهوريات الإسلامية، وفي ذلك الحين بدأت دار النشر "ما وراء النهر" نشاطها.

وفي البداية أخذت دار النشر تنشر الكتب بعشرين ونيف عنوان بنسخ كثيرة، وفي فترة الاستقلال نشر القرآن الكريم وكذلك المشهورة في الحديث والصلاة والأدعية والتسبيحات بعشرة آلاف نسخة.

وتنشر دار النشر لطلبة المؤسسات الدراسية التابعة لإدارة مسلمي أوزبكستان كتب وأدوات الدراسة ومن بينها الصرف والنحو والمختصر والوقاية والعقائد ونور اليقين.

وتنشر التقويم الديني السنوي للمصلين بشكل منتظم.

٩- مجلة الهداية:

في نة ١٩٦٨م بدأت الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاغستان تنشر المجلة الوحيدة من نوعها في الاتحاد السوفيتي للمسلمين بعنوان: "المسلمون في الشرق السوفيتي"، وفي البداية كانت تنشر باللغات الأوزبكية (بالحروف العربية والكريلية) والعربية والإنجليزية بشكل ربع سنوي بـ٣٠٥ آلاف نسخة، وبعد عدة سنوات نشرت المجلة باللغات الفارسية والفرنسية والروسية أيضاً، كان الشيخ عبدالغني عبدالله رئيساً لهيئة تحرير المجلة طوال سنوات عديدة، وكانت المجلة ترسل إلى البلاد الخارجية المختلفة فازدادت نفوذاً.

هذا واشترك العديد من الشخصيات الدينية والعلماء والضيوف من الدول التالية: الأردن وإيران وهندوستان وتركيا وباكستان وتونس والكويت والعراق وبلغاريا واليابان في احتفال الذكرى العاشرة لتأسيس المجلة في سنة ١٩٧٩م.

ونشرت المجلة في السنوات ١٩٩١- ١٩٩٥م تحت عنوان: "مسلمو ما وراء النهر" وفي السنوات ١٩٩٥- ١٩٩٩م بعنوان: "مسلمو أوزبكستان".

والمجلة المعنونة بالهداية اعتباراً من شهر آب سنة ١٩٩٩م، تجددت شكلاً ومضموناً، ويطبع من المجلة ستة آلاف وخمسمائة نسخة حالياً.

وأضيف العديد من العناوين الجديدة على صفحاتها مثل: "تفسير آية"، و"القرآن الكريم والفن"، و"الحكم في الأحاديث"، و"صفحات من حياة الصحابة"، و"علماء ما وراء النهر"، و"الحياة الاجتماعية"، و"صفحة النساء"، و"أسئلة القراء"، و"في المؤسسات التعليمي"، و"الإسلام والعالم"، و"السياحة إلى المنائي".

وتحت هذه العناوين تنشر الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة ومسائل العقيدة والفقه وتاريخ الإسلام وكذلك المقالات الممتعة الحاكية عن مختلف صفحات حياة مجتمعنا.

ويقابل شكلها الفني متطلبات المقاييس الدولية المعاصرة.

ويخطط لنشرها باللغتين العربية والإنجليزية عن قريب إن شاء الله تعالى.

١٠- إسلام نوري (نور الإسلام):

جريدة دينية اجتماعية لإدارة مسلمي أوزبكستان، أسست في شهر مارس سنة ١٩٩٠م، وفي البداية كانت نصف شهرية ونشرت بأربعين ألف نسخة، وخلال سنوات ١٩٩١- ١٩٩٣م، كانت أسبوعية ونشرت مائة ألف نسخة بحروف كريل وثلاثين ألف نسخة بالحروف العربية.

واتجاه الجريدة الموضوعي الرئيسي بسط فعالية إدارة مسلمي أوزبكستان وتوضيح مسائل الفقه للمسلمين على مذهب الإمام الأعظم مستنداً إلى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والدعوة إلى الخير والتعاون والمسالمة والأخلاق الحميدة والقيم الروحية العالية في مجتمعنا.

وتنشر المقالات تحت العناوين المطلوبة عند القراء "أسس الإسلام" و"الأخلاق الإسلامية" و"منبر الإيمان" و"الكبائر" و"الفرق الضالة" و"حسب طلب الإسلام" و"الأحفاد عن الأجداد" و"الآثار العتيقة – جمال ديارنا".

والخلاصة أن نشاط إدارة مسلمي أوزبكستان غني المضمون ومتعدد الجوانب، وإن لم يمكن الإحاطة بكل جوانبه في كتاب واحد، وخاصة في هذا المقال الموجز، وحاولنا بقدر الإمكان إظهار درجة الاحترام للدين الإسلامي والقيم الإسلامية وحرية الأديان للمواطنين في أوزبكستان.

هذا وأن إدارة مسلمي أوزبكستان بعنايته سبحانه وتعالى تشترك بنشاط وتسهم إسهاماً مناسباً في زيادة ورفاهية شعوب ديارنا والمحافظة على أمن المجتمع ورفع المستوى المعنوي الشعبي وتوطيد الاستقلال الوطني بالأسس العقائدية.

قائمة بعض المصادر والمراجع التي لا تتوفر في المؤسسات التعليمية الدينية في جمهورية أوزبكستان:

١- القرآن الكريم للمدارس والمساجد.
٢- تفسير القرآن الكريم المسمى تفسير النسفي.
٣- تفسير الطبري.
٤- الجامع الصحيح للإمام البخاري.
٥- رياض الصالحين للإمام النووي.
٦- كتاب فقه السنة لسيد سابق.
٧- شرح كتاب الفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة النعمان.
٨- كتاب الاختيار لتعليل المختار لعبدالله بن محمود الحنفي.
٩- كتاب الفتاوى المعاصرة ليوسف القرضاوي.
١٠- كتاب تاريخ الإسلامي.
١١- كتاب شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك.
١٢- كتاب المنجد في اللغة والإعلام.
١٣- كتاب للمطالعة لطلاب جميع الصفوف.

في السنة ٢٠٠١ اشترت إدارة مسلمي أوزبكستان خمسة وثلاثين من الكمبيوتر وأعطيت منها ثلاثين إلى عشر مدارس دينية في الجمهورية ومنها خمسة إلى معهد طشقند الإسلامي العالي، ولكن لإتمام تجهيز الغرف المخصصة للكمبيوتر وتحقيق حوائج الطلاب ينبغي أن يوفر مثل ذلك العدد من الكمبيوتر، وكذلك لترغيب الطلاب للنشاط في الدراسة كان أحسن قيام بتشكيل المنح الدراسية باسم الإمام البخاري والترمذي والزمخشري، ومن المشكلات في هذه الأيام تزييد قيمة المنح الدراسية للطلاب ومرتبات المدرسين.

يكون أحسن إذا وجهت المساعدات لأداء فريضة الحج والعمرة للذين لا يستطيعون إليه سبيلا.

قائمة المطبوعات لمطبعة "ما وراء النهر" والكتب التي يستفيد منها طلاب معهد طشقند الإسلامي العالي:

١- كتاب العقيدة الطحاوية مع شرحه، لمحمد ناصر الدين، ما وراء النهر، ١٩٩٢م.
٢- كتاب علوم القرآن لمحمود طحان، ما وراء النهر، ١٩٩٢م.
٣- كتاب تيسير مصطلح الحديث لمحمود طحان، ما وراء النهر، ١٩٩١م.
٤- كتاب نور اليقين لمحمد الخضري، ما وراء النهر، ١٩٩١م.
٥- كتاب منهل الحديث لموسى شاهين، ما وراء النهر، ١٩٩١م.
٦- كتاب دروس الشفاهية لأحمد هادي مقصودي، ما وراء النهر، ١٩٩١م.
٧- كتاب درس النحوية، ما وراء النهر، ١٩٩١م.
٨- كتاب أصول الفقه المترجم صلاح الدين محي الدين، ما وراء النهر، ١٩٩٩م.
٩- كتاب آداب النكاح الشرعية و المعاشرة الزوجية، ما وراء النهر، ١٩٩٩م.
١٠- كتاب المذاهب والفرق في الإسلام، ما وراء النهر، ٢٠٠٠م.
١١- كتاب الغزو الفكري، عبد المطلب ذكر الله، ما وراء النهر، ٢٠٠٠م.
١٢- كتاب تاريخ بئر زمزم، سرعت اسحاقوف، ما وراء النهر، ١٩٩٩م.
١٣- كتاب طريقة النقشبندية، شمس الدين بابا خانوف، ما وراء النهر، ١٩٩٣م.
١٤- كتاب بستان الوالد، فاضل زاهد، ما وراء النهر، ٢٠٠٠م.
١٥- كتاب عقيدة أهل السنة والجماعة، زاهد قوتي، ما وراء النهر، ١٩٩٩م.
١٦- كتاب حياة الإمام الأعظم، زاهد خان قادروف، ما وراء النهر، ١٩٩٩م.
١٧- كتاب مجمع الخطب لصلاة الجمعة، ما وراء النهر، ٢٠٠٠م.

إنتهى.

أقول: رأيت إيراد نص ما ذكر مع أن فيه ما يلاحظ عليه مثل الاعتناء بموالد بعض الشيوخ، وكان الأولى أن تكون العناية بهم على أساس العناية بعلومهم ومؤلفاتهم وإسهاماتهم في نشر العلم، ولكنني آثرت نقل ذلك مع الإعلان بأن مسئولية ما فيه تقع على الجهة التي أصدرته.

والغرض من نشره هنا إعطاء صورة كاملة لنشاط الإدارة الدينية في أوزبكستان كما نشرها القائمون عليها، والله الموفق.

ملخص زيارة وفد رابطة العالم الإسلامي:

قام وقد من رابطة العالم الإسلامي برئاسة المؤلف وعضوية الأستاذ رحمة الله بن عناية الله مدير مكتب الأمين العام للرابطة بزيارة عمل و استطلاع لأحوال المسلمين و مشاريعهم في أوزبكستان في الفترة ما بين ٣ إلى ٦ ربيع الأول ١٤٢٢هـ وقد تضمن تقرير الزيارة ما يلي:

أولا: مدينة طشقند:

تقع في وادي نهر جيرجيك عند المنحدرات الغربية لجبال تنغرى تاغ، عرفت باسم الشاش أو (شاش كنت) منذ الألف الأول من قبل الميلاد، وكان يقال لمدينة شاشك بنكنت وهي قصبة إقليم الشاش، والمنطقة المعروفة حالياً طشقند القديمة هي موضع المدينة القديمة، التي عرفت باسم الشاش أو بنكنت، ولا يصادف اسم طشقند في المصادر التاريخية إلاّ في القرن الحادي عشر الميلادي.

أحتلها الروس في عام ١٨٦٥م، ثم أصبحت مقراً لحاكم عام تركستان في ١٨٦٨ ثم أصبحت عاصمة لجمهورية أوزبكستان السوفياتية في عام ١٩٣٠ وغدت في العهد السوفيتي رابع أكبر مدينة فيه، وهي الآن مركز سياسي وحضاري وصناعي في أوزبكستان، يبلغ سكانها ٢,٧٣٠,٠٠٠ نسمة بموجب تقديرات ١٩٩٩م، ونسبة المسلمين ٧٠% وهي أكبر مدينة في آسيا الوسطى، يقال إن بها حالياً ١٠٠ مسجد منها ١٢ جامعاً كبيراً وعشر مدارس إسلامية اثنتان منها للبنات.

وقد وصل وفد رابطة العالم الإسلامي إليها قادماً من اسطنبول فجر يوم السبت ١٤٢٢/٣/٣هـ، واستقبل استقبالاً طيباً في المطار حيث كان في استقباله:

- الشيخ عبدالرزاق يونس نائب مفتي أوزبكستان لأن المفتي غائب عن البلاد.
- سليم ميلي قول نائب رئيس اللجنة الدينية التابع لمجلس الوزراء الأوزبكي.
- إسماعيل عبدالله مدير إدارة العلاقات الخارجية في الإدارة الدينية لمسلمي أوزبكستان.
- جلال الدين نظر الدين مدير قسم الشئون الداخلية في إدارة مسلمي أوزبكستان.

وكان في مقدمة المستقبلين الأستاذ ظافر معطش العنزي القائم بالأعمال في سفارة خادم الحرمين الشريفين في طشقند.

وقد قام الوفد حسب البرنامج المعد من قبل الإدارة الدينية لمسلمي أوزبكستان بالزيارات الآتية:

١- الإدارة الدينية لمسلمي أوزبكستان: وهي مقر دار الإفتاء حيث اجتمع بالمسؤولين وعلى رأسهم الشيخ عبدالرزاق يونس نائب مفتى أوزبكستان، لأن المفتي الشيخ عبدالرشيد بهراموف كان في زيارة إلى جمهورية مصر العربية لحضور المؤتمر الإسلامي الذي ينظمه المجلس لأعلى للشؤون الإسلامية هناك.

وبعد أحاديث الترحيب والشكر، تناول الحديث بين الطرفين العلاقات الأخوية بين رابطة العالم الإسلامي والإدارة الدينية لمسلمي أوزبكستان، حيث وجه نائب المفتي شكره وتقديره لما قدمته الرابطة من مساعدات مادية ومعنوية لهم، كما ذكر بشكل خاص المساعدات والتسهيلات التي يلقاها الحجاج الأوزبك لأداء مناسك الحج والعمرة، وأعرب عن الشكر الجزيل لخادم الحرمين الشريفين – حفظه الله- على ما يبذله من جهود كبيرة في تسهيل وتيسير أداء الحج والعمرة، ثم تحدث عن تطور الوضع الإسلامي في أوزبكستان، فذكر أن عدد المساجد وصل إلى ألفي مسجد في أوزبكستان وأن في مدينة طشقند وحدها

أكثر من مائة مسجد في الوقت الذي لم يكن في العهد السوفيتي إلا ٨٠ مسجداً في أوزبكستان كلها، وعدد المدارس الإسلامية حالياً عشر مدارس منها مدرستان للبنات، بينما لم يكن في العهد السوفيتي إلا مدرستان وهما مدرسة مير عرب في بخارى ومعهد الإمام البخاري في طشقند، في كل الاتحاد السوفيتي السابق، كما أن عدد الحجاج يتزايد سنوياً حيث بلغ أكثر من أربعة آلاف حاج في العام الماضي.

والمسلمون يؤدون عبادتهم بحرية وهم يتلقون دعم الرئيس إسلام كريموف على نشاطهم، وقد تم بتوجيه منه افتتاح الجامعة الإسلامية في العام الماضي، كما أن هناك مشاريع إسلامية يتم تنفيذها، منها بناء دار الحديث في سمرقند بمساعدة من البنك الإسلامي للتنمية بجدة، وأن دار الإفتاء تخطط لبناء مكتبة إسلامية، وبخاصة أن لديها آلافاً من المخطوطات الإسلامية ومن أهمها نسخة أصلية من مصحف الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

وقد أجابه رئيس وفد رابطة العالم الإسلامي بالشكر على ما لقيه الوفد من الترحيب وحسن الاستقبال، كما أثنى على ما قدمه من معلومات، وأشار إلى العلاقات الأخوية الطيبة السابقة بين الرابطة ودار الإفتاء، ورغبة الرابطة في توثيق العلاقات بينهما لما فيه خير الإسلام والمسلمين بدون التدخل في السياسة أو الشئون الداخلية، واستعداد الرابطة لتقديم المساعدات المادية والمعنوية لدعم النشاط الثقافي للمسلمين، ومن ذلك المساهمة في بناء المساجد والمدارس الإسلامية وإرسال الكتب ودوريات الرابطة، واستضافة اثنين أو ثلاثة من الشخصيات الإسلامية لأداء مناسك الحج، وغير ذلك من الأمور التي تخدم الثقافة الإسلامية.

٢- لجنة الشؤون الدينية لدى مجلس وزراء أوزبكستان رئيس اللجنة الأستاذ

فاضل قاري برتبة وزير، وبسبب مرضه، كان في استقبال الوفد الأستاذ شاه أعظم منور النائب الأول لرئيس لجنة الشؤون الدينية، وقد تم اللقاء بحضور الشيخ عبدالرزاق يونس نائب مفتي أوزبكستان، وبعد أن اعتذر الأستاذ شاه أعظم عن عدم تمكن الوزير من استقبال الوفد بسبب مرضه ووجوده في المستشفى، رحب بوفد الرابطة وأشار إلى العلاقات الطيبة مع الرابطة ونشاطاتها المتعددة في خدمة المسلمين في أنحاء العالم، وأعرب عن شكره لما قدمته الرابطة من مساعدات إلى بعض المساجد، كما أعرب عن تقديره الكبير لما قدمته حكومة المملكة العربية السعودية للمهاجرين الأوزبك الفارين إليها إبان الثورة الشيوعية من العناية والاهتمام ورعايتها لهم، وأثنى على ما تقدمه حكومة خادم الحرمين الشريفين من تسهيلات كبيرة لضيوف الرحمن والحجاج الأوزبك، ثم أشار بصفة خاصة لاهتمام الشيخ محمد بن ناصر العبودي بتاريخ وتراث أوزبكستان.

ثم تحدث عن اللجنة الدينية على أنها إدارة حكومية بمثابة وزارة تتعاون مع الإدارات الدينية لمعالجة مشاكلها وتحقيق مطالبها ومشاريعها وتوثيق الصلة معها.

وقد أجابه رئيس وفد الرابطة بالشكر على استقباله وترحيبه، مذكراً إياه بماضي بلاد ما وراء النهر الحضاري، وما لها من أثر ثقافي في المعرفة الإسلامية لا يمكن تجاهله، وضرب مثلاً، فقال: إن كتاب الصحيح للإمام محمد بن إسماعيل البخاري لا يستغني عنه طالب علم شرعي في أية بقعة في العالم، ثم عدد ما لعلماء ما وراء النهر وتمثلها أوزبكستان في الوقت الحاضر من جهود في الجغرافيا والأدب والفلك والحديث والفقه والتفسير واللغة وغيرها، وهو جزء لا يمكن إغفاله من تاريخ حضارة وثقافة العالم الإسلامي، وقال: يجب الاهتمام بإحياء تراثهم و

أشار إلى زيارته لمدرسة محمد البيروني في مدينة نوخوس؛ حيث وجدها متواضعة جداً لا تليق بسمعة ذلك العالم الفذ، واختتم حديثه بالتعريف بالرابطة وأعمالها واستعدادها للتعاون مع الإدارة الدينية هنا، لما فيه خدمة الثقافة الإسلامية و مشاريعها بدون تدخل في الشؤون الداخلية أو السياسية.

٣- جامعة طشقند: قام وفد الرابطة بزيارة جامعة طشقند الإسلامية، حيث كان في استقباله الأستاذ عبدالرحمن عبدالله النائب الأول لمدير جامعة طشقند الإسلامية، وبعد أن تفقد أقسام الجامعة المذكورة اجتمع مع الأساتذة والطلاب في قاعة المحاضرات، حيث تحدث إليهم الشيخ محمد بن ناصر العبودي عن الرابطة وأعمالها، ثم ذكرهم بماضي أوزبكستان الثقافي في العهد الإسلامي، وما كان لعلمائها الأعلام من آثار خالدة في الثقافتين الإسلامية والعربية متمنياً لهم أن يكون على أيديهم استعادة أمجاد أولئك الأسلاف.

وبعد أن أجاب على أسئلة بعض الطلاب والطالبات أبدى استعداد الرابطة للتعاون معهم وتزويدهم بالكتب والمواد العلمية.

تأسست جامعة طشقند الإسلامية بأمر الرئيس إسلام كريموف بتاريخ ٧ أبريل ١٩٩٩م، وهي مؤسسة تعليمية تتبع مجلس الوزراء الأوزبكي، وتعمل فيها حالياً كلية تاريخ الإسلام والفلسفة وكلية الشريعة والاقتصاد والعلوم الطبيعية وتضم الأقسام التالية:

العلوم الدينية الإسلامية- نظرية بناء المجتمع الديمقراطي وتطبيقاتها- اللغات الشرقية- اللغات الغربية- دراسة أديان العالم- علوم الحاسوب والعلوم الطبيعية- التربية البدنية.

ويبلغ عدد الطلاب والطالبات في الوقت الحاضر ١٢٠ طالباً وطالبة، ونحو ٤٠ أستاذاً وموظفاً، منهم ثلاثة أساتذة مصريين مبتعثين من الأزهر، والدراسة مختلطة، ومع أن الجامعة حكومية تتبع مجلس الوزراء إلا أنها تتقبل التبرعات لتنفيذ مشاريعها.

٤- مدرسة كوكلداش الإسلامية: وهي من المدارس الإسلامية القديمة، التي كانت تعمل قبل الثورة الشيوعية، وقد أغلقها النظام الشيوعي في بداية عهده ١٩٢٤م، وكان من أشهر خريجيها في ذلك العهد الشيخ محمود طرازي مترجم معاني القرآن الكريم باللغة التركستانية، الذي أمضى حياته مجاوراً في المدينة المنورة حيث توفي فيها.

وقد أعيد افتتاح هذه المدرسة في عام ١٩٩٢م، ويقول مديرها الأستاذ عبدالحكيم متقول: إنها مدرسة متوسطة تقوم بتدريس المنهجين الإسلامي بنسبة ٦٠% والحكومي بنسبة ٤٠%، ويبلغ عدد طلابها ١٨٦ طالباً، وعدد المدرسين والموظفين ٣٣ شخصاً، وغرفها على العموم صغيرة من دورين متراصة على الجهات الأربع، يستعمل حالياً ثلاثة أرباع المبنى، حيث تستخدم الغرف الأرضية فصولاً دراسية ومكاتب، وغرف الدور الأول سكن الطلاب، ويجري حالياً ترميم في الجزء الباقي، ويشير مدير المدرسة إلى حاجتهم إلى الكتب الإسلامية، وبخاصة تفسير الجلالين، وكذلك المساعدة المالية لاستكمال الترميم.

٥- مدرسة ضاحية نظر بك: مبنى من دورين، يجري إنشاؤها على مساحة من الأرض تقدر بحوالي أربعة آلاف متر مربع، تم بناء الدور الأرضي وبعض أجزاء الدور الأول يحتاج إلى التسقيف، والمبنى كله يحتاج إلى

التمديدات والتشطيب، ولا يزال بعض العمال يعملون ببطء، ويذكر أن المدرسة بها مسجد يبلغ ارتفاع منارته ٦٤ متراً، والمسؤول عن البناء هو الأستاذ أبو القاسم جهنكير والمدرسة تتبع الإدارة الدينية لمسلمي أوزبكستان، ويقال إنها ستكون مدرسة للبنات.

٦- مكتبة الإدارة الدينية لمسلمي أوزبكستان: وتقع في مبنى مجاور لمسجد طلا شيخ، الذي يقع أمام مبنى الإدارة الدينية، وتحتوي المكتبة على العديد من المخطوطات الإسلامية من مصاحف وكتب في التفسير والفقه والحديث ومن أهمها جزء من مصحف عثمان رضي الله عنه الذي خط على جلد الغزال.

وتعتزم الإدارة الدينية بناء مبنى خاص للمكتبة، تم تجهيز تصميمه، ويأملون في مساعدات لإنشاء المبنى، وقد وعدتهم لجنة مسلمي آسيا الكويتية بالمساعدة.

٧- مسجد الشيخ زين الدين حيث أدى وفد الرابطة صلاة الظهر جماعة، ثم اجتمع إلى الإمام الشيخ رحمة الله عابد، حيث أفاد بأن عدد المصلين صلاة الجمعة يصل لأكثر من عشرة آلاف، وهو أحد المساجد التي تمت إعادة بنائه بمساعدات سعودية، وقد كتب فوق باب المسجد (هدية من أهالي مكة المكرمة لأهالي أوزبكستان)، والبناء كبير وفخم ومكتمل.

٨- مسجد الشيخ مرزا يوسف في يونس آباد، من المساجد التي سبق أن زارها وفد الرابطة في الأعوام الماضية، وقد تمت إعادة بنائه، وهو مسجد كبير، يؤدي فيه صلاة الجمعة ويقصده أكثر من خمسة آلاف مصل في صلاة الجمعة، ولا تزال محلات الوضوء والحمامات تحتاج إلى إصلاح.

٩- مسجد خوجة أحرار بجوار مدرسة كوكلداش، حيث أدى وفد الرابطة صلاة

الظهر، واجتمع إلى الإمام الشيخ أنور حاجي قوجقار والمتولي الشيخ بختيار بن قربان وهو مسجد كبير أعيد ترميمه وإصلاحه، ولا يزال أجزاء منه تحت الإنشاء وبخاصة الحمامات وأماكن الوضوء، وقدم وفد الرابطة مساعدة قدرها ٦٠٠٠ دولار لاستكمال المباني الضرورية له.

ثانياً: نوخوس:

نوخوس مدينة تأسست في الأول من أبريل عام ١٩٣٢ على الشاطئ الأيسر لنهر أموداريا في الجزء الشرقي لصحراء قراقوم، ويقدر عدد سكانها بـ ٢٥٠,٠٠٠ نسمة، ٩٠% منهم مسلمون، وهي حالياً عاصمة لجمهورية قراقلباقستان الذاتية الحكم، التي تبلغ مساحتها ١٦٦,٦٠٠ كيلومتراً مربعاً، ويقدر سكانها ١,٤٦٨,٦٠٠ نسمة بموجب تقديرات عام ٢٠٠٠م، وشعب قراقلباق هم من قبائل القازاق الذين ينتسبون إلى القبجاق ولكنهم لا يمثلون إلا نسبة ٤٠% من سكان قرا قلباقستان، والباقون هم الأوزبك والتركمان والتتار والروس.

وكان عدد المساجد ٥٣٣ مسجداً قبل عام ١٩١٤م، ولكن عددها حالياً بضعة عشر مسجداً بالإضافة إلى كنيسة لم تكن موجودة من قبل.

وصل وفد الرابطة مع المرافقين من الإدارة الدينية وهما الأستاذ إسماعيل عبدالله مدير إدارة العلاقات الخارجية والأستاذ جلال الدين نظر الدين مدير قسم الشئون الداخلية بالإدارة الدينية لمسلمي أوزبكستان إلى مدينة نوخوس، التي تبعد عن طشقند بنحو ٨٥٠ كيلومتر، وكان في استقبالهم في مطار نوخوس الأستاذ مراد جان محمود عابد قاضي جمهورية قرا قلباقستان ووكيل الإدارة الدينية فيها، والأستاذ حسن الدين بن عبدالحميد مندوب لجنة الشؤون الدينية وغيرهما من الأئمة والمسؤولين.

١- مسجد إمام محمد أدى الجميع فيه صلاة الظهر جماعة، ثم تفقد مبنى المسجد الذي أنشئ في عام ١٩٩٨م، على مساحة مقدارها الإجمالي هكتاران، منحتها لهم حكومة قراقلبستان، وتم بناؤه بمساعدات من المسلمين، ولا يزال يحتاج إلى إنهاء التشطيبات وبناء حمامات وأماكن الوضوء، ثم تفقد مبنى مدرسة محمد بن أحمد البيروني الذي يتكون من دورين وأثاثه متهالك فالمقاعد والطاولات قديمة، وفي هذه المدرسة يدرس ٧٤ طالباً العلوم الإسلامية، ويقوم على تدريسهم ١٢ مدرساً وموظفاً، ومديرها الشيخ عبدالكريم بن عبداللطيف، وله نائب لشؤون الإدارة هو الأستاذ عبدالحميد بن رحمة الله، وفي نهاية الزيارة قدم وفد الرابطة مساعدة من الرابطة لاستكمال الأعمال الضرورية في مسجد إمام محمد ايشان مبلغً وقدره أربعة آلاف دولار.

٢- مسجد خان في بلدة تشمباي التي تقع على بعد ٤٠ كيلومتراً شمال بلدة نوخوس، ويقول الإمام الشيخ محمد بن عبدالرزاق إن عدد سكان البلدة نحو ٢٢ ألف نسمة، أكثرهم مسلمون، ويصل عدد المصلين في صلاة الجمعة نحو ٢٥٠ مصلياً، وهم يصلون في جانب أمكن تسقيفه، والاستفادة منه في الصلاة، أما الجزء الأكبر فيحتاج إلى إكمال البناء وقد أقيم بعض جداره ومساحة المسجد نحو ٥٠٠ متر مربع، وقدم له وفد الرابطة مساعدة عاجلة من الرابطة لاحتياجات المسجد الضرورية بمبلغً قدره ألفا دولار نقداً.

التوصيات:

لاحظ وفد رابطة العالم الإسلامي أن العمل الإسلامي تسيطر عليه حكومة أوزبكستان سيطرة كاملة حتى تضمن أن تسيره وفق سياستها، التي ترمي إلى استبعاد أي عمل يؤدي إلى زيادة النشاط الإسلامي وتولي الإسلاميين أو دعاة الإصلاح مراكز القيادة والتأثير في المجتمع، وتشجعها في ذلك القوى المعادية في روسيا والهيئات التنصيرية والسياسية الأوروبية الناشطة في المنطقة، وقد وجدت أن الدعم المعنوي والمادي الذي تقدمه هيئات إسلامية خارجية، وبخاصة من دول الخليج والجماعات السلفية هي التي ساعدت الجهاد الأفغاني، وهي التي تبذل الجهد في أوزبكستان، وعلى ذلك أخذت حكومة الرئيس إسلام كريموف تصم كل نشاط إسلامي بالوهابية، وذلك لدعوة الأوزبكيين إلى التمسك بتقاليدهم وعاداتهم الإسلامية القديمة، مع رفض أي دعوة للتغيير من الداخل أو الخارج، علاوة على أن الإسلاميين لا يزالون يشنون حملات متفرقة في أوزبكستان، وقد أدت هذه الأمور إلى تزايد الاعتقالات والإعدامات وعلى ضوء ذلك يرى وفد الرابطة ما يلي:

١- توثيق العلاقات مع الجهات الإسلامية الرسمية والاستفادة من ذلك في تقديم المساعدات المالية والمعنوية إلى العمل الإسلامي، الذي يجد صعوبة في التسيير والاتصال بهم لتصحيح المفاهيم الخاطئة عن السلفية، لأن ترك العمل يؤدي إلى زيادة العداء والشكوك.

٢- الاهتمام بترجمة وطبع ونشر الكتب، التي توضح المنهج السلفي الصحيح باسلوب مبسط من دون هجوم أو نقد مباشر لبعض التقاليد الدينية في أوزبكستان، والأفضل الاستفادة مما كتبه علماؤها في هذا الصدد.

٣- ابتعاث مدرسين من أصول أوزبكية إلى جامعة طشقند الإسلامية وغيرها من المدارس والمعاهد الإسلامية يعملون حسب الطاقة على تصحيح مسيرة العمل والتعليم الإسلامي.

٤- الاهتمام بدعوة الشخصيات الإسلامية من أوزبكستان للمشاركة في المؤتمرات والندوات والمناسبات الإسلامية لتوثيق الصلة معهم، والاستفادة من العلاقات الشخصية على تصحيح المفاهيم ودعم العمل الإسلامي.

٥- الرفع لمقام خادم الحرمين الشريفين بالتماس بناء مكتبة دار الإفتاء في طشقند، وجعلها هدية منه إلى الشعب الأوزبكي المسلم، الذي قدم أجداده جهوداً كبيرة للثقافة الإسلامية.

٦- الكتابة إلى اللجنة الإسلامية العالمية لحقوق الإنسان عن الأئمة والعلماء المعتقلين في أوزبكستان لاطلاع الرأي العام على معاناتهم والمطالبة بإطلاق سراحهم.

٧- إرسال الكتب ودوريات الرابطة إلى الجهات الإسلامية في أوزبكستان بشكل دوري مستمر.

٨- شراء مجموعة نسخ من تفسير الجلالين وإرسالها إلى جامعة طشقند الإسلامية، وغيرها من المعاهد والمدارس الإسلامية في أوزبكستان.

٩- المساعدة على استكمال مبنى مدرسة نظر بك في طشقند مائة ألف ريال.

١٠- المساعدة على استكمال ترميم مدرسة كوكلداش في طشقند بمبلغ خمسين ألف ريال.

١١- المساعدة في تأثيث مدرسة محمد أحمد البيروني في نوخوس بمبلغ خمسين ألف ريال.

١٢- المساعدة على استكمال بناء مسجد الإمام محمد ايشان بمبلغ خمسين ألف ريال.

١٣- المساعدة على استكمال بناء مسجد الخان في تشمباي بمبلغ ثمانين ألف ريال.

إنتهى الكتاب.

الفهرس

كتب مطبوعة في الرحلات للمؤلف ٥
مؤلفاته المطبوعة في غير فن الرحلات ١٣
مقدمة الناشر ١٧
المقدمة ١٩
من الرياض إلى اسطنبول ٢٣
مؤسسة وقف تركستان الشرقية ٢٨
تمشية في اسطنبول ٢٩
العود ليس أحمد يا اسطنبول ٣١
البوسفور والبحرالأسود ٣٢
خليج القرن الذهبي ٣٣
ميدان تقسيم ٣٤
البوسفور الشاهد ٣٤
جسر البوغاز ٣٨
جسر الفاتح ٣٩
جلسة على الشاطئ ٤٠
التركية العثمانية ٤٣
عند البحر الأسود ٤٤
جمعة اسطنبول ٤٦
الأذان والخطبة ٤٨
الغداء والفندق التركي ٥٠
قبل الوصول إلى أوزبكستان ٥١
جمهورية أوزبكستان، الموقع والجغرافيا ٥٣

الثروات الطبيعية والاقتصادية ٥٤
حكومة أوزبكستان ٥٥
السكان ٥٧
من هم الأوزبك؟ ٥٨
التاريخ ٥٩
الإسلام والمسلمون ٦١
تسمية (أوزبكستان) ٦٧
العودة إلى اليوميات ٨١
من اسطنبول إلى طشقند ٨٣
في مطار طشقند ٨٥
إلى الإدارة الدينية ٨٧
مكتبة الإدارة ٩١
مصحف عثمان ٩٢
مسجد زين الدين ٩٥
صلاة الجنازة ٩٨
الجامعة الإسلامية ١٠٠
الاجتماع في قاعة المحاضرات ١٠٢
مسجد ميرزا يوسف ١٠٥
طعام العقيقة ١٠٦
إلى جمهورية قراقلبقستان ١١٣
تسميتها ١١٦
من طشقند إلى نوخوس ١١٨
مطار نوخوس ١٢٤
مقر الإدارة الدينية ١٢٥

مدرسة البيروني ١٢٧
مسجد الإمام محمد إيشان ١٢٩
الكرم والعوز ١٣٥
القناة التي جرفت الفتاة ١٣٦
إلى مدينة تشمباي ١٣٨
قرية خلق أباد ١٤١
عودة إلى الريف ١٤٢
هذه تشمباي ١٤٤
مسجد تشمباي ١٤٥
وقفة في مقصف ١٤٨
العود إلى نوخوس ١٤٩
سوق نوخوس ١٥٠
جولة سريعة في نوخوس ١٥٢
نهر جيحون الذي شاخ ١٥٣
محطة توزيع المياه ١٥٩
حجر الطاقية ١٥٩
معنى اسم نوخوس ١٦١
العودة إلى طشقند ١٦٢
في إدارة الشئون الدينية ١٦٤
في السفارة السعودية ١٦٨
مسجد أحرار ١٦٩
مدرسة أخي الرضاع ١٧١
غداء المدرسة ١٧٢
خارج حدود مدينة طشقند ١٧٤

اجتماع ختامي في الإدارة الدينية ١٧٥
سوق طشقند ١٧٧
إلى حدود تاجيكستان ١٧٨
وداع في الماء الأسود ١٧٩
بحيرة طشقند ١٨١
بلدة بشكنت ١٨٢
قرية فوكا ١٨٣
البئر الأسود ١٨٣
بلدة بك آباد ١٨٦
تقرير مقدم من الإدارة الدينية في أوزبكستان إلى وفدنا يتضمن
الخبر عن الإدارة الدينية لمسلمي أوزبكستان ١٨٨
إدارة مسلمي أوزبكستان في فترة الاستقلال ١٨٨
الوقائع المهمة ١٩٠
الهيكل الإداري لمسلمي أوزبكستان ١٩١
المعلومات الموجزة عن أقسام الإدارة ١٩٢
قائمة بعض المصادر والمراجع التي لا تتوفر في المؤسسات
التعليمية الدينية في جمهورية أوزبكستان ٢٠١
قائمة المطبوعات لمطبعة (ما وراءالنهر) والكتب التي يستفيد منها طلاب
معهد طشقند الإسلامي العالي ٢٠٢
ملخص زيارة وفد رابطة العالم الإسلامي ٢٠٣
أولاً: مدينة طشقند ٢٠٣
ثانياً: نوخوس ٢١٠
التوصيات ٢١٢
الفهرس ٢١٥

مطبعة النرجس التجارية
NARJIS PRINTING PRESS
تلفون: ٢٣١٦٦٥٣ - فاكس: ٢٣١٦٨٦٦
E-mail: narjiscpp@yahoo.com

المستودع الدعوي الرقمي
Osoul Center For Studies

https://dawa.center

دار الثلوثية للنشر والتوزيع
١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م

ISBN 9786030135035

SR 15

مطبعة الترجس- ت| ٢٣١٦٦٥٣ ف: ٢٣١٦٨٦٦